

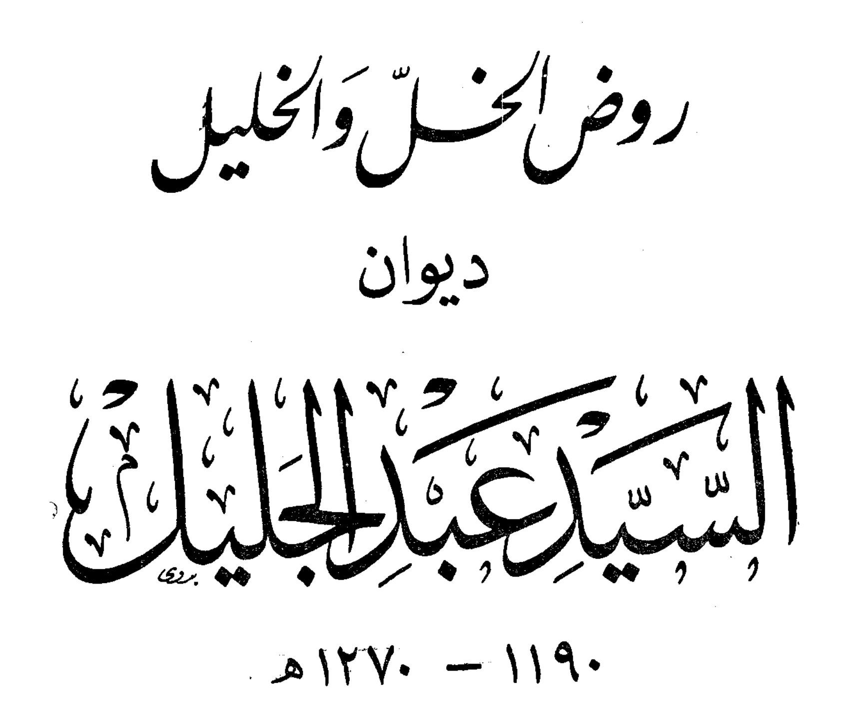
١١٩٠ - ١٢٧٠ هـ

مع مقدمة

صاحب السمو [illegible] حفظه الله



منشورات المكتب الإسلامي بدمشق



طبع على نفقة
صاحب السمو العالم الجليل الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حفظه الله

منشورات المكتب الاسلامي بدمشق

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر
لصاحبه
محمد زهير الشاويش
دمشق : الحلبوني ص ب ٨٠٠ هاتف ١١٦٣٧ برقياً اسلامي
بيروت : ص ب ٢٠٣٢ هاتف ٢٢٧٠٥٤

الطبعة الثالثة
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونصلي ونسلم على محمد وآله .

وبعد : فهذا :

«روض الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل»

وهو ديوان شعر يمثل عصر صاحبه ـ القرن الثاني عشر الهجري ـ بما فيه من أساليب وأغراض انكب عليها أدباء ذلك العصر ، حيث كثر الناظمون ، وندر الشعر . غير أنه إذا قيس بمن عرفنا منهم ، كان من الأوائل المجيدين ، فهو واضح الشاعرية في وصفه ومدحه ، وفي الكثير من قصائده حكم وعبر ، وقصيدته في مكارم الأخلاق (ص ٢٠١) من أحسن الشعر في غرضها وأغلب قصائده في مدح الملوك والأمراء وأهل الوجاهة ـ وله مساجلات ، وألغاز ، وإجازات ، مع أدباء البلاد التي أقام فيها ، أوزارها . وفي الديوان مدح متكلف ، ووصف أشبه بالنظم العلمي ، وفيه تكسب خفي ، لجأ اليه الشاعر لظروف كانت تمر به في رحلاته الكثيرة ، وتنقله المستمر بين مختلف البلاد .

وقد تجنب في شعره التعرض للخصومات التي كانت تسود المنطقة كلها ، فهو مع مدحه لآل سعود ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لم يطعن في رجال الدولة العثمانية الذين كانت له حاجات عندهم في البصرة . ولم يتعرض لـ : محمد علي باشا ، أو ابنه ابراهيم باشا على ما كان منهما من ظلم وتخريب ، وصد عن الحق في جزيرة العرب .

وقد جمع هذا الديوان ابن الناظم ، وقدم لقصائد والده بقطع من النثر مسجوعة غالباً ، وأطنب فيها واصفاً أباه بالأدب والزهد والترفع .

والذي يظن أنه جمع هذا الديوان ، وكتب هذه المقدمات في الفترة التي استعرت فيها نار الدعاية – تهاجم نهضة جزيرة العرب على – مجـدد الدعوة الاسلامية الشيخ محمد ابن عبدالوهاب ، فانك تلمس من مقدماته الغض من آل سعود ، حيث ذكرهم دون أي لقب ، وجعل القصائد التي في مدحهم بناء على طلب وإلحاح ، وأنها لأشخاص قدموها بأسمائهم ، بينما ترى الشاعر قد مدح دعوة التوحيد في أكثر من قصيدة وأكثر من منـاسبة ، وعلى فترات متباعدة ، وأظهر مثال على ذلك مدحه الشيخ محمد عبد الوهاب في الصفحة (٢٣) بقوله:

جزى الله رب العرش بالصفح والرضى
وبالخير من قد كان أصدق قـائم

بنصرة دين المصطفى وظهيره ... هو الحبر ذو الإفضال حاوي المكارم
هو الورع الأواه شيخي محمد ... هو القانت السجاد في جنح فاحم
لقد قام يدعو للمهيمن وحده ... فريداً طريداً ماله من مسالم
وجاهد للرحمن حق جهـاده ... وفي الله لم تأخذه لومة لائم

وقد انزلق لسان جامع الديوان والناظم في بعض المواطن بعبارات تخالف المأثور من الشريعة : كالتوجه الى الله تعالى بخلقه ، والغلو في المدح حيث خاطب البشر بما لا يخاطب به الا الله جل وعلا ، وقد نبهنا على ذلك في بعض المواضع بكلمات موجزة .

وفي الديوان بعض الكلمات العامية كـ « البغلة » ومقصوده بها السفينة الكبيرة .

وقد سبق لهـذا الديوان أن طبع مرتين ، أولاهما في الهند والثانية في مصر ، وكلا الطبعتين مليء بالأخطاء الاملائية واللغوية ، والتحريفات والتصحيفات واختلال أوزان الشعر . ثم إن النسخة المصرية طبعت عن الهندية من غير إصلاح واعمـال نظر فكانتا كالنسخة الواحدة .

فكان عملنـــا في الديوان ـ حيث لم يكن لدينا المعلوطة ، باعمال الفكر ليستقيم المعنى أو الوزن ، كما حدث في القصيدة الثانية حيث أجرينا إصلاحاً في عشرة مواضع لمخالفتهـا التشجير الذي التزمه الشاعر في تلك ا قصيدة ، ولم نشر الى كل ماغيرناه ، لأنه خطأ محض واضح .

وقد تيسر لنـــا مراجعة قصيدته في تهنئة فيصل بن تركي بمجيئه من مصر في الصفحة (٢٤٨) ومطلعهـــا .

لرب العلى أهل الثنا وافر الحمد   على أنعم جلت عن الحصر والعد

على مخطوطة لهذه القصيدة ضمن مجموع في مكتبة صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حفظه الله ، وكذلك قصيدته :

لك الله إني من فراق الحبائب   لفي لاعج بين الأضالع لاهب

في الصفحة (١٧) من الديوان ، و (٦٦) من « مختارات آل عبد القادر » [١] .

وقد شمل صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حفظه الله هـــذا الديوان برعايته كما هو دأبه في كل عمل صالح . جزاه الله تعالى كل خير .

والله نسأل أن يحسن مثوبته ، وأن يرحم الشاعر ، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق في ١٨ / ٥ / ١٣٨٤ هـ
في ٢٤ / ٩ / ١٩٦٤ م

الناشر

---

(١) وهو من منشورات المكتب الاسلامي .

ترجمة الشاعر

هو السيد عبد الجليل بن السيد ياسين بن ابراهيم بن طه بن خليل بن محمد صفي الدين ، ويتصل نسبه بالسيد ابراهيم طباطبا :

ولد بالبصرة سنة (١١٩٠ هـ) وكانت لهم فيها أملاك ونخيل ، وارتحل إلى قطر وأقام بالزبارة - ميناء قطر الشمالي - وكانت في عصره بلدة عامرة ، ولأهلها نشاط بالتجارة والغوص لاستخراج اللؤلؤ ، وكان كثير التنقل بين البصرة والكويت والاحساء والبحرين والحجاز

وكانت له مساجلات مع أدباء البلاد التي أقام فيها أو مر بها . ومدائح لملوكها وأمرائها وأهل الوجاهة فيها .

وكان طالباً للعلم الشرعي ، وأجازه الشيخ محمد بن عبد الله آل فيروز .

وكانت وفاته بالكويت سنة ١٢٧٠ هـ عليه رحمة الله تعالى .

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان من طين سميعاً بصيراً،وعلمه مالم يعلم ، وكتب عليه الشقاوة والسعادة في الأزل ، وبعدله حكم. قدر الأشياء بقدرته فدبرها وأبرم ، فسبحانه من إله عالم بدبيب النمل في حناديس الظلم ، ولايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، بل هو العالم بحركات الأمم .

أحمده حمداً يليق بجلاله ، تعالى ربنا وتقدس وتعظم ، وأصلي وأسلم على نبيه الطاهر المكرم ، القائل : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة » وعلى آله وصحبه بحار العلم والكرم ، الذين شرفوا به على جميع الأمم ، عدد ما كبر مكبر وصلى وسلم .

أما بعد،فينبغي لكل عاقل أديب ، من له في المعرفة سهم أو نصيب ، أن يعتني بمطالعة هذا الديوان العجيب ، الجامع للآداب والنظم والنثر الفائق الغريب ، كيف لايكون ذلك،ومنشئه رب الفصاحة والبلاغة، وحلاوة نثره يقصر دونه عبدالحميد وابن المراغة، الوارث للمكارم فرضاً من سلفه الذي تقدم ، وشنشنة سرت له من قبل أخزم ، حاز منقبة لاتصلح إلا له ،وأحدق بها كما تحدق بالقمر الهالة .

فرحمه الله رحمة الأبرار ، وحشرنا وإياه في زمرة الفائزين الأخيار .

هذا الكتاب

وقف لله تعالى

من صاحب السمو

الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني

حفظه الله

قال حفظه الله تعالى : قد وضعت لولدي عبـد الوهاب تاريخاً ، وقـد جاء متزناً ، فأحببت أن أجعـــل عليه بعض الأبيات مما يناسب ، بالتوسل بالله تعالى ، وهممت على ذلك ، فحصل بحمد الله تعالى ، وذلك سنة ألف ومئتـين وإحدى عشرة قبل صبح ليـلة الأحد لسبـع خلت من ربيـع الثـاني . وذلك أول نظمٍ نظمـه حفظه الله تعـــالى ، ومتعنا بحياته :

حَمِدْتُ الله إذ أسدى بفَضْلٍ ... وآلاء تسامَتْ أن تُضاها
كريم منَّ فيمن فيه أَضْحَتْ ... رياضُ ٱلقلْبِ مخضرّاً رُباها
وطابَ ٱلعَيْشُ وانكَشفَتْ هُمومٌ ... كَذاكَ ٱلنفسُ منتفياً عناها
فيامَنْ قَدْ منَنْتَ بغيرِ منٍّ ... بمَنْ سادَ الورى فخراً وجاها
أدمني فيه مسروراً دوامـــاً ... وفيه ٱلعين قرَّ بها كراها
ووفِّقْه لمـــا تَرْضى وجنِّبْ ... هوى الأهواء واحفظ من غواها
وسدِّد فيه كلَّ الأمرِ وارزُقْ ... له الاخوان واجعلني أباها
وإسمع دعوتي ربّي فهذا ... رجاءُ ٱلنَّفْسِ حقِّقْ لي رجاها
وخيرُ ٱلفألِ قد أرّختُ لابني ... بطَلعتِهِ بشيرُ ٱلسَّعْدِ باهـــا
صلاة الله تغشى مَنْ إليـــه از ... تسابي روحِ كلِّ ٱلكون طه[1]

(١) هذا مما اشتهر في العصور المتأخرة من أن « طه » من أسمـاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو غير صحيـح .

تحفّ الآل والأصحاب طُراً حُمـــاة الدِّين ماقارٍ تلاها

✲ ✲ ✲

ومما قاله أيضاً حفظه الله تعالى مادحاً أخاه في الله والمحب لوجه الله الشاب الظريف، والكامل الغطريف، عبد العزيز بن الشيـخ صالح بن حسين بن موسـى، ومشجراً باسمه واسم أبيه، وجده، وجدأبيه، وذلك سنة ١٢١٢ هـ. والتشجير: أوائل الصّدور نزولاً، وأوائل الأعجاز صعوداً.

علاَم الحِبُّ يهجُرني علامـــه ﻳُطيعُ ٱلْقوْل فيَّ بلا علامـــه

بلاني في هواه وصـــدَّ عنِّي سيقْضي بيننا حَكَمُ ٱلْقيامه

دعاوى الحُبِّ منّي صادقاتٌ ودعوى الحقِّ لم تَقْبَلْ ظُلامه

أتجزي بالوِدَادِ المحْضِ هَجْراً معنًى فيكَ لَمْ تَجحَدْ غرامـــه

لجُورِكَ في ٱلْهوى وٱلْصَّدِّ شأن نرى فيه المسالِمَ ذا سَلامَـــه

على أنِّي أقولُ وإن جفاني بمـــاذا شئت عذِّبْ لاملامَه

زفيرُ الوَجْدِ يَشْهدُ لي بأني نقيّ الحُبِّ وٱلْشجوى وسامه

يراني إذ براني ٱلْشَّوقُ هَـــلَّا يرقُّ لصَبِّه ويَفي ذمَامَـــه

زها قَلْبي بحِبٍّ لَيْتَ شعْري سبيلِ ٱلْعشْقِ صِرْتُ به امامه

بداءِ الحبِّ أكْلَمَني فها قَـــدْ جَفَى جَفْني فَلَنْ يلْقى مَنامـــه

نعى صبري وهَـاجَ الوَجْدُ لَمَّا نوى خِلِّي بأن يطوي خيامـــه

صَلَى قَلْب المشوق ومادعاهُ بنارِ ٱلْبُعْدِ إذ زادَ اضطِرامَه

إلى كَمْ هكذا تُصغي لواشٍ حَسُودٍ أوردَ المضنى حِمَامه
لَئنْ قَدْ جارَ عُدواناً وظُلْماً لأشكوه إلى ربِّ ٱلشَّهامه
حليفِ ٱلفضْلِ خِدْنِ ٱلْعِلمِ حَبْرٍ أخي الإِفضال مَنْ حاز ٱلْكرامه
بَدَتْ فيه ٱلفضائِلُ والمعَالي صغيراً حيْثُ لم يَلْق احتلامَه
نقيِّ ٱلْعِرْضِ محمودِ ٱلسَّجايا نحاهُ ٱلفضْلُ كي يُلقي لِثامه
حوى المجد الأثيلَ أباً فجدّاً بعيد المثل ماأعلا مقامَه
سجيَّتُه ٱلتواضُعُ لالِذُلٍّ زها فيه ٱلْعُلى فعلى سنامه
يَرَى كَسْبَ المفَاخِرِ فَرْضَ عَيْنٍ يؤدِّيه فألزَمَنا احْتَرامَه
نجيب كاملُ الأخلاقِ حسناً زعيمٌ بالمكارم وٱلفخامه
بمُرهفِ فِكْرِه الوَضَّاحِ يجلو غَوِيصَ ٱلْبحث كَشَّافاً قتامَه
نُهاه راجحٌ في كلِّ أمْرٍ لَهُ الخُلُقُ الأغرّ وذو الوسامه
محاسنُكَ ٱلْبهيَّة قــد تسامَتْ أيامَنْ حازَ مِنْ فَخْرٍ مَرامَه
ومَنْ لَمْ نلفَ قطّ سواهُ شخصاً دعي لتذكُّرِ أيام رامَه
سليماً دُمْ مِنْ الآفاتِ طُرّاً بطه من أظلَّتْهُ ٱلْغمامَه
يحفُّكَ ياأخيّ خفيُّ لُطْفٍ على ماشِئْتَ كُنْ تحمدْ خِتَامَه

ومما قال والدي حفظه الله تعالى ، ومما جرى بيني وبين الأخ في الله الشيخ عبد العزيز بن صالح المتقدم ذكره من الألغاز في ذي الحجة الحرام عام أربعة عشر بعد المائتين والألف،قال والدي: قد ألغزت له في لفظة « حرب »وقد صار فألاً في المجاراة في هذا الفن ، وشن الغارات فيه ، قولي وبالله التوفيق ، وبه نستعين :

ياسيّداً فاقَ في علمٍ وفي طُرَفِ ... وماجداً في اكتساب ٱلفضلِ ذا شَرَفِ

أبن لنا مابه يُبلي ٱلشجاعُ وفي ... تصحيف أوسَطِه للمرْءِ خيرٌ وفي

تصحيفُ أوَّلِه للصَّقْرِ مُقْتَنصٌ ... وصدِّرِ ٱلْعجز تَبلُغ معْدِنَ ٱلصَّدَفِ

تقديم أوسطه ربعُ ٱلْكِرام وإن ... قطَعْتَ أوَّلَهَ فاللُّطْفُ منه خفي

وإنَّ في كسره جَبْرَ ٱلْقلوبِ وإنَّ ... ٱلْفتح كان بكلِّ ٱلسائماتِ حفي

يخالفُ ٱلْنهي ترخيمٌ لآخِرهِ ... وٱلْقلْبُ لكنَّ فيه ٱلْقِنَّ ذو شرف

فحرِّرنَّ جوابي دُمْتَ محترماً ... يُشَارُ نحوكَ في الآداب وٱلظُّرَفِ

* * *

فجاب بقوله رحمه الله تعالى ، وذلك في التاريخ المذكور يوم رابع ذي الحجة الحرام :

ياسائلي كشْفَ لُغزٍ ليْسَ يدرِكُه ... فهي إذا اللّغْزُ عندي غيرُ منكَشِفِ

لكنَّه بَرقتْ لي منْهُ بارقةٌ ... بانتْ لديَّ كبْدرٍ لاح في سَدَفِ

خُذْه إليْكَ ففي تأخير أوَّله ... ما يستفاد من الاسفار والحرفِ

وَدَعهُ عَنْكَ إذا صحَّفْتَ أوَّله ... كفاكهُ اللّهُ مِن داءٍ ومن كلفِ

وقلبُهُ معَ ذا ٱلتَّصْحيفِ يمْنعُ من ... غزوٱلعدىومدارٱلشَّمسفيٱلشَّرفِ

وضمُّ أولَّهُ مع طَرْحِ أوسَطِه ... بهِ يهيم ذَوُوالألبابِ وٱلظُّرفِ

من أخذكَ ٱلْقلْبَ معْ تصحيفأولِّهِ ... يقولُفي يوسُفٍ يعقوبُ وا أسفي

وإن تُقدِّمْ معَ ٱلتَّصحيفِ أوسطه ... فذاكَ شهْرٌ له ٱلتفضيل غيرُ خفي

وفيه أشياء لا أستطيعُ أنظِمها ... لضيق وقتٍ عنالآداب مُنْحرفِ

فاعذُر فما ليَ في حلِّ الرُّموز يَدٌ ... لازَالَ عِلْمُكَ يروي كلَّ مُغْترفِ

* * *

ثمَّ كتب رحمه الله للوالد حفظه الله ملغزاً في شطب ، في الخامس من التاريخ المذكور :

أياسيدي يامن توغَّلَ في ٱلْعُلى ... وفي ٱلْعلم حتى بذَّ كلَ عَليم

أبنْ لي فلا زالت عُلومُك تُجتَلى ... فتجلو لنا دَيجُورَ كلِّ بهيم

فما ذو قوام كالقضيبِ مُهفهَفٍ ... يَهيمُ به في ٱلنّاسِ كلُّ عظيم

فيرشُفُهُ طَوراً وطوراً يضمُّهُ ... جِهاراً ولا يخْشى فعَال أثيم

يُمجُّ بريقٍ وهو يشكو مِنَ ٱلْصدى ... ويجفى ومَن يجفوهُ غيرُ مَلوم

إذا بانَ منه ٱلْصَّدْرُ أصبحَ هادياً ... لكلِّ دواءٍ بُرءُ كلِّ سَقيم

وسحراً يُزيل ٱلْعقْلَ ،أوزالعجزُه ... فنهرٌ عظيمُ المدِّ غيْرُ ذميم

رشاءٌ إذا صحَّفْتَ منهُ أخيره ... وفي ٱلْقلْب مِنْهُ فِعلُ كلِّ غشُوم

على أن فيه عند تصحيفِ صدْره ... وتأخيرنا للقلْب لينُ كريم
وفيهِ معَانٍ لا أَبوحُ بذكرِها ... لعلَّك تُبدِيها لنا بنَظِيم

* * *

فأجابه الوالد حفظه الله يوم وروده عليه ، بقوله في التاريخ المتقدم :

أَيامن تسامى فوقَ كلِّ زعيم ... وياشافياً بالحِدْسِ كلَّ سقيم
سأَلت صديء ٱلْفكر كشْفاً لغامضٍ ... تجاهَلْتَ بي مِنْ باب جَهْل عليم
فأَحجمْتُ لم أَطْمعْ بشقِّ غُباره ... فلي ٱلْكَفُّ أَولا لوكفاف وَجُوم
سوى أَنني استصبحتُ منْ نور طرْسه ... فأَنْتجَ لي فكْري نَتَاجَ عَقِيم
فدونَكَ ذا جَوْفٍ وما قطُّ رُكِّبَتْ ... به شهوةٌ تدعو لِفِعل أَثيم
محالٌ بلا خَرْقٍ تتمُّ أَمورُهُ ... وَيُكسى ويُعرى بالسّوى لنعيم
تَراهُ سَميراً لِلمُلوكِ جَنابــهُ ... وَذَوالهمِّ يرضاهُ لكشف هُمُوم
وَلذَّتُهُ ما حلّت ٱلنّار رأسهُ ... كذا ٱلعُودُ لم يعبق بغير جَحِيم
إِذا ما طَرَحْتَ ٱلْقلْبَ منهُ فانَّهُ ... لِبعض عِلاج ٱلْعيَن طب حكيم
ووصفٌ لِعمر المرءِ لكِن ألـذّه ... وليسَ ٱلْفتى فيه يُرى بمديم
بتصحيف صدرٍ بعد تأخير قلبه ... يقال لنجــل لِلرّسُول كريم
وان زال منهُ ٱلصّدرُ والحال هذه ... فطيرٌ لذيذ ٱلطّعم غيرُ ذميم
وقدجاء كوراً في خراسان قلبُهُ ... كذا قال في ٱلقامُوس بحر عُلوم

وفيه معان قد تركتُ نظامها حذار مَلال مِن أخي ونديمي

فخذه جواباً نقد حُرٍّ يزينُهُ نظامٌ كبدرٍ لاح بينَ نجُوم

✲ ✲ ✲

ثمّ كتب له رحمه الله ملغزاً في لفظة (مسباح) :

وَما اسم خُماسِيّ الحروف ترى لهُ نُزُواً على الأَيدي يدور ويقعدُ

إذا بان خُمساهُ لنا باحَ عجزُهُ لدينا وقد يعنى به المُتَعَبِّدُ

وإنْ قُطّ منه الرّأسُ فالقلب حابسٌ حشاه فلا يُلقى ولا يتبَــددُ

✲ ✲ ✲

فأجابه الوالد حفظه الله تعالى :

إليكَ جواباً يا أَخا ٱلْفضْل وٱلنّهى بديعاً لهُ معنىً شريفٌ مُسَدَّدُ

إذا بان مِنهُ ٱلصّدرُ وٱلعَجز شمّتهُ سَبَا الرّوم نهداه وكفلٌ مُشيَّدُ

بهيئِته هذي وتصْحيف قلْبه سَنا تهتدي فيه الوفودُ وتُرشَدُ

وَحسبي فمُ المحبوب يبدُو بصدره تراءى كزنار على ٱلْكشْح يُعقدُ

وفيه اختلافٌ قد جرَى باتّخاذِهِ أأمرٌ قديمٌ أمْ حديثٌ مُجدَّدُ

✲ ✲ ✲

ثم كتب له والدي أيضاً رحمه الله ملغزاً في لفظة (عصا) في الشهر المتقدم :

أَيامن اليه ٱلْيوم قد صارتِ ٱلْفتْوى ففي ٱلْعلم ما أحلى وللفضل ما أحوى

عَنيتُ أخي عبد ٱلْعزيز بن صالحٍ سليل حُسين نجل موسى أولي ٱلْتقوى

أفدني فلا زلت المفيد لِسائــلٍ نوالاً وعلماً ما نفى ٱلظالم الأضوى

فما ذو قوامٍ أملسٍ ذي رَشاقةٍ يرُوقُك منْ لونيه ما ابيض لا الأحوى

رفيقٌ نصوحٌ ذو ذمام أكيدةٍ عطُوفٌ على مرءٍ لصُحْبته ألوى

يُميطُ الأذى مهما استعَنت جَنابهُ ويَدفعُ عن أربابهِ عارِضَ ٱلْبلْوى

وأحملهُ طوراً وطوراً يقومُ بي حَمولاً ولوماً كان مِنْ هيَفٍ أقوى

أُعيذكَ من وصفيكَ فيه فإنَّهُ أتى جامعاً للوَيْل والخسر والاغوى

إذا ما رأيتَ ٱلصّدَر منهُ مُؤخّراً ففيه يزكّي المال من دَرَن الأهوا

وإن جاء ماصدَّرته ذا تصحُّف فذلك نشرُ ٱلفَضْل من نحوكم يُروى

ووَصفٌ لهذا ٱلْعلْمِ في وقتنا أتى وذاك لأنّ الجهْل سُلطانه أقوى

بتصْحيفه هــام ٱلفؤادُ لذكْرهِ وإن كان جسْمي منْ تسعّره يُكوى

وللعجْز ان تسلبه والحالُ هكذا فدأبٌ لطرفي عن معايب من أهوى

فدونَك واخلصْ لي عُقَار قريضكم فما شئت في مَدْحيك إيطا ولا إقوا

وإن جاء ممزوجاً بذكرى أحبّتي فذلكَ لي أحلى من المنّ والسلوى

فإني ٱلّذي لايرعوي عن مرامه ومن ذاق طعم الحُبّ لا يعرف ٱلسلوى

فدم واسلم اسعد واغنم احظ فز ارتفع تهنَّ تسدّد عزّ ما انهلّت الأنوا

✲ ✲ ✲

فأجاب أسكنه الله فسيح الجنان وحباه الرّحمة والمغفرة والرّضوان :

أزهرُ ربى أم درّ مُبتسمٍ أحوى وزهرُ سماءٍ زانت ٱلليل بالأضوا

أم ٱلنظمُ من ألفاظِ سيّدنا الذي تبوّأ في ٱلعليا فكانت لَه مأوى
أناف على ٱلسَّادات بالفضْل وٱلنهُى وبالعلم حتى صار من كفّه يُروى
هو ٱلسيّد الجحجاح عبد الجليل من يرى من ينمّي الخير خير بني حوا
تأرّجتِ الآفاق من نَشر ذِكْره ومن نشره المِعلْم قد أرج الجوّا
تَفنن في جمــع ٱلعلوم وَبثّ ما يحُثّ على حَلّ الرّموز ولا غَروَا
فألغَزلي عـن ذات قَـدٍّ رَشيقة تميل إلى ممشوق قامتها الأهوا
إذا مامَشى السّاعي يهيم بضمّها إليه وأما في ٱلفراش فلا تهوى
غدَت لِكليم ٱلله أعظم آيةٍ حباه بها من يَعلْم ٱلسرّ وٱلنَّجوى
إذا صُحّفت مع حذف آخر لَفْظها يكونُ طَرِيّا لانزيدُ به كُفْوا
وفي ٱللّفظ إن وسّطت صَدْر حروفه وَصَحّفته ميلاً فَدَعْ ذلك ٱلصّغوى
وان كانَ مع ذا آخراً صاغ حلية تُحلّى بها الحَسناءُ ذاتُ ٱللّمى الأحوى
وإن كانَ مَقلْوباً وهاتيكَ حالُهُ يكنْ مخرجاً للدُرّ من أصعَب المثوى
فخذ سَيّدي مني جَوابَ تكلّفٍ لأني على ذا الحرْف في ٱلنظم لا أقوى
وسامح فلولا عَزْمَةٌ منك لم أفُهْ بما جئتُ فيه خَبْط عَمياء أو عشوا

ودُمْ وابق واسْعدْ واهْنَ واسمُ سُدِ ارتفعْ
وَجُدْ وانفع احلُ امْرر وُقيت منَ ٱلبَلْوى

ولا زلت تهدي من حلاوات نظمكم إلينا فتسلينا عن المن والسلوى

* * *

ثم كتب لوالدي حفظه الله ملغزاً في لفظة (نجم)

وما اسم في السماء له نظير بنبت الأرض ، منظره نضيرُ

أراهُ بناظري ويراه قلبي مجنًّا فوق أرؤسنا يدورُ

اذا أسقطت ثلثاً منه يبقى لدينا بعده جم كثيرُ

وصحِّف مابقي واقلب تجد ما يجود به لك العظم الكسيرُ

* * *

فأجاب الوالد حفظه الله تعالى بمثله :

إليك جواب ِخلٍّ ذي وداد رسوخ في الفؤاد فما ثبيرُ

إذا صحفت ثلثاً منه فاعكس يكن ماقاد ذا الزمن العسيرُ

وإن قدمت منه العجز مع ذا تنل منحاً حباك بها الشكورُ

وإن سقط الحشا منه فأمر لما قد يستريح به الكثيرُ

وإن تجبر بوصلك كسر قلبي تبيّن منك منّ لايبورُ

ومن جا مشبهاً لك في فعال فياهيهات قد عز النظيرُ

* * *

ثم كتب لوالدي حفظه الله تعالى ملغزاً في لفظه (قباء)

يامبدياً كِلماً يُعيي ذوي النظر وكاشفاً كل ما يخفى على الفكر

ماسم لشيء على الأبدان مشتمل يغنى بملبسه من بالكمال حري

له تصاحيف منها وصف حامله شرخ الشباب وأخرى منتهى العمرِ

وتارة لك يبدو منه فاكهة ورّبما جاء بالعسالة السمر
وقلبه وصف عبد فرّحين عصى مولاه مثل فرار الطائر الحذر
وإن تصحِّفه مقلوباً يكن لك عر نيناً ويعجب حسناً كل ذي نظر

✲ ✲ ✲

فأجابه الوالد أبقاه الله تعالى بأتم نعمة :

هذا مضعّفه قد قال والدنا طباطبا لا ثغاً من غير ما هذر
فصحّف القلب يبدو حسن طلعته كأنه قمر إن حل في الصدر
أوأنه ردف هيفا كاعب خطرت بقدها الفاتك المعزو للسمُر
وقد نفى حبها مني الرقاد وما نسيت عهداً مضى في سالف العمر
بقطعك العجزمع ماقدذكرت ترى مرعى البهائم مخصوصاً بذي الحضر
وكم يرى بالهوى من كان ذا شرف قناً ذليلاً مطيعاً كلّ مؤتمر
وقطعك الرأس مع ذا فليكن أبداً طرداً وعكساً بمعنى واحد عطر
هذا جوابك فاستر لي مثالبه فلا برحت من النعمى على سرر
نظمته والكرى قد زار ناظرتي فرحب الجفن فيه وانطفت فكري

✲ ✲ ✲

ثم كتب له والدي نظر الله إليه نظرة الرضى بمنّه وكرمه ملغزاً في لفظه (برد):

يا إماماً حَسُن النظم به وكذا النثر معاً لا كُبِتا
أيّ شيء يُتقىّ البرد به وهو في الحرّ جمال للفتى
ولدى التحريف عين القرّكم يُتقى منه ببرد في الشتا

ولقد جاء لبعض الخلق سو ط عذاب مؤلم حيث عتا
وإذا صحفتَ منه بعضهُ فهوَ لهوٌ منعه قد ثبتا
ولدى التصحيف مقلوباً فللنـ ـفس نزه منه إن كان أتى
قلب هذا لا تحد عن عدله إن من قد حاد عنه مقتا
فاقطع الرأس مع القلب تجد ه على الحسناء ما قد بهتا
وبهذا وعلى التصحيف ما هان تشبيها وما قد هفتا

✲ ✲ ✲

فأجاب نور الله تعالى ضريحه :

يا هماماً أبدعت أفكاره معجزات من رآها سكتا
حرت في لغزك لما جاءني فغدا فكري لديه مخبتا
قلبه مهما تصحف بعضه صفة تحمد من نطق الفتى
إن ترد برّك منه فاطّرح آخراً منه وحرف مثبتا
وكذا إن رمت منه حنطة ترها أحسن شيء قوّتا
مع هذا قلبه حرف وإن صحف البعض فغرمول نتا
إن تصحف ثلثيه تره بلداً في فارس قد ثبتا
أو تقدم آخراً منه يكن دبراً من كل شيء قد أتى

✲ ✲ ✲

ثم كتب له والدي جعله الله تعالى من عباده المقربين :

يا من حوى مجداً وعز فضائل وسما إلى العليا بهمة باسل

ماذا الذي يحكي قوام معذبي حباً ويحسده قوام الذابل

ياما أعيذ به وفي أغصانه يشدو الهزار لدى نسيم أصائل

وتراه إذ عبث النسيم بخوطه ثملا يميس كميس ذات خلاخل

من جاء موصوفاً بتصحيف له فقد ارتدى برد المنيب الواجل

ياليت خلي كان موصوفاً بذا التصحيف مغلوباً معي بالعاجل

ما ثاب عقلي مذ رأيت خياله طيفاً أتى مثل الغزال الخاتل

اثر الزمان تراه في معكوسه فينا بابعاد وقطع تواصل

بث اشتياقي ما عسى يجدي به قطع الفؤاد وصحفته عواذلي

* * *

قال والدي حفظه الله تعالى مادحاً ابن عمه السيد حسين بن السيد إسماعيل ابن السيد إبراهيم ومهنئه بزواج ولده السيد علي سلمه الله تعالى على ابنة عمه وذلك في ذي الحجة سنه ١٢١٥ :

بشائر السعد وافت ترفع الحجبا منيرة فازدهت ألبابنا طربا

ومذ بدت أنجم الاقبال طالعة في مركز العز ولى الهم منشعبا

وأمطر الانس روضات القلوب وكم أنشا بهن ارتياحاً مزق الوصبا

فعاطنا من كؤوس البشر صافية إنا وجدنا بها الأحزان صرن هبا

حمراء صرفا بلا مزج يكدرها عتيقة دنها قد أخلق الحقبا

وغننا بحديث الحب تنعشنا ففيه ترياق قلب بالجوى التهبا

طاب الزمان لنا إذ أن مالكتي من بعد طول الجفا قد واصلت رغبا
زارت بلا عدة منها فعاد لنا برد الشباب جديداً بعد ما قشبا
فكان صفو حياتي لا يكدره صرف الزمان الذي قد عود النوبا
وصرت أختال ما بين الورى جذلاً حيث الزمان ارعوى عن كل ما ارتكبا
فليهنني العيش في وصل الحبيب وقد زال الرقيب ويا ما ظل مرتقبا
فاليوم لا لوم قد أدركت مطلبي وصل وصفو وأمن والشباب ربا
كأن وقتي هذا في نضارته أيام تزويج نجل المجتبى حسبا
السيد الماجد الندب الذي انحصرت به المكارم حيث استغرق الرتبا
ابي علي حسين من رقا شرفاً إلى مقام سمواً يعجز الشهبا
من الرسول تبدّى فرع دوحته فمن يجاريه في مجد إذا انتسبا
عن جوده حدّثت لسن العفاة إذا ما أبصرت أبحراً أوما رأت سحبا
تلقاه طلق المحيا باسماً بهجاً يومين يوم هياج أو بيوم حبا
ماشاب بالمن مايسديه مكرمة فلو حبا الكون لم يعبأ بما وهبا
لم يعرف الوعد في معروفه أبداً يجود قبل ينيخ الوافد النجبا
فسل بني عامر كعباً ومنتفقاً وسل ربيعة عنه تلق خير نبا
ذو همة قصرت عن بعضها همم من الملوك ذوي العصر الذي ذهبا
يقارع القرن في بأس يراه به عدوه وهو فرد جحفلاً لجبا

إن العشيرة أضحت منه في عدد | جم ولو عدها نزراً إذا حسبا
فقد يقوم مقام الجيش واحده | وليلة القدر كانت في البها حقبا
أضحى به الجار في عز وفي دعة | ولو تراكم وقع الخطب ماا كتربا
إذا التجا بحماه طامع وجل | يسره الأمن واستيفاء ماطلبا
من همه حوز مايوليه محمدة | لاضم من جمعت في ثغرها الضربا (١)
حاز المفاخر والأسباب شاهدة | بالجد والجد موروثا ومكتسبا
كهف الأرامل والمستضعفين ثما | ل لليتامى لهم في البر فاق أبا
غدا ربيع أولي الحاجات بحر ندى | يرى الصلاة صلاة فرضها وجبا
سهل الخليقة بالمسكين ذو شرس | على امرىء عجبه قد أظهر العجبا
فيا أخا الفضل يامن لايروم له | سبقاً بمضمار فضل من زكا حسبا
يهنيك عقد عليٍّ إذ به انعقدت | له المسرات والإقبال قد صحبا
عقد أغر غدا ميمون طالعه | نجم السعادة في أفق العلا رقبا
فبالرفا والبنين الغر غايته | وفيه جمع لشمل الأقربا اقتربا
سر القلوب فأضحى وجه أربعها | أبهى من الروض حسناً في أنيق ربى
فياله من زواج طاب فابتهجت | كل القلوب به بشراً نفى الكربا
فهذه نعمة والشكر مفترض | لها علينا وشكر الله قد وجبا

---

(١) الضرب ، بالتحريك : العسل الأبيض ، والكلام على التشبيه .

وهذه غاية الآمال قد حصلت ... إذ في عليّ بلغنا القصد والأربا

عليك ياعم عند الحادثات به ... تجده خير وزير يدفع النوبا

فأنت عين لهذا العصر وهو له ... كف وبالكف تكفى العين ماوصبا

عوّل عليه بكل الأمر عن ثقة ... واركن إلى الرأي منه تلقه عجبا

ولاتقل إنه في السن ذو صغر ... كم من صغير لشيخ فائق أدبا

هذا معاذ عن الهادي على يمن ... بخمس عشرة عاماً للقضا انتدبا

إنّا نرى الرشد يبدو من مخايله ... في المهد واليمن مع آدابه اصطحبا

مهذب فطن موفق يقظ ... يفوق في فضله من قال أوكتبا

أولاك مولاك منه ماتسر به ... ومن بنيه ليوثاً قادة نجبا

وهاك مني عروساً كاعباً فضلت ... أترابها ذات حسن للنهى سلبا

حوت بديع معان بالبيان زهت ... تنسي بلاغتها قسا وماخطبا

توليك في صفحات الدهر حسن ثنا ... يميد عطف أخي فضل له طربا

زفت اليك وأنت الكفء في شرف ... منك القبول لها من خير ماوهبا

تجر ذيل اختيال بالحيا برزت ... اليك قدمتها لاأبتغي نشبا

تأبى المروّة والآداب من خلقي ... بأن أكون بنظم الشعر مكتسبا

لكنّ سابقة الأيدي علي لكم ... تستوجب الشكر أعظمْ لي بهاسببا

لا زلت وابنك في عيش صفا لكما ... به الزمان وقد وقيتما العطبا

والسعد ملق عصاه في ربوعكما ... ونلتما الأمل الأقصى كذا الطلبا

ماقهقهالرعد أوعين السحاب بكت | فجلّلت لؤلؤاً رطباً رياض قبا

وقال ايضاًمجاوباً لصاحبه عثمان بن سلمان عن مقاطيع ومواليا رفعها اليه والوالد سلمه الله إذ ذاك في البصرة وقد أقلقه محاصرة سلطان بن سعيد امام عمان للزبارة وانقطاع الخبر الصحيح عن الاهل والاولاد مدة أشهر وتزوير أكاذيب يروجونها دواعي سلطان ويذيعون عنها أخباراً مؤلمة ، فقلق الوالد لذلك ، فأنشد هذه القصيدة مشيراً بها لنفس الواقع ومشبباً وهاجياً وختمها بمدح عثمان المذكور وجعلها جواباً عما طارحه فيه من الابيات ، فأخرسه بعدها، وذلك في سنة ١٢١٧ قال حفظه الله تعالى:

٭ ٭ ٭

لك الله إني من فراق الحبائب | لفي لاعج بين الأضالع لاهب
أكابد أشواقا يكاد لفرطها | توقّد في جنبيَّ نار الحباحب
يبلبل بالي قادح البعد والهوى | فصرت أخا قلب من الوجد ذائب
أبيت على شوك القتاد صبابة | أكاف جفني الغمض وهو محاربي
فما حال مسلوب القرار مسهد | عديم اصطبار نازح الحب عازب
أخي وله مضنى الفؤاد متيم | مشوق معنًّى ذي غرام مجاذب
غريب ولكن بين أهلي وجيرتي | ومستوحش مابين خلّي وصاحبي
وماذاك من بغض ولكن أخو الهوى | شجي فلم يؤنسه غير الحبائب
أروح وأغدو عادم اللب لاأعي | مقال جليسي أو كلام المخاطب
تظن بأني في الفهاهة باقل | أو البهم لي فيها عظيم تناسب
كأن لم أرث يوماً فصاحة أحمد | وليس الذكا لي من لؤي بن غالب

تقول بنو عمي نرى بك حيرة ... ولست بحمد الله علقاً لناهب
ولا المال منزور ولا الجاه قاصر ... وأنت على عرق من المجد ضارب
فقلت نعم إن الهوى لايحل في ... فؤاد فيخلو من هموم تواعب
هواي زباري ولست بكاتم ... هواي ولامصغ للاح وعائب
أتوق اذا هب الجنوب لأنني ... أشم الغوالي من مهب الجنائب
نأت دار من أهوى وعز مزارها ... ومن دونها قد حال قرع الكتائب
وسد طريق القرب منها بخمسة ... وخمسين جلى من عظام المراكب
ملاءاً جموعاً للعدى كل جحفل ... يدكُّ الرواسي من زئير المقانب
فلا خير بالجزم يرفَّع عنهمُ ... وحاليَ في خفض من الشوق ناصب
طويل اغتراب وافر الشوق كامل الـ ... غرام وحبي ليس بالمتقارب
لقد أنزلت آيات حبي بمحكم ... من القلب لم تنسخ بوحي المعاطب
فهل لي ترى عوداً الى حج كعبة الـ ... جمال لأسعى بالصفا لمآرب
وأقضي لبانات الفؤاد ويشتفي ... غرام بقلبي صار ضربة لازب
رعى الله أوقات السرور التي مضت ... لليلات صفو عاريات الشوائب
ليالي لم أخش الوشاة ولم أكن ... أحاذر فيها من حسود مراقب
بها حزت آمالي وما كنت راجياً ... من القرب من حسناء هيفاء كاعب
رصوف أنوف ناهد غادة رمت ... بسهم من الألحاظ للصب صائب

من الخفرات الغر غنجاء بضة ... بديعة حسن من بنات الاعارب
لعزتها لألاء من تحت طرة ... كبدر تبدى من سجوف الغياهب
لها مبسم ألمى ، شهيٌّ معسَّل ... بحسن حديث ساحر القلب سالب
منعمة خرقاء لم تدر مهنة ... نؤوم الضحى تسبي بزج الحواجب
فما روضة غناء دبج زهرها ... وطرزها كف الغوادي السواكب
بأبهج منها منظراً حين لي بدت ... من الخدر في وجه من الحسن ثاقب
شيوع ودود لم تخن لي ذمة ... محجبة عن كل عين بحاجب
كتوم لاسراري حضوراً وغيبة ... رضيت عن استخبارها بالتجارب
تميل معي طبق المراد ولم تحل ... عن الودّ لي من دون كل الاقارب
يقبح فعلي عندها بعض أهلها ... فتأبى ولم تسمع مقالة عائب
فوالله لا أسلو هواها بحالة ... وفي غيرها والله لست براغب
على الرغم قد فارقتها لا ملالة ... ولا عن قلىً لكن لسوء المذاهب
ففارقت طيب العيش بعد فراقها ... ولا ساغ لي يوماً لذيذ المشارب
وودعت نفسي عند ساعة ودعت ... وأقبلت ذالبٌ من الشوق ذاهب
فعانقتها والدمع بلل مرطها ... ومن مدمعي يرفض مثل السحائب
وأورث بقاي لاعج الشوق والأسى ... وأبقت رسيساً للهوى والغرام بي
لحى الله دهراً ساءني بفراقها ... ودام بنار البعد عنها معاقبي

وعوضني عنها بسوداء فاحم ... تروّع في وجه عبوس مغاضب
خلائقها سودا قبيحة منظر ... مشوهة حازت جميع المعائب
فجبهتها قعب عبيق اذا انكفا ... وقد غارت العينان تحت الحواجب
وأنف كبطن القوس أفطس لم تطق ... تعبر أنفاساً لضيق المثاقب
أرى شفتيها مثل طوق ويذبل ... وشعراً كليف النخل دون المناكب
عجيب ببحر الزين تدعى وانها ... لأبعد من زين كبعد الكواكب
ولوحيك درع من عبير ودرعت ... بذاك فليس النتن عنها بذاهب
ومن عجب تبدي امتناعاً تدللاً ... وجمعي لها والله إحدى العجائب
فمالي والسوداء لادر درُّها ... وأعمقها عن كل تال وعاقب
تكلفني الايام ما لا أطيقه ... ببعد حبيب أوبغيض مقارب
أرود لنفسي ما يزحزح همها ... لينزاح عني بعض ما هو كاربي
ويطفي لهيباً في الضمير من النوى ... وأسهوَ عن شوق لقلبي لازبِ
فلم ألق من يصغي لشكوى متيم ... ولم أر ما يجدي لدفع النوائب
بلا في نظام قد أتاني مقنع ... لسلوة محزون وراحة تاعب
نظام كعقد من جمان مفصل ... تحلَّت به الحسناء فوق الترائب
وكالروض صبحاً إذ تكلل بالندى ... وكالوصل من حب ملول مجانب
لقد حاز من حر الكلام رقيقه ... فما هو الا من شريف المكاسب

معان يغالي في بديع بيانها ... وموجز لفظ جامع للغرائب
يلذ على الاسماع لو قرطت به ... وتكسب منه النفس نشوة شارب
ولمْ لا ومن وشاه حبر مهذب ... امام له في الفضل أعلى المراتب
هو الماجد المفضال عثمان من سمت ... فضـــائله أوج النجوم الثواقب
همام تحلىَّ بالكمال فلم تجـــد ... له من يضاهيه بغر المناقب
ومن دوحـــة طابت وحق لمنتم ... اليها افتخار في كـــريم التناسب
الى طلحة الخيرات تعزى فروعه ... فياحبذا فرع الاصول الا طائب
لقد حاز رأياً ذاسداد اذا دجت ... غياهب خطب شق داجي الغياهب
إذا ما عويص البحث أشكل حله ... بفكـر كعضب للاصابـة صائب
منيع الحمى لم يرض يوماً يصيب من ... يجـــاوره بؤس وهضم لجانب
جـواد فمـن يقصـده يلـق بشاشة ... وبشراً وجوداً هـاطلاً بالرغـائب
وان حل عـاف في رحيب فنـائـه ... فلم يخش عند الجدب بؤس المساغب
وثيق عهـود بالاخـاء محافـظ ... على الود لم يخفـر ذمـاماً لصاحـب
حليف التقى عف الازار لقد سعى ... لمرضاة مولاه برغبـــة راهب
وكم من مزايا لابن داود لم يكد ... يطيق لهـا ضبطا يراع لحاسـب
فيا سيداً مازال يجهـــد نفسه ... لكسب المعالي جهد أحوج طالب
ومن فاق في المجد المؤثل والعلى ... وفي الشرف الباهي العلي المناصب

اليك عروساً من سلالة هاشم ... فأنت لها كفء وأكرم خاطب
وإني وان قصرت عن كنه مدحكم ... فما اسطعت أستوفي عديد الكواكب
فمعـــذرة يابن الأكارم انني ... لذو فكرة عمياء صلدى المضارب
ولم يسق من غيث البلاغة خاطري ... ولست أخا شعر ولست بكاتب
ولكن حبي فيك زاد فمنه قـــد ... توقد فكري واستنار الذكاء بي
فلازلت مطروق الغناء ممدحاً ... حميد المساعـــي نائلاً للمطالب
معـانا سعيد الجـد ماحنَّ مغرم ... الى قطر أوزم شرع المراكب
ومابث شكواه المتيم قائـــلاً ... لك الله اني من فراق الحبائب

☼ ☼ ☼

ولمـا دخل الزبارة سليمان بن سيف بن طوق أمير غرو بن سعود الذي قبض على آل خليفة وأخرجهم الى الدرعية كرهاً ، واستولى على البلاد والرعية ، وصار جميع من بالزبارة تحت قهر أمير بن سعود هذا المذكور ، وبعد استقراره في الزبارة تقرب اليه بعض المتأكلة بقصيدة طويلة الذيل مدحها سعوداً وأتباعه ، وهجا بها كثيراً من أعيان الزبارة ومشايخها ، فحكم سليمان على سيدي الوالد بأن يقوّم ما اعوج منها ، وبعث بها اليه وكتب في ظهرها ما نصه : من سليمان بن سيف الى الاخ عبد الجليـل : سلام عليكم ، وبعد فان أخاك فلاناً قائل قصيدة قائمة المعنى ، مائلة اللفظ ، فأصلحها على الميزان العربي . ولما وقف عليها واذا هي مشتملة على هجاء المسلمين من أصحابه وغيرهم ، فاستنكف من إصلاحهـا ، ودافع سليمان عن ذلك بكل وجه خوفاً من مشاركة قائلها في سوء صنيعه ، فلم تفـــد مدافعته ، وبعد أن طالت المجادلة بينهما وعلم سليمان منه الامتناع ، أظهر له الغلظة وأخافه ثم حكم عليه بإصلاحها ، فما وجد وجهاً يتخلص منه به إلا أنه قـال له : إني أعمل قصيدة

أخرى على حدتها ، وصاحب هذه القصيدة يجد من يصلح قصيدته ، فرضي منه بذلك ، فقال هذه القصيدة ، فاقتصر فيها على مدحهم ، ثم إن سليمان رفعها الى سعود ، فوقعت منه في أعظم موقع وطار بها سروراً ، ولذلك كرر إنشادها في مجامعهم العامة ، وبعد الحديث على رؤوس الاشهاد ، وبعث منها عدة نسخ الى بعض أمرائه ليفهموا منها فتح الزبارة واستيلاءه على أهلها ، فقالها في ذي الحجة من سنة ١٢٢٤ الاربعة والعشرين بعد المائتين والالف . فقال رحمه الله تعالى :

* * *

تباركت ياموَلى الملوك الأعاظم ... وعزيت يامبدي الجميل وراحمي

لك الحمد إذ أوليتنا منك أنعماً ... يضيق لها ذرعاً يراع لراقم

وأتحفتنا بالدين دين محمد ... عليه صلاة مع سلام ملازم

فأضحت به منا القلوب منيرة ... وتزهو كما يزهو الربى بالسواجم

فأعظم بها من نعمة حق شكرها ... علينا وشكر الله آكد لازم

جزى الله رب العرش بالصفح والرضى ... وبالخير من قد كان أصدق قائم

بنصرة دين المصطفى وظهيره ... هو الحبر ذو الافضال حاوي المكارم

هو الورع الاوّاه شيخي محمد ... هو القانت السجاد في جنح فاحم

لقد قام يدعو للمهيمن وحده ... فريداً طريداً ماله من مسالم

وجاهد للرحمن حق جهاده ... وفي الله لم تأخذه لومة لائم

همام بدا والناس إلا أقلهم ... على محض شرك في العبادة لاجم

يعدون للضراء قبة ميت كما طلبوا منها نتاج العقائم
فهم بين موم بالركوع لسيد وآخر يعنو وجهه للبهائم
ومن بين داع هاتف باسم شيخه يروم به نفعاً ودفع العظائم
يقرب للمقبور قربان ربنا ويجهد في تسليم نذر الكرائم
ويدفع عين الحاسدين بأعظم ويرجو لدى الحمى عقود التمائم
وقد طمست أعلام سنة أحمد وقد زاد سلطان الهوى والمآثم
وقد طم أكناف الديار وعمها فسوق وعصيان وهتك المحارم
عقوق وشرب واللواط مع الزنى وزور وقذف المحصنات النواعم
ولم تلق عن بادي المناكر ناهياً ولا آمراً بالعرف بين العوالم
فجرد عضب العزم إذ وضح الهدى بآيات حق للضلال صوارم
وقدّ بها هام الغواية فانمحت قواعد زيغ محكمات الدعائم
سقى الله قبراً ضم أعظمه الذي حوى شرفاً من هاميات الغمائم
هتونا برضوان وعفو ورحمة وأسكنه في الفردوس ياخير راحم
ووال الرضى عبد العزيز الذي احتمت به بيضة الاسلام عن كل ظالم
إمام كسا ظهر البسيطة عدله مطارف أمن شاملات المعالم
فلو ضاع حلس في الفلا من مسالم أتاه به من غاب ضاري الضراغم
فيرحل من أقصى تهامة راكب إلى الخط لا يخشى مكائد غاشم
عزيز جوار لم ينل جاره الردى وفي العهد تلقى خير واف ملازم

حليف التقى والعلم والفضل والندا ... ويأبى المعالي بالقنـــا والصوارم
تساوى لديـه ذو الغنى وابن فاقـة ... لدى الحق او حال المليك وخادم
غنـاء اتى للمعتفين وكافلاً ... لذي اليتم او للمرملات وآيم
يغار على الاسلام عن أن يصيبه ... طوارق شر فهو أمنع عـاصم
لياليـه بالـبر العميم بواسم ... وأيامـه بالخير خير مواسم
ففازت رعايـاه بـكل مسرة ... وعيش رغيـد مترع بالمغانم
يحب أخا التقوى ويرفع قدره ... ويبغض ذا الفحشاء رب الجرائم
اذا رمت أن تحظى لديه برفعة ... تقرب اليه بالتقى والمكارم
لقد عمر الدنيا وآثر غيرها ... ففاز بكلتا الضرتين البواسم
حريص على إعلاء أمر الهـنـا ... باظهار دين الأبطحي ابن هاشم
فـأسرج للاعــداء كـل طمـرة ... من الضمّر القب العراب العدائم
ورب جيوش كالسيول يقودها ... لها لجب كالرعد اثر الغمائم
فألبس أهل الشرك أثواب ذلة ... بأسر وقتل واكتساب الغنائم
الى ان أباد الله كل معاند ... ومزق شمل الباطل المتراكم
وقد عاين الكفار نصر الهنا ... وفتحا به قد جاءنا خير عالم
ورد جموع المشركـــين بغيظهم ... وماقط نالوا غـــير شر الهزائم
فـــآبوا لدين الله من بعد مأبوا ... ودانوا به من بعد كفر مفاقـم

وأعلن بالتوحيد كل موحـــد   وطأطا له رأس الكفور المراغم

بعون اله العرش جل ثناؤه   وتأييده تاج الملوك القماقـم

ســعود أدام الله أيام سعده   وكان له الإقبال خير ملازم

إمام الهدى بحر الندى من سقى العدا   كؤوس الردى حتى اهتدى كل راغم

أخو همة يستصغر الخطب عندها   وتعلو على هام السهى والنعائم

اذا نزل الأمر الفظيع رأيته   نهوضاً بأعباه بهمة حـازم

لقد علـم الاعداء شدة بأسه   وكيف أذيقوا منه طعم العلاقم

فكم غادر الأقران في كل منهـل   معاش وحوش أو خماص الحوائم

وقد قذف الرحمن منه مهابة   بكل فؤاد من عدو مخاصم

يبيت المعادي منه يحرس نفسه   ولو لم يكن في قربه من مراوم

له عزمات تتقي الأسد بأسها   بها الله عنا زاح هول العظائم

وذو خلق يستعبد الحر حسنه   لطافته فاقت لطيف النسائم

إمام حوى مجداً وعز مناقب   فليس له في فضله من مزاحم

اذا رمت علماً فهو في العلم لجة   تدفّق بالدر النفيس لناظـم

وان رمت جوداً فهو كالغيث للورى   اذا أخلفت أيدي السحاب الرواكم

ورأي ســديد يستضاء بنوره   اذا عم أمر المعضلات الكوالم

وحلم رزين لايجارى ببعضـه   أليس محاكي الراسـيات بواهم

صفوح عن الزلات مع فرط قدرة   وخذ صدق ماقد قلت عن خير عالم
ألست ترى ما كان من سوء فعلنا   من الصد والاعراض عن خير حاكم
وتفصيل أمر قد جنيناه واضح   شهير فأغنى عن إعادة ناظم
فأرسل جيشاً سابق الرعب أهله   وقدامه الفتح المبين لشائم
وقادته من كل أروع باسل   سري كريم الاصل ماضي العزائم
فمذ نزلوا حلوان والسعد أمهم   أقاموا حدود الله من كل ثالم
وقد حكموا في الناس شرع نبيهم   وقد طهروا البلدان من كل آثم
والقى اليهم أمره ابن خليفة   وعض لامر غره كف نادم
فأولاه غفراناً وصفحاً إمامنا   وناصحه في أخذه للكرائم
وعم على كل الرعية أمنه   وعاملهم بالرفق في كل لازم
فيامل‍كا دانت لدولته الورى   وقيدت له غلب الاسود الضراغم
وطاع له عرب القبائل كلها   وإنا لنرجو الله طوع الأعاجم
هنيئاً لك الملك الذي أنت أهله   ومانعه من سوء باغ وظالم
أعز بك الله الحنيفي دينه   فأنت لشمل الدين أحسن ناظم
فشكراً لمولى قد حباك بفضله   وخولك الحسنى برغم الخياشم
فأول رعاياك الضعاف رعاية   وكن مانعاً عنهم مريد المظالم
وكفَّ أكفَّ الظالمين وكن بنا   رفيقاً تنل أجراً بيوم التخاصم

وهاك إمام المسلمين خريدة أتت من محب للاخاء ملازم
قواف بديعات المعاني يزينها أنيق بيـــان كالرياض البواسم
على صفحات الدهر يبقى ثناؤها عليك وأنت الكفء ياابن الأكارم
دعاني الى ماقلت فيك مودة وصدق ولاء جاء من فرع هاشم
وما أملي الا قبول فريدتي وإتحافها بالسمع عن قصد رائم
فلست اخا شعر أريد تكسباً بشعري فأحوي فيه نقد الدراهم
فلازلت ياعين الزمان موفقا لأمرك منقاد جميع العوالم
وعشت طويلا في سرور ونعمة وعز وإقبال ونصر مداوم
ودمت سعيداً ماهما ودق مزنة واياك وفقنا لحسن الخواتم

☼ ☼ ☼

وقال أيضاً مخاطباً سعود بن عبد العزيز المذكور سنة وفادته عليه مع آل خليفة، فهلكت له مطيتان وهو إذ ذاك في الدرعية سنة ١٢٢٥ فقال مداعباً سعوداً وأنشدها له متعنا الله بحياته زمناً طويلاً مشافهة قوله حفظه الله تعالى :

☼ ☼ ☼

عليك سلام أيها الملك الذي اليه ملوك العصر قد ألقت الأمرا
جمعت شتات المكرمات سجية فسدت الورى مجداً وفقتهم فخرا
وأعييت من رام اللحاق بجهله وأنى لمن في الترب أن يبلغ الزهرا

وظاهرت دين الله بالبيض والقنا وبرهانك القرآن والسنة الغرا
الى أن أعاد الله دين محمد على حالة تلقى بها المصطفى سرا
ولم تهمل الدنيا إذ الدين ظاهر فحزت سنا الدارين دنيا مع الأخرى
فهذا هو الملك الذي عز مثله وحق لواليه التهاني مع البشرى
فياملكاً ساد العوالم بالتقى وبالفضل ثم البيض والصعدة السمرا
أتيتك أطوي البيد والقصد زورة وأزكي تحيات أبلغها تترى
فلما حططنا الرحل في دارك التي على ربعها المأهول سحب الرضى درا
جرى قدر الرحمن ان مطيتي تكون لها البطحاء ياسالما قبرا
وماهي إلا فرع كل نجيبة عمانية قوداء مهرية شقرا
وقد لحقتها شارف من رواحلي فأعطيت الكبرى مجاورة الصغرى
ألا فلتهب لي ياحبيبي مطية يلذ بها عيشي لدى السير والمسرا
عمانية تسوي المئين سنامها بعيد على من رام ذروتها حمرا
وحاشاك ترضى أن أرى دون رفقتي على ناقة سوداء جرباء او دبرا
فلا زلت ياعين الزمان موفقاً لكل مساعي الحمد تنتهج البرا
صلاة من الرحمن مافاح مندل على المجتبى المختار من خص بالاسرا
تعم الصحاب الطيبين وتابعاً وزوجاته والعترة القادة الطهرا

وقال ايضاً رحمه الله تعالى مجاريـــاً بعض شعراء نصارى حلب بهذا الوزن والقافية والاقتباس :

بدري تجلى بحسن أعرى من الصب صبراً
أجرى لمضنـــى هـــواه دمعـــاً وذلاً وأجـــرا
في جنـــة الخلـــد تلقـــى آســـاً ومسكاً وخمـــرا
ولحـــظ عينيـــه يولي كحـــلا وسقماً وسحـــرا
حـــلا عـــذابي لـــديه ياليتـــه اليـــوم مـــرا
قد قلت لما تغالى وفيه أرخصت عمرا
ياثاني العطف ترضى لواحد الحب كسرا
رفقاً بقلب كليم قد عد وصلك حظرا
ففاه لي فالتقطنا بين الشقائق درا
لي مصر قلبك دار وصاحب الدار أدرى
فاكفف فمثلي عزيز أليس لي ملك مصرا

ومما قال رحمه الله تعالى معزياً اخاه في الله داود في والده المرحوم المبرور محمد جمال ساكن في فارس في القريه المسماة بكنكون وولده اذ ذاك في البصرة ، فكتب في ذلك في غرة جمادى الثانية سنة ١٢٢٣ قوله رحمه الله تعالى : (انا لله وانا اليه راجعون) ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون ، كلمة يقولها غالباً من أقلقته الكآبة وأرقه لاعج الوجد مما نابه وقد فقد العزاء ووهى جلده ، وتوقد به من لذع الأحزان كبـده ، وأقعده لعباً ما كابده كمده ، وأقامه في مركز الخيـــال مضطهده ، وأذهله ما يجد عن تأدية المرام

من إبلاغ السلام الى جناب من شاطرنا مصابه ، وحل لدينا بؤس ما أصابه، حضرة الخل المودود ، الملا داود ، حفظه الله تعالى بألطافه ، وأمده من الصبر الجميل بإسعافه ، آمين . أما بعد فليعلم الاخ أنه وصل الينا من العم كتاب شريف وساءنا ما فيه من التعريف ، وذلك هو خبر انتقال الوالد المرحوم المبرور الى سعة عفو الله ورحمته ، واستقراره مع صالحي عباده في دار كرامته ، رحمه الله تعالى رحمة الابرار وبوأه من الجنة غرفاً مبنية تجري من تحتها الانهار ، فيا له من نبأ هائل عظيم ، وخطب فادح جسيم أزعج البال وهيج كامن البلبال ، وأهل سحائب الاعيان ، وأوقد لواهب الاشجان ، فوالله لقد أشجانا خطب هذه المصيبة وأغمنا رزء هذه الداهية المذيبة ، ولقد تخلل وجدي عليه بين الجوانح . وقال لسان الحال لطائر الجوانح :

فمن إحسانه عم النواحي فلي في فقده أبدي نواحي

ومن عظم ما أكابد مما أنا واجد ، فما المفقود عندي إلا كأنه سيدي السيد الوالد ، وعلى مثل هذا المفقود حق للعيون أن تجري وأن تفت الكبود ، فلله أي نجم هدى هوى ، وأي ركن معروف خوى ، وأي غصن بشاشة ذوى، فمن للأرامل بعده، ومن يسد لأبناء السبيل مسده ، ومن للاخاء وحفظ الذمام،ومن أين لذوي المراتب قدوة بين الانام، ومن لكرم النفس وحسن الشمائل، ومن تعده بعده لنشر الفضائل، هيهات إن الزمان بمثله لبخيل، وان نتاج الارحام عن عوضه لعقيم كليل، فلولا ان الصبر عند مثل هذه الصدمة والتأسي بشفيع الامة ونبي الرحمة أمر مندوب اليه لأذاب الفؤاد حزني عليه . وللخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
ومايبكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

هذا وعلمك محيط بأنا عطاش الى الموت ، فلا بد من الورود ، وان المقام في هذه الدار ممتنع الخلود . قال والدي في صدر مرثيته

قلب صبراً فمن ترجى دوامه ليست الدار ذي بدار إقامه

وقلت من مرثيته :

لك في ٱلقرون الخاليات تدبر إن كنت ذا أذن تعي من قدنعي
اين الأ لى شادوا المفاخر وٱلعلا أين الأعاظم من سلالة تبع
لعبت بهم أيدي المنون فصيرت تلك ٱلقصور ٱلباذخات كبلقع
فتعز إن عظم المصاب بأحمد فخر ٱلورى طرا وخير مشفع
كل الى دار ٱلبقاء محول لا بد يوماً من ورود ٱلشرجع

وقال التهامي ... الى ان قال :

حكم المنية في ٱلبرية جاري ما هذه ٱلدنيا بدار قرار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذاء والأكدار
ومكلِّف الايام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

والمتنبي :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
فموت راعي ٱلشاء في جهله كموت جالينوس في طبه

ولغيره :

ولو كان في ٱلدنيا خلود لواحد لكان رسول الله فيها المخلدا

ومن ذا الذي يبقى من الموت سالماً   وسهم المنايا قد أصاب محمدا

وللحارث بن عباد اليشكري :

كل شيء مصيره للزوال   غير ربي وصالح الاعمال

فاذا كان لا محيد لأحد عن هجوم الحمام ولو انه باني محكم الاهرام ، اوأنه سيدالانام فلا حيلة الا التسليم والرضى بما تجري به احكام القضاء والرجوع الى ما تحوز بـه موجبات الاجور والمثوبات(يوم تبدل الارض غـيرالارض والسموات) لعلنا ننتظم في سلك من اصطفاهم الله لمحبته فهم في نعيم يتلذذون (الذين اذا اصابتهم مصيبة قـالوا إنا لله وانا اليه راجعون، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) فحسبك يااخي بهذا الجزاء الأجزل على مضض الصبر وان اعضل. قال الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد رأى بعض أصحابه باكياعلى مفقود: يا هذا إما صبرت صبر الأكارم وإلا ساوت سلو البهائم . فعليك يا اخي بالتحلي بزينة الصبرفانه من اخلاق الصالحين وسنة من سنن سيد المرسلين،وان التخلق به يشد دعائم الاجر، ومن الكنوزالمدخرةليوم الفقر .روىالبخاري رحمهاللهتعالىفي«صحيحه»عنابيهريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يقول الله عز وجـل : مالعبدي المؤمن عنـدي جزاء اذاقبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة » واخرج البخاري ومسلم في « صحيحيهما »من آخر حديث عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى اللهعليه وسلم قال« ومن يتصّبريصّبره الله ، وما أعطي احد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر » وروى مسلم رحمه الله في « صحيحه » عن ابي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله له خيروليس ذلك لاحدالا للمؤمن ان اصابته سراء شكرفكان خيراً له ، وان اصابته ضراء صبرفكان خيراً له » وجماع ذلك كله قول رب الأرباب (إنما يوفى

الصابرون اجرهم بغير حساب) هذا ومن انت نجله فلا يرثى له بالفقد ، فانك ماء الورد ان ذهب الورد والغيث نتيجته الخزامى والرند والشهاب يستوقد من الزند ، والبدر إن توارت عنه الشمس بالحجاب فقدا كتسى من ضيائها بأحسن جلباب ، ومن كان مثل والدك خالد الذكر الجميل في الاحياء فلا يعد مفقوداً من الاحيا فاحمد الله راضياً بما قضى فإن من رضي فله الرضا سائلاً من فضله غفراناً لمن قضى ، جبر الله مصابكم ، وأثابكم فيما نابكم وأفاض على من مضى شآبيب الرحمة والرضوان ، وأحله أعلى فراديس الجنان مع رضوان ولا انزل بنا ولابكم بعده ما يكره ، ووالى علينا وعليكم احسانه وبره ، آمين فلذلك حررت ذريعة الاتحاد لتنوب عني في أداء ما يراد ، فالمأمول بعد فوزها بالوصول ، ان تتلو عني انت ومن حضرك للمرحوم الفاتحة ، فانها نعم التجارة الرابحة ، وعم زكي نفسك ومن حضرك ومن أوقفته على هذه الرسالة سيما بني عمي سلالة ذي الرسالة والجناب المبجل القاضي والاخ عثمان وعبد السلام وكافة الاخوان والاهل ومن لدي الاولاد ومن له بنا المام ينهون اليكم جزيل السلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين . وقد ورد عليه كتاب من نعمة الله بن يوسف النصراني الحلبي وفي طيه ورقة في تخميس وتشطير البيت المشهور لبعض أهل حلب وقد اقترح عليه ان يخمسه ويشطره كما صنع وهذا تخميس نصر الله بن فتح النصراني الحلبي .

امتخذاً هنداً وتلك بليّة رويدك لانفس لديك عليّة

ولا سطوة تخشى ولا عَصَبيّة فما هندُ إلا مهرة عربيّة

سلالة أمجاد تحللّها بغلُ

قوله وهذا تشطير الشيخ عبدالله الطّائي العطائي :

وما هندُ الا مهرة عربيّة من الصّافنات الغرّ في قومها تعلو

فواخيبة الدّهر الخؤون بما أتى سلالة امجاد تحلّلها بغلُ

وقال والدي رحمه الله مخمساً بما طلب وانجاز أبما أحب :

ارَى الدّهر لاتنفك منه زرية تحط به قعسا وتعلو دنيَّة

فكيف وقد ساءت لهند قضيَّة وما هند الاّ مُهرَةٌ عَرَبيَّة

سُلالة امجاد تحلَّلها بغل

وقال رحمه الله تعالى مشطراً البيت المذكور :

وما هند الا مهرة عربية يعز لها ما بين اترابها مثل

فلله ما أبدت يد الدهر اذ ترى سلالة أمجاد تحللها بغل

وقال مخمساً أبياتاً منقولة من كلام ملوك الكلام اقترحها عليه ابن عمه حامد ابن السيد اسماعيل رحمه الله وهو اذ ذاك في البصرة فقال رحمه الله تعالى :

ياصاح دع عنك تماديكا وقم الى ساحات باريكا

وقل لدى ضيق يفاجيكا يا رب ما أرحب ناديكا

وأخطر السير بواديكا

برهان سلطانك عني جلا غواية الملحد والمبتلى

اذ انت مذ ابرزتني للملا تعلم ما فيّ وياتي على

عمري ولا اعلم ما فيكا

وهذه أبيات محررة من الحاج عثمان بن سليمان بن داود الى جناب السيدالوالد مستفتيا غفر الله :

ماذا ترى ياسيدي ياذا العلا يامن ابوه شبر وشبير

يا وارث المجد الاثيل من الاولى فهم السراة وفضلهم مأثور
في حال من قد خاض لجات الهوى شغفا فأصمته اللحاظ الحور
فقتلنه عمداً بمنعرج اللوى اذ ليس ثم مساعف ومجير
ألهُ الشهادة في الغرام أبن لنا إذ أنت في كشف الخفي جدير

فأجابه الوالد رحمه الله :

يامن تملَّك رق كل فضيلة فطويل مدحي في علاه قصير
أنى تجاريه الورى في حلبة والمكرمات تدور حيث يدور
يا من يشار اليه بين ذوي النهى في معضل فيه اللبيب يحور
اتجاهل ذا إذ سألت عن الذي نقلاً وعقلاً حكمه مشهوره
فعلى الخبير سقطت في شرع الهوى فأنا الذي اقضي بـه وأشير
حقت لمقتول الغـرام شـهادة والى جنان الخلد سوف يصير
ان مات عشقا ذو عفاف كاتماً للحب فهـو الفائز المبرور
يمتاز مصروع اللحاظ عن الذي ارداه مطبوع الفؤاد كفور
فقتيل معركـة يصاب بجسمه واخو الغـرام فؤاده مبتور
كفواق محلوب عناء صريعها وعقيب ذلك راحة وحبور
وعناء مصروع الصبابة دائم ما عاش فهو معذب مثـبور

وكلاهما سينال فوق مُنائه والمرء حسب عنائه مأجور
فلذا لحسبته وحسن بلائه ولقا المعادي جنة وقصور
ولذا لعفته وكتم غرامه ولموته فيه الحسان الحور
وانظر لما يلقاه من مضض الهوى كم آلة ترديه وهو صبور
فعقارب الاصداغ تلدغ في الحشا وعليه حيات القرون تدور
وصعاد قامات الخراعب احكمت في قلبه ولها به تكسير
وظبا اللواحظ قد قطعن عزاءه واذا عداه نبالها فغيور
ما درعه الا التجلد في الأسى ويخونه سلوانه ونصير
كم وقفة للمستهام يطيلها في موطن فيه الأسود تطير
كوقوفه في ربعهم وثباتهم يوم النوى وقد استجد مسير
يرتاح ان شبت بمهجته لظى وجناتهن وحفها تسعير
ان ظل يستهدي بصبح وجوههن أظلّه ليل وذاك شعور
أورام خلسة نظرة يحيا بها غشّاه برق أومضته ثغور
واذا تطلب كتم سر غرامه نَمّت عليه مدامع وزفير
لا يستفيق أخو الهوى ومدامه عرف تردده صباً ودبور
ويل المعنّى كم يقاسي في الهوى ويعود وهو معذب مدحور

هذا جوابي والجوى بي كامن فلذا غدا شرحي به تقصير
فاعذر شج طمس الصدى افكاره وجلاؤها في ذا الزمان نضير
لولا معاطاتي الهوى وفنونه وأنا بأسباب الغرام خبير
لا ستصعبت فيه القوافي حيث لا يلقى لتلك مطارح وسمير
خذها نتيجة ساعة من ليلة ضاهت بدائع صاغهن جرير
واسلم تعاطينا كؤوس مدامها في نعمة فيها يدوم سرور

وقال رحمه الله ناظماً نجوم الدين :

حمداً لمجري الفلك في البحار وجاعل النجوم تهدي الساري
ثم الصلاة والسلام الوافي على النبي سيد الأشراف
والآل والأصحاب ما دار الفلك وما جرى الفلك بضوء وحلك
وبعده فأيها الساري المجد في لجج البحر على قولي اعتمد
مطالع الديرة خذها تهتدي مبتدياً بالجدي ثم الفرقد
فالنعش فالناقة فالعيوق مع واقعهم كذا السماك متبع
ثم الثريا الشمس فالجوزا بدت نير فإكايل فعقرب تلت
ثم الحمارين تسمى النشره سهيلهم فألسبار اثره
فهذه مطالع النجوم ثم مغيب الكل كالمنظوم

وقال رحمه الله تعالى مكاتباً جناب عبد القادر أفندي ابن صبغة الله افندي في مدينة البصرة سنة ١٢٣٣ الف ومأتين وثلاث وثلاثين وهواذ ذاك قاضيها : ماوصل مهجور قضى حبيبه بابعاده ، وسجل بثبوت دعوى واشيه يمين وداده ، بأطيب من سلام ، ركن خلاصة معمور بواضح الحجة وقد شهد توحيده في عدم اشراك اختصاصه في سابع عشر ذي الحجة ولا أعذب من ثناء صلى بفاتحة نشره كل خطيب براعة وجامع وسلم للزوم مطابقته الواقف على النص بان فضل الله واسع :

ثناء يطوف الأكوون بفضله وتستنشق الانجاب عاطر نشره

يفوق على الروض المدبج إذ غدت تفتق أيدي القطر أكمام زهره

الى حضرة من اشترى عرض الحمد بجوهر الطارف والتالد ، فضمنت له تفرع هبة الفضل نتيجة مقدمات الاصل الماجد ، وحاز الرهان بالكمال عند فرض المسابقة في حلبة قسمة الفضائل بلا تعصب لانه المطابق لمقتضى الحال بشهادة الافاضل ، وقد عز لحاق زكي اصله على كل مصلي في مضمار الفخار وان كان مجلياً في مقام الاطناب لفروع الوجازة والاختصار :

مناقب يحدي اقطار من رام عدها وأنّى لنظمي ان يحيط بنثره

مناقب ندب لا يجاري بفضله وذروة هام النسر من دون قدره

لقد بان ايضاح دلائل اعجاز مجاريه وباء بالثقل والتنافر من رام مفتاح القول في تلخيص معاليه ، هو الفاضل الذي جزم الافاضل بانه العلم المفرد بالكمال ، والمنتصب على التمييز اذا عرف اهل السودد والافضال ، والمنفي لمنح كنز الحقائق والمختار لغياصة الدر من البحر الفائق ، ولله صبغة منح منها هذا الفاضل ما حلاه ، فلا بدع ان قيل انه لابن

صبغة الله . جناب من لا زال قاضياً بسلوك منهج المحامد ، وداعياً الى مناهج البهجة عند منية المقاصد ، محروساً بوقاية الله الكافية ، مأنوساً بامداد تحفه العافية الوافية ، آمين .
غب بسيط الدعا ، ووافر الحمد وكامل الثنا ، فالداعي الى الحبب في مضمار هذه السطور ، والباعث لطويل القول في هذا الرق المنشور ،هو وقوف الواردبصحيح الاخبار ، من فيح هاتيك الرحاب ، مع كمال التعطش الى السماع الحسن برواية التواتر عن صحة ذلك الجناب ، فلم ازل اتطلب الا رشاد من الشاري بضياء الفتح الى حصول النجح ، فلم احظ بالكشاف عن معالم المراد ، وقد كتبت ايدي البعاد ، تنزيل محكم الشوق في صميم الفؤاد فلا يتشابه النسخ لآية الغرام في المثول في ذلك الناد ، فابنت هذه البطاقة لقضاء حقوق الخلة ولا اقول الصداقة ، فعسى ان تكون فاتحة لباب المكاتبة لاالعاتبة ، وداعية الى شريف تلك المخاطبة بعد المجانبة ، فان معي الى ذلك الجناب من الوله ما لا اطيق حصره ، ومن الشوق الى التملي بتلك الطلعة البهية مالا استطيع نشره ، هذا وان سنح للجناب العالي بعض السؤال عن المخلص الموالي ، فاني بحمد الله بخير وعافية ونعم من الكريم وافية ، بعد ان كابدنا من المشاق ما لا يطاق ، وطعمنا من المخاوف مُمَّر المذاق ، وتلك غمة نحمد الذي كشف عنا دجاها ،وصرف عنا عناها ، وحط عن ظهورناوجاها ، فلمولانا النعمة والفضل وله الثناء الحسن الحضل فلأجل افادة الحال حررنا هـذا المقال فالمأمول بعـد احتظائه بالوصول ان لاتحرمنا من الخاطر العاطر وان لا تقطع عنا اخبار صحتك مع كل صادر ، وشرفنا بما يبدو للجناب من اللوازم والمهام ، لنفوز بقضائها بمجرد الاعلام ، وخص نفسك الزكية ، ومن ينتمي اليك بوافر التحية ، ولا زلت سالماً على الدوام والدعاء ختام بالسلام .

ومما كتبه منشئاً له على لسان المشايخ آل الخليفة مخاطبين به والي شيراز وجميع ما يليها من فارس ، وهو حسين ميرزا ابن سلطان العجم الشاه الاعظم فتح علي شاه وقد ورد من الشاه زاده المذكور رسول اسمه اسكندرخان ، وبيده كتاب بليغ للمشايخ المذكورين وهذا جوابه منهم اليه ليعلم .

قال رحمه الله تعالى : ثبت الله دعائم الاســـلام واعرقها ، واحكم عرى الايمـان واوثقهاوا ينـع رياض الدين الحنيفي واورقها ،واترع حياض الملة المحمدية واغدقها، وابهج قلوب المؤمنين واشرقها ، وشتت شمل الفرقة الناصبية ومزقها ، ببقاء سعادة فرع السلطنة القاهرة ، نتيجة ذي المملكة الباهرة الفاخرة ، ذي الهمم التي يقصر دونهـــا الفرقدان ، ويحجم مجاريهـا اذ لم ير الفرق دان ، هوالملك الذي أنعل بتيجان الا كاسره، وارغم ببأسه الشديد انوف الاشاوس الصيد ، فخضعت وهي صاغره ، وأسـال بأعنـاق يعملات قهره اباطح مشارقالبسيطة، فغدت دائرة سلطانه بمنيـع تلك الممالك محيطة ، المستأصل برهفات عزائمة شأفة المعتدين والمشعل ثاقب سطوته في قلوب المفسدين . من كشف بمصابيح آرائه دياجي الخطوب ، وأزال بكف حياطته موجبات الكروب ، الناشر مطارف الامن على ارجاء البلاد ، والشامل بقسطاس عدله جميـع العباد ، الهمام الذي اهل على خواص المخلصين عواطف إحسانه وبره ، فازدهرت ألسنتهم بمنثور حمده وشكره ، فرحابه للمعتفين ربيـع مريـع وأبوابه للملتجين حصن منيـع ، هو عميدالملك وابن سلطانه ، وصدرالدست وعمدة أركانه ، المعظم المفخم ، حضرة شاه زاده ، بلغه الله الحسنى وزيادة ، ولازال نجم سعده طالعاً ، في برج اقباله وبدر علاه ساطعاً، في مركزكماله ، آمين .فأهدي إلى ذلك الجناب الكريم ، لطائف شرائف التحية والتسليم ، ورحمة الله العميمة وبركاته المستديمـة ، أمـا بعد : فقد ورد الينامن تلك الساحة الانيقة الوريفة ، والسدة العالية المنيفة ، مثال وقفت البلغاء دون ساحله ، وكلت ألسن المصاقع عن بلوغ مساجله ، قدأخذبمجامع البلاغة وأوتي منشئه من البيان بلاغه ، فما عبد الحميد وابن المراغة ، اضاء نور صبح طرسه من خـــلال ديجورسطوره ، فتغنى على افنان أنغامه ساجع شحروره ، وسحت هواطل البراعة فيسفح رياضه وجرت جداول الفصاحة من متدفق حياضه ، وتضاحكت أزهاره ، وترنمت طرباً اطياره وازينت به هذه البقاع ، وقرت به العيون وصلحت به ـ ان شاء الله ـ الاحوال والشئون، فوجدناه أبهى من البدرليلة تمامه ، واصفى من النميرحال تهلله من غمامه يتضمن

الطلب لا نتظامنا في سلك طاعته . وانحيازنا إلى كنف حياطته ، ليتخذنا اسهماً يفوقنا لرمي اعدائه ، ومواضي يغمدنا في نحور من شذ عن ولائه ، ويقمع بنا شوكة من أبى له الانقياد ، وانتهج بعد الطاعة سبيل الفساد وليستخلص منا صافي الودالذي لايشوبه كدر النفاق ولا يكدر حلاوة مطعمه مرارة الشقاق فليكن العلم الشريف محيطا بالسجية التي درج عليها سلفنا والشنشنة التي تواصى بها خلفنا ، بأنا لانحول عن ود من اخلصنا له الوداد ، ولا نتحول عن الاستمساك بعروة ولاء من اوجبناله الانقياد ، ولاندنس صحائفنا برجس النقض بعد الابرام ، ولا نعتاض عن حلل الطاعة باشتمال المعصية والاثام . هذا وكيف لاتكون كذلك ، ونسلك حميد هذه المسالك مع من طاعته حتم ، ومتابعته غنم ، ومواليه في غاية العزو بهجة النعيم ، ومعاديه في الشقاء والعذاب الأليم ، فاذوضح لناذلك قابلنا المثال الشريف العظيم بغاية الاجلال والتبجيل والتكريم ، وقلنا : إنه القي إلي كتاب كريم ، وعملنا بما أفصح عنه من المراد ، وولجنا فيساحة أوامركم الشريفة من باب الانقياد ، وحمدنا الكريم الجواد ، حيث وفقنا لسبيل الرشاد ، وعدل بناعن مناهج العناد ، ونور بصائرنا لما فيه لنا السداد ، ولقد تلقينا ناقل موسومكم الشريف ، بغاية الاجلال والتشريف ،أعني به خادمكم اسكندرخان وقابلناه بغايةالحشمة والاحسان ، ونهاية التعظيم والاجلال ، ومنتهى التوقيروالاحتفال واتخذناه خليلاًحيث وجدناه ناصحاً لدولتكم الباهرة ، بالغا اعلا مراتب الشفعة في خدمة سدتكم الفاخرة ، فنعم الرسول اسكندرخان ، فلعمري لقد أدى النصيحة ومامان ، ولا خان فحيث وجدناه كماوصفناه ، رضيناه عيبة لما اوصيناه ، فخذوا عنه ما نقل عنا ووعاه ، فقد اوضحنا له ما قصدناه ، ولازالت أيامكم باسمة الثغور ، محوطة بعنايتكم جميع الثغور ، منقاداً لأوامركم الجمهور ، على ممرالدهور والعصور ، بمحمد وآله البدور . ولما قدم رحمه الله تعالى البصرة سنة ١٢٣٤ زاره كل صديق ماعدا الشيخ عثمان بن سند ، فأنكر ذلك لكونه بخلاف العادة فبعد مضي يومين من مقدمه كتب اليه رقعة تشتمل على هذه الأبيات الآتية وما يتبعها من المنثور معاتبا له في تأخر زيارته عن وقتها وكان مجيء الشيخ بعد وصولها إليه هو الجواب عنها فقال :

يا تاج اهل الفضل عثمان يا   امام من املى ومن قد كتب
يا من شأى كل مبارٍ له   علماً وفي كل فنون الأدب
انت خليق بالوفا سيدي   فلم جزاء الود منك الحرب
إن الجفا منك لقد بان لي   لا عن قلى لكن جهلت السبب
حاشا جناب الشيخ من ميله   لغير ظن الخير في ذي حسب
إذ أنه يعلم مني الصفا   والحب في الله وذا لم يشب
وشأن أهل العلم اعلاء ما   سن وتمهيد دواعي القرب
كزورة القادم لاسيا   من ذي اخاء او ولاء وجب
فكيف لا يثبت حقي ولي   مودة محكمة لا تجب
هذا واني عاذر شاكر   فليكن الخل على ما أحب
واسلم منا لا كلما رمته   تولى حقوق الود عالي الرتب
ما اشتاق ولهان الى قربكم   فعلل النفس بما قد كتب

سيدي أطال الله بقاك وقصر أمد جفاك اني مذ قدمت هذه البلدة قد حظيت بلقاء ذوي المودة ولم افتقد سوى اعزهم علي واحبهم إلي ألا وهو جنابك الذي اخصبت بالفضل ربوعه وأمد جداول الفصاحة ينبوعه ولم ادرما حجب اشراق شمس طلعتك في هذا النادي على انه لم تغم عليك منامر اكز الوداد فلولا ايثارك بفضيلة التقدم لوجدتني طليعة لمن يقدم ولما جد هيامي بك وزاد حنيني اليك انبت هذه البطاقة لتؤدي السلام عليك رجاء أن

تكون مذكرة لعهود الاخاء وموجبة لحصول اللقاء والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .
ولما حج الوالد رحمه الله تعالى في سنة ١٢٣٣ هـ اجتمع في المدينة المنورة ، على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، بالسيد محمد امين الزيلهلي المدني وانعقدت بينهم الصحبة . وسبب المعرفة بينهما هو ما نقله إلى الزيلهلي جعفر الريس من صنعة الوالد وما هو عليه من مجاذبة الأدب فكانت لحمة الأدب جامعة بينهما كلحمة النسب وبعد قفول الوالد من المدينة راجعاً إلى الأهل من بعد قضاء المناسك والزيارة اتفق خروج الزيلهلي من المدينة قاصداً ابراهيم باشا في الدرعية فاصطحبا من المدينة إلى عنيزة وجرت بينهما في أثناء الطريق عدة مجالس للمنادمة وبعد وصول الوالد إلى البحرين ووصول الزيلهلي الى الدرعية كتب للوالد هذه الرسالة متشوقاً ومتذكراً لما جرى بينهما من المطارحة والمنادمة فيه فقال مصدراً رسالته بهذه الابيات وهي قوله :

أَهدي اليك من السلام جزيلاً — ومن الثناء المستطاب جميلا

يا أيها السيد السند الذي — بالسعد بل بالمجد فاق الجيلا

عبد الجليل دعيت ما بين الملا — وأراك من فضل الجليل جليلا

لا زلت مسرور الفؤاد بنيل ما — ترجو وتأمل بكرة وأصيلا

هذا وان لفّت جيدك نحو من — أمسى يديم الالتفات طويلا

شوقاً لأيام مررن حواليا — واليوم بعدك عطلت تعطيلا

ما ثم إلا ذكرها يجلو العنا — ويحط حملا من نواي ثقيلا

والقصد ان تبقى رفيع القدر لا — تنفك ترعى خاطراً ونزيلا

وتغض عن عورات نظمي إن بدت — عفواً وتمسي للعثار مقيلا

الغرض الاقصي من هذه المحاورة استمطار سحب أدبك الهامرة والافجنابك يعلم أن مطية السليقة قد اقعدها الوجا والاين ولوحاولت انقيادها بخزام استصعبت وقالت أيان وأين ، وليس يخفاك تزاحم الغوائل وتراكم العوارض والشواغل ومايصنع من كان اشغل من ذات النحيين ووقته اضيق من بياض الميم والعين والمحب يفتقر لحبيبه ولا يحتقر جهد المقل مـنّ الله عليه بتوفر نصيبه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فأجابه الوالد عـن نظمه ونثره بقوله سامحه الله تعالى :

أهلاً بزائرة تبـل غليلا ... أهلا بمن أهدت إلي جميلا
أهلا بمنعشة الفؤاد ومن جلت ... كمداً يقاسيه الكئيب وبيلا
أهلا بها ما كان أعظمها يداً ... ملكت بها رق المشوق طويلا
زارت فأرحبت المنازل حين ما ... جرّت على طلل الديار ذيولا
وتضوأت أرجاؤها اذ أطلعت ... شمساً عليها لا تغب أفولا
تزهو وتزهر كالرياض بواسماً ... قد جادها صوب الغمام ذيولا
لله ما أحلى لييلة وصلها ... إذ أقبلت والواشي كان غفولا
فكأنها غصن وقد عبثت به ... أيدي نسيمات الصبا ليميلا
حيت فأحيت بالسلام متيماً ... صّباً اضرّبه البعاد نحولا
فثملت لما أن لثمت مقبلاً ... ألمى شهياً بارداً معسولا
باتت تعاطيني أحاديث الهوى ... ايام كنا في العقيق حلولا
ايام نركض في ميادين الصِّبا ... مرحاً ونبعث للنفوس السولا
ايام دهري بالأحبة جامع ... شملي وظل السعد كان ظليلاً

والعيش رغد والصفا بأُهيله ... قدْ ذللت أفنانه تذليلا
آهٍ على تلك الأويقات التي ... سلفت ولم اعتض بتلك بديلا
مرت فمرت عيشتي لفراقها ... وفقدت فرع الأنس والتأصيلا
لم أنسها حتى يئوب القارضا ... ن وكيف أنسى معهداً وخليلا
أو ليس في تلك الربوع محبب ... للقلب طاب تفرعاً واصولا
اَللوذعيّ المصقع اللسِن الذي ... قد حاز مابين الورى تفضيلا
الماجد الندب الأديب الحوّل الـ ... ـيقظ اللبيب القرم عزّمثيلا
من أَم ارباب الفصاحة جامعاً ... فصل الخطاب وبالبيان كفيلا
ما قال أما بعد قس قبــله ... وأتى كما يأتي بـه مقبولا
كم من خراعب قد جلا بمنصة ... الإبداع ضاءت غرة وحجولا
من ذا الذي يحكي فصاحة مدرهٍ ... قد صـح في إبرازهـــا مجبولا
بكر المعاني من بديع بيانه ... مستنتج الا يعيد مقـــولا
بيراعه راع العــداة كأنما ... ألفاته في الضد عدن نصولا
ماشئت من خلق أرقّ من الصَّبا ... سحراً ويحكي الزهر بات بليلا
ينفي رسيس جوى الجليس نفيس ما ... تكسو بشاشته القلوب قبولا
حسن الشمائـل لايزال محافظاً ... لذمام أهـــل وداده المأمولا

قد فات أرباب المكارم مجده ... وله يد في كل فضل طولا

فهو الأمين على عهود اخائه ... وبه دعوه فلست عنه عدولا

يا أيها المولى الأمين ومن غدا ... لرؤوس أرباب العلا اكليلا

قلدتني بنظام درّ عقده ... قد فصلت عقيانه تفصيلا

بفريدة حلى نثار جمانها ... جيدي فلن أخشى له التعطيلا

أعددتها ورداً فمن طرب بها ... تجلى علينا بكرة وأصيلا

وجعلتها أنسي وبهجة مجلسي ... بين الصحاب وما أروم بديلا

فكسوتني مناً ينوء بعبئها ... شكري ولو افنيت فيه القيلا

أنى يقوم بكنه شكرك مقولي ... وبحده ترك البعاد فلولا

ومن الشواغل فكرتي رهن الصدا ... وحسامها من قبل كان صقيلا

لخلو داري من أهيل بلاغة ... قد صار عهدي بالقريض طويلا

لولا اقتباسي من ضياء قريضكم ... لرأيت طرفي للجواب كليلا

فبعين راض سيدي كن ناظراً ... نظمي ولا تك للعيوب مذيلا

أرسلتها لتنوب عني ليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

خذها إليك عريقة أحسابها ... بكراً رصوفاً غادة عطبولا

تأبى لغيرك أن ينال وصالها ... كلا ولو جارى نداه النيلا

تنمى إلى خير الأنام أرومة ... تعلو السنام عمومة وخؤولا

تَبدي ثناءَك في محافل قومها ... أذكى من المسك الفتيت شمولا

فلئن أجبت فذاك خير صداقها ... نقداً يكون على القبول دليلا

لا زلت في عز سعيداً بالغاً ... عيشاً رغيداً دائماً موصولا

ما فاح مسك ختامها فارتاح سا ... معها لها واستوضح التكميلا

حبيبنا الرشيد المأمون الأمين الافندي الزيلهلي الاجل السيد محمد أمين وصل كتاب سيدي رحمه الله تعالى وافاض عليه رواشح بره سجالا فمرحباً بنزهة الابصار وبهجة القلوب وكان وروده عليَّ كورود يوسف على يعقوب فأقامني السرور به واقعد واستلمته استلامي الحجر الاسعد وفضضت ختامه فانجاب السحاب عن البدر وعوذته بالفجر وليال عشر وسرحت طرف الطرف منه في رياض جنان نظره وأزاهر مطاول عطره ورأيت من سحر بيانه مالاعين رأت ولا أذن سمعت من نفثات كلماته مالو استمعته أذن الأصم لوعت فياله من كتاب أخذ في مقام الاطناب بجامع الايجاز وفتح لحقيقة اسرار البلاغة باب المجاز قد ظهرت له دلائل الاعجاز في ايضاح السجع والتشطير وجاءت براعة استهلاله بحسن المطلب في مراعاة النظير، قد جمع نظما ونثراهما في الطبقة فرسا رهان اوهما الحلة المفرغة في قالب الاحسان فرأيت نصب حالي للتمييز بينهما مع عدم المعرفة من النكرات التي لا يسوغ بها الابتداء على أن- مصدر ذلك لايشتق الامن فعل من كان إلى النباهة مسنداً كمثل ناظم جواهره في سلك التحرير وناثر زواهره على بساط التحبير ساحب ذيل الفخر على سحبان وائل والسابق في مضمار اللسن فرسان الاواخر والاوائل بهجة اسماء الظرفاء فلم تزل عليه الخناصر تعقد ومصباح مناهج البلغاء لابل محمد احمد لازالت شموس فضله في اوج الكمال مشرقة وعروس ادبه في حدائق الإفضال مورقة آمين. فياليت شعري هل تطلع علي من أفق القرب غرته اللامعة وهل تضيء طلعته النـيرة مرابع الانس ومجامعه فلقد جشمني الفراق من حزون الوله شعاباً شتى وتلاعب بي الكلف تلاعب حتى نزوعاً إلى المثول في

تلك الحضرة العليه، والتملي بهاتيك الطلعة البهيه ، فاني إلى رؤيتك أعطش من ثعالة ، أحن إلى لقائك حنين غريب تذكر آله ، وحر فراقك اشد من ابن نويره ، وصبري عنك أمر من علقمة ابن مرة ، وقلبي عن حب سواك أفرغ من حجـــام ساباط ، ورحابي عليّ لنواك أضيق من سم الخياط ، ولمزيد ابتهاجي بورود كتابك المستطاب واخذي باذاعة الثناء العاطر على ذلك الجناب ، ذهلت عن نشر فياح زاهر السلام ، وإذا كان شغلي عنك بك فلا ملام ،ومن اعجب العجب استمطارك مني سحب الأدب ، وعلمك محيط بأن سحابتي منه جهام، وبرقي خلب لا يرجى للأوام ، للشواغل التي حادت بي عن جادة الاجادة ،وثنت لي للخمول الوسادة، معما أقاسيه من مضض الفراق ، واعانيه من لواعج الأشواق ،فلولا عزيمة منك لكان إقدامي على الجواب إلى ورا ، ومشيتي فيه القهقرى على أني ركبت فيه متن عميا ، وجئت فيه خبط عشوى ، ولو لا زينة امتداحك لعد من سقط المتاع ، ونودي عليه في سوق الكساد فلا يبتاع ، وتناولته أيدي الشتات والضياع ، فاسبل على عواره حجاب سترك فضلا ، ولاحظه بعين طبعك الذي صارت المسامحة لجنسه فصلاً ،على أني لا أزال باسطاً يد الرجـا لاجتناء ثمرات الادب من حدائق رسائلكم ، والتقاط فرائد الفوائد وخرائد العوائد من بحار فضائلكم ، فالمأمول تحقيق المرجو تحريـــكا للايناس ،وتسكيناً لقلق البعد الذي ليس له آس إلا استنشاق عرف طيب تلك الانفاس ، غير أن الرفق بي أمثل إذا جرى ادهم يراعك في مضمار القرطاس ، عملاً بخبر : امرت أن أخاطب الناس. انتهى .

وقال الوالد رحمه الله تعالى : اني قد اجتزت بشيخ مشايخ المنتفق،الشيـخ حمود بن ثامر الشبيبي زائراً له على شاطىء الفرات ،وكان الشيخ الـكامل والنحرير الفاضل ، الاديب الأريب والعريب الحبيب ذي القول الاحد ، الشيخ عثمان بن سند معنا قاصـــدا لزيارة الشيخ المشار اليه ،ومن عادة الشيخ المذكور،استعمال القهوة البنية ، ولم نزل نأمر بهاله فقال مخاطباً لي وللشيخ علي بن الشيخ محمد صالح مفتي البصرة ، إذ لم يكن معنا في الخيمة رابع فقـــال الشيخ يخاطبنا على جاري عادته : مرا لي صاحبي بكاس قهوة » ، فبادرت بالأمر بها له ، فقال لابل اجز ، فاستقلته من اجازة البيت ، لأني بعيد العهد بالنظم ،تارك له فلم

يقلني، فعلمت أنه أراد امتحاني، فيسر الله لي أن قلت مجيزاً لبيته على البديهة بقولي: « كذوب التبر صافية بغدوه » ثم سكتنا فقال زد البيت طالباً للمساجلة ، فحمي عند ذلك كل منا فتساجلنا بهذه الابيات الآتية على البديهة ، في ذلك المجلس وهذه أبيات المساجلة متوالية . قالا رحمهما الله تعالى :

مرا لي صاحبي بكأس قهوه كذوب التبر صافية بغدوه

يطوف بها علي اغنّ أحوى كأن بخده والكف جذوه

رشيق القد يحكي البان ليناً كأن به إذا ما ماس نشوه

له لفتات أم الخشف ترنو بعين تذكر العذري شجوه

أروم وصاله لتقر عيني بغرة وجهه فيزيد زهوه

علقت به وغصن العمر غضٌّ يحركه الهوى العذري نحوه

فما صبري وإن يعظم جميلًا لما استمسكت في حبي بعروه

ألا يدنو فيتحفني بعتب أغيب به إذا ماذقتُ حلوه

قد استعذبت ما يجني دلالاً فمهما زاد صداً زدتُّ صبوه

قال الوالد رحمه الله تعالى : وقبل أن يجيز الشيخ البيت ، دخل علينا رسول الشيخ صالح بن الشيخ ثامر أخي الشيخ حمود يستأذننا بقدومه زائراً لنا ، فاشتغل كل منا بالتأهب لقدومه ، وانقطع الإنشاد والمساجلة بسبب ذلك ، فطارت أبيات المساجلة كل مطار ، وتخللت غالب هذه الأقطار ، وسبقتنا إلى البصرة ، وبعد قدومي اليها زارني قاضيها السيد عبدالقادر أفندي بن عبيد الله أفندي بن صبغة الله أفندي الحيدري البغدادي فسألني عن هذه المساجلة فقلت نعم ، وقعت ، فاستنشد نيها فأنشدتها له ، فأعجب بها وطلب مني أن أكتبها له ، والوقت إذ ذاك عند الغروب ، وبعد أن صليت العشاء من تلك الليلة ،

نظمت هذه القصيدة الآتية، مادحاً بها القاضي المذكور ثم الحقتها بمدح الشيخ عثمان المشار اليه آنفاً ، قاصداً بذلك مجاذبتها لأهداب الأدب وفي صبيحة تلك الليلة ، أرسلت لكل منهما نسخة وقد ضمنت فيها أبيات المساجلة وكان ذلك في سنة ١٢٣٨ هـ .

قال رحمه الله تعالى :

مرا لي صاحبي بكأس قهوة — كذوب التبر صافية بغدوه
من البن الأريج شذا بكأس — يعطر عرفه من رام حسوه
علاه جوهر كفرند عضب — جلاه القين لاالحذار نبوه
تنقط من فم الابريق خالاً — بوجنة جامها وشماً مموه
يطوف بها عليّ اغن أحوى — كأن بخده والكف جذوه
رشيق القد يحكي البان لينا — كأن به إذا ما ماس نشوه
له لفتات أم الخشف ترنو — بعين تذكر العذري شجوه
أروم وصاله لتقر عيني — بغرة وجهه فيزيد زهوه
علقت به وغصن العمر غضّ — يحركه الهوى العذري نحوه
فما صبري وان يعظم جميلا — لما استمسكت في حبي بعروه
ألا يدنو فيتحفنى بعتب — أغيب به إذا ماذقت حلوه
قد استعذبت ما يجني دلالاً — فمهما زاد صداً زدت صبوه
فلاعجب إذا مازدت شوقا — ولي بالعاشقين أتم أسوه
ألاليت الليالي أسعفتني — بنيل وصاله من بعد جفوه

وإلا فالسلوّ يريح قلبي ... وأين من المشوق الصب سلوه

عذولي في هوى الرشإ المفدى ... كما طنّ الذباب يمد لغوه

أيصغي للملامة مستهام ... تملكه الهوى في المهد عنوه

لحى الله الوشاة أتوا بخرق ... من الشنآن لا أسطيع رفوه

رموني بالتبدل إذ رأوني ... أطيل بمدحتي فرع النبوه

همام قد تفرد بالمعالي ... وطاب خؤولة وزكا أبوّه

نبيل ألمعيٌّ حيدريٌ ... شأى الأمجاد في شرف ونخوه

قضى بالعدل والاحسان طبعاً ... فأشرق وجه منصبه مروه

يروض ذكاؤه شمس المعاني ... فعاد دجى البحوث كشمس ضحوه

أفاد جليسه علماً ونبلا ... وآداباً فمن ذا نال شأوه

لعبد القادر الندب المرجّى ... شمائل دونها كدٌّ وكبوه

وفاءٌ طيب خيم جود كف ... حلاوة منطق علم فتوه

فيا من شاد ركن المجد حتى ... رقى بالفضل هامة كل ربوه

إليك عجالة من صوغ فكر ... تحلى بالخمول بغير هفوه

أشعتها تضيء الطرس نوراً ... به حسن الثناء عليك كسوه

تفصل عقدها بالدر لما ... بها ساجلت نحريراً مفوه

خطيب مدرهٌ جم الأيادي ... حذا قس الإيادي قبل حذوه

أتى بدلائل الاعجاز نظماً ... وفي نهج البلاغة أمّ ذروه

هو الحبر الإمام بكل فن ... بحق صح للفضلاء قدوه

حوى عثمان أبكار المعاني بديعات الجمال بمهر ثروه
إذا فزنا بلقيا البحر يوماً سقانا من معين الفضل صفوه
حباه الله أفضل ما تمنّى وزوده التقى وسقاه عفوه
وخلد سعد عبدالقادر انفا ضل الخريت في عزّ وحظوه
وأتحفنا بايراد التهاني تطرزها مسرات وقوه

ومما قاله رحمه الله تعالى في المناجاة والتوسل ، ورفع الاستكانه والتنصل ، وذلك لما اقترح عليه العالم العامل الآخذ من الفضائل بالمجامع ، مولانا الشيخ عثمان بن جامع ، حيث أرسل اليه خمسة أبيات ، وطلب منه أن يبني عليها ما تيسر من منظومه ، مشيراً الى قصد الشيخ وارادته ، فلم يسعه إلا امتثال أمره واجابته ، لكنه لم يذكر من أبيات الشيخ إلا بيتاً واحداً لأنه أبلغها وأحسنها ، فقال سائلاً إلهه الذي لا ينضب بحر جوده ، أن ينيل كلًا من الصفح غاية مقصوده ، وقد قالها في رجب سنة ١٢٤٠ ﻫ وهي هذه :

أيا مبدي الجميل بمحض منٍ ويا من سيبه من غير منّ
إله الخلق يا رباه يامن إليه مشتكى بثي وحزني
ويا ذا الفضل ياجم الأيادي ومن إحسانه للعبد يغني
ومن نعماه لاتحصى بعدٍ ومن جدواه في أنس وحسن
إلهي سيدي مولاي حلماً فما لي غير حلمك من مجنّ
أتيتك هارباً من عبء وزري وتقصيري وما قد كنت أجني
عملت إساءة وظلمتُ نفسي وحزت من الخطايا وقر بدن
أضعت العمر في قيلٍ وقالٍ وأرخيت العنان بكل فن

للهوي والبطالة صرتُ حلفاً ورحت قرين خسراني وغبني
نوافلي التغزل والتصابي وإيماني التحلي والتمني
فلا زادٌ يبلغني لأني أقلب في الهوى ظهراً لبطن
إذا ذكّرت يوماً سوء فعلي عضضت أناملي وقرعت سني
ومالي حيلة إلا اطراحي ببابك ياكريم وأنت قطني
فعفواً ياعظيم الصفح عفواً وغفراناً لما قد كان مني
بذليّ بافتقاري بانكساري قصدتك لابأعمالي تهنّي
وتوحيدي إلهي رأس مالي وتصديق الرسول أشدّ ركني
أقل لي عثرتي وارحم مشيبي ومسكنتي وإفلاسي ووهني
قني من كل سيئة وإثمٍ وزودني من التقوى وزدني
إلى الطاعات وجهني إلهي من الأهواء والأسواء صنّي
ووفقني لما ترضاه فضلاً إلى تدبير نفسي لاتكلني
إليك وسيلتي وبك اعتصامي وأنت محطّ آمالي وحصني
وكيف أخافُ توثقني ذنوبي وقد أحسنتُ بالرحمن ظني
إلهي قد رجوتك عند خوفي فأبدل خيفتي منّاً بأمن
أعد كرماً عليّ بفيض عطف لتسعدني بإيمان ويمن
ومن أرجوه غيرك ياإلهي ومن ذا للفقير سواك يغني
ومالي غير ظلك من مقيل وحاشا أن تصد الفضل عني

وقولك رحمتي سبقت عذابي | وقد وسعت فكيف تضيق عني
فجد لي بالرضى عند انتقالي | ورحمة وعفو بعد دفني
وخذ بيدي إذا ما جئت فرداً | بأوزاري بلا خدّ وخدن
وهب لي منزلاً بجوار طه | خيار الخلق في جنات عدن
عليه الله صلى كلّ حين | وما غنّى هزارٌ فوق غصن
تعم الآل والأصحاب طراً | حماة الدين في بيض ولدن
وحقق ما رجوتك يا إلهي | بما في الذكر من علم لدني

ومما قاله أيضاً في مدح الأديب الأريب ، الحسيب النسيب ، ذي الفهم الوقاد ، والفكر النقاد ، المورد الهني والمقام السني ، الأفندي الزيلهلي السيد محمد أمين المدني ، ومعاتباً له على الصد والمجانبة ، بعد الود والمكاتبة ، استقداحاً لزناد أدبه ، لا استمناحاً لمزاد نشبه ، وقد قالها متعنا الله بحياته ، في رجب سنة ١٢٤٠ هـ ، وأرسلها اليه ، وقبل وصولها للحجاز توفي الزيلهلي المذكور ، تجاوز الله تعالى عنه ، وعن والديه :

أبى القلب سلوان الأحبة سرمدا | وكل وداد صح طبعاً تأبدا
ولا خير في ودّ إذا لم يدم على | جفاء وابعاد فوصل أو الردى
لي الله ما أشقى فؤادي في الهوى | أذوب بمن أهواه صافى أو اعتدى
أعد من اللوم الصراح إذ النوى | أتاح لي السلوان هيهات ان بدا
ولست أثني من هويت لأنني | عرفت لدى أهل الغرام موحدا
ظمئتُ ومالي في الهوى من مسالم | ولم أرض غير الحب في الدهر موردا

إذا لاح ضوء الصبح في فرق عاشق
رضيع هوى أنّى يطاع المفندا
خلعت عذاري وارتديت خلاعتي فرحت خليعاً بالغرام قد ارتدى
هل العيش إلا أن ترى مونق الهوى
أقام بك الشوق الملحّ وأقعدا
فرد منهل الحب الشهي تصب به بقية عمر ضاع في غيره سدى
رعى وسقى الرحمن أكناف يثربٍ ملثاً من الوسمي ذي النفع مزبدا
معاهد سماري ومسرح عترتي ومطلع أقماري لتلك كن الفدا
أحن إلى تلك الربى ماهمى الحيا حنين ودود مطفل ذات أوحدا
ففي سفح سلع جيرة ذكرهم جلا لقلب كئيب قد أضرّ به الصدى
هم القوم خذ من حبهم لك جنة وإن تتّبع آثارهم فزت بالهدى
كلفت بهم والعمر في ريّق الصبا فصرت بهم في العاشقين محمدا
إذا كنت تهوى أن تنال سعادة فوال سعيدا واتبعه لتسعدا
ولوعي بهم لاينقضي وتعطشي إلى ورد مغناهم تعدى بي المدى
كفى شرفاً عشقي بديع جمالهم ويافوز نفسي ان رأوا لي توددا
نأت دارهم عني بفجّ مهامهٍ متى جبت منها فدفداً جئت فدفدا
يظل بها الخريت يعول حسرة وجالت على حاوي مناهجها العدا
ولو ساعد الجدّ العثور بمنيتي لما كنت عن لقيا الأحبة مقعدا

فحق لعيني أن تجود بمائها وحقّ لجفني أن يبيت مسهدا
أعاني هياماً كامنا وصبابة وأحمل شوقا في الفؤاد توقدا
وتمنع أفكاري ورود مطالبي سوى مدح حر بالسماح تفردا
هو السيد الراقي على رتب العلا
هو الماجد المفضال قطب رحى الندى
كريم السجايا ذو صفات حميدة فقرّط بها سمعاً اذا رحت منشدا
به نسخت آيات كل معارض لمحكم ما يلقيه قولاً مسدّدا
يعنعن أخبار الفضائل عن أب فجد فجد يرفع المجد مسندا
ومنيته تنوير أبصار طالبي الـ هداية للعلم الشريف تعبدا
فطاف به من كل فج رواته فأورثهم علماً فرائد شردا
واعرب عن تمييزه رفع قدره على عالم في العلم والأمر مبتدا
غرائز مايملي بغير تنافر حقيقة اعجاز بها الضد غردا
أغر وسيم مشرق نور وجهه له خلق كالروض كلله الندى
وقور وخذ ما شئت من لين جانب
بشاشته عند القرى تسبق الجدا
يفي بعهود الود مذكان خلقة ويأنف من خفر الإخاء تعمدا
به عرف الانصاف بين ذوي الصفا
فآخى وما أكدى وعاشر فاهتدى

تعود تذكار المحبين إذ رأى لكل امرىءٍ من دهره ما تعودا
وأنضى هواه سارياً حيثما اصطفى
فلما دنا منا تبوأ مرقدا
ومال به داعي الكرى عن تذكري
فأصبحت في ذاك الدنوّ مبعدا
فياذا التسامي ياأمين إخائه ومن لاح في أفق المروءة فرقدا
ومن همه أكرومة يستزيدها
ومن طاب فرعاً مثل ما طاب محتدا
إليك رداحاً غادة هاشمية نمتها سراة من لؤي فأحمدا
محجبة غراء بادٍ سناؤها تعير الظباء العين جيداً مقلدا
هي الدر أنى جوهري صحاحه فإن شئت نثراً فالتقط أو منضدا
إذا أنشدت في محفل بات أهله نشاوى وفي تكرارها الشيخ عربدا
لعل بها تلفى لصبك شاكراً وتوليه بعد الصد وداًّ مجدداً
فقد طال نبذي بالعراء كأنني أطعت عذولي وادرعت التجلدا
مناي بأن تكسى برود قبولها وتصدقها منك الجواب المنقدا
ودم في سرور واغتباط ورفعة ولازلت ياقس الحجاز محمدا

هذه نفثة مصدور ، أو صب مهجور ، يردبها غليل دائه فيما بثه من برحائه ، وصعد بها نفساً ضاق به خناقه ، إذ لم يسعه نطاقه ، بل هذه جرعة رامق ، يطفيء بها حر أوامه وراض بها جموح هيامه ، بث بها من الشوق ، وما شب به عمرو عن الطوق . سوق

وقفت الافهام دون وصفه حسري ، وضاقت الأرقام عن أن تحيط بـــه حصرا ، إلى حضرة من ملك أعنة الفضائل ، وقصرت عن تطاوله يـد المتناول ، حائز شرفي النفس والنجر ، المذعن لتقدمه نبلاء العصر ، وهو عميد البلاغة ، فما ابن العميد ، المجلي عـــذر السابق عبد الحميد ، من حق للفاضل أن يجعله العماد في محـــاسن دميته ، ومهد عذر ابن عصفور إذ ضاقت حوصلته عن الترقي إلى رتبته ، هو السراج أبو الثناء محمود السجايا، غالب ابن جلا وكل طلاع الثنايا ، النقي الشاب الظريف عف الازار وابن العفيف .

من ذا يحاوره في كل مكتتب　　　من ذا ينـافـره في كل مفتخر

وهو الذي فاق أهل الفضل محتبياً　　　فلا يباريه ذو نظم ومنتثر

من أحيا دارس البلاغة بما نشر من مطاويها ، واستنزل عصم البراعة من صياصيها ، الجامع لأشتاتها وحاويها ، ومن لا يتحاشى المنوه ينشر محامده ولا يمـــين ، الأخ الزيلهلي الأفندي السيد محمد أمين ، لا زال راقيـــاً معارج المحامد ، مقروناً طالعه بنيل المنى والمقاصد . آمين . فأهدي إلى ذلك الجناب الأقعس ، والمقام الباذخ الأنفس ، سلاماً عطر أذيال الصبا ، بعابق نشره ، ورد شرخ الصبا لمفارق عصره .

ألذ من غنج الكعاب الرود　　　لدى المحب الواله المعمود

وثناء أنار غياهب المحافل بثاقب نبراسه ، وتمشت به حميا السرور في مفاصـــل جلاسه ، وأنهي إلى تلك المسامع الشريفة ، أني لم أزل أترقب من هاتيك الحضرة المنيفة ورود كتاب أتحلى بفرائـــد عقوده ، وأتباهى بمفوفات بروده ، واقتنع به عن العين بالأثر ، وأتمتع منه بالهالة عن القمر ، رضى مني بالطل عن الديمه ، وبالقفل عن الغنيمـــة ، فلما لم أفز بصيب ذلك الواكف ، ولم اتفيأ ظله الوارف ، بعد أن قضى عزيمة كل ذي دين ، وعدت أنا منك بخفي حنين ، علمت أن بضاعتي منك مزجاة ، وأني لم أزل منك فارغ المخلاة ، فكنت كمن لم يرض لنفسه أن يكون يومه شراً من أمسه ، فلم أبن لخـــلي إذا قاطعني على أسه ، ولم أرض له بسوء الكيل وبخسه ، أداء مني لحقوق الوفا ، أخص

به إخوان الصفا ، فرضاً حزته ممن تقدم ، وشنشنة أعرفها من أخزم ، فقدمت هذه القصيدة والرسالة ، بين يدي رب النباهة والبسالة، مقتطفاً بها ثمار أدبه الجني ، ومستعطفاً در قطره البهي ، فلعلهما يقدحان زناداً منه ماخبا ، ويطلقان جواداً منه ما كبا ، وينبهان خاطر ذلك الجناب ، لما أغفلته عنه تكاثف الأسباب ، من رعاية حقوق الاخوان ، وإن تناءت الأوطان ، والعلم محيط بأن ذلك شرط في المودة ، والشرط أملك وإن طالت المدة ، وبعد إفادة الحل، فالمسؤول ، وغاية الرجاء والمأمول ، أن لا تخرجنا من الخاطر الأعطر ، وأن لا تنسانا من الدعاء قبالة الوجه الأنور ، وكل حاجة تصدر لك ، فهذا ولدي عبد الوهاب قبلك عرفه ، بمقتضاها ، لنفوز باقتضاها ، ولا زلت حليف المبرة والسرور ، وميسراً في جميع الأمور ، ولا زلت سالماً محروساً على الدوام ، وعليك وعلى من يحضر لديك مني جزيل التحية والسلام ، انتهى .

ولما قال الوالد رحمه الله تعالى هذه القصيدة الدالية ، زعم بعض الأصحاب أنه حاكاها على وزنها ورويها ، وجعلها نبوية وختمها بمدح الوالد ، وبعث بها اليه ، وإذا هي مما لا يحسن تدوينه ، إلا أنه حلاها بمدح الرسول ﷺ فاكرم بحلاها فقرظ عليها الوالد بهذه الأبيات ، اجلالاً لمدح صاحب المعجزات .

فقال رحمه الله تعالى :

أزهر من الروض المدبج قد بدا	وهل هذه الزهر الجواري للاهتدا
أم النظم من ينبوع ندب مهذب	تجلبب أبراد البلاغة وارتدى
تضمن مدح الهاشمي محمد	منار الهدى من جاء للرسل سيدا
فياحبذا نظما تحلى بمدحه	لسر وجود الكون شمس سما الهدى
عليه شذا مسك الصلاة تحية	وآل وأصحاب اولي الفضل والجدا
فسرحت طرف الطرف منه بجنة	غدا بلبل الأفراح فيها مغردا

سبكت معانيها بأحسن قالب ... فصغت بها عقد الجمان منضدا
أروم لها التقريظ لكنّ فكرتي ... عليها غشاء للبلادة والصدى
ومن ذا يجاريها ورب نظامها ... به في فنون النظم والنثر يقتدى
لقد قمت في كسب المحامد جاهداً ... فلا غرو لو سموا جنابك أحمدا
بقيت سعيد الجد ما قال مغرمٌ ... أبى القلب سلوان الأحبة سرمدا

ومما قاله رحمه الله تعالى مادحاً به العالم العلامة ، والقدوة الفهامة ، من انتشر نور علمه فطبق الفجاج ، الأخ في الله المكي الشيخ عبد الله سراج ، ومجاوباً له عن قصيدة بعثها اليه ، أولها :

خليلي سيرا في المعاهد وانشدا ... وميلا إلى كهف السعادة ترشدا

وذلك انه لما وقف على قصيدته التي امتدح بها أمين أفندي المدني الزيلهلي المتقدمة، التي أولها :

أبى القلب سلوان الاحبة سرمدا .

فلم تصل الحجاز إلا بعد وفاة الزيلهلي رحمه الله ، فانتدب الشيخ للجواب عنها حمية للزيلهلي لكونهما أهل قطر واحد ، بهذه القصيدة المذكور أولها « خليلي سيرا » إلى آخره فجاءت على وزن قصيدة سيدي الوالد ورويها ، فلم يسع الوالد الا مكافأة الشيخ بهذه القصيدة النونية ، مادحاً ومجاوباً له :

منّت بزورتها سعاد لي الهنا ... فلقد بلغت بذاك غايات المنى
عفواً اتتني كي تمن وتجتني ... ثمرات سبق الفضل دانية الجنا
ما كنت أحسب ان دهري ناظم ... شملي بمن أهواه مندفع العنا

حتى تبلج صبحه عن دمية ... فضحت بضوء جبينها بادي السنا
سلابة ألباب أرباب النهى ... يذر الحليم لها الوقار تفتنا
حازت من الاحسان والحسن الذي ... لكماله وجه الغزالة قد عنا
غنجاء باهرة بحسن بيانها ... ولسحرها هاروت أصبح مذعنا
فرشفت من معسول ذياك اللمى ... ضرب الرضاب فكان أهنا مجتنى
وغدوت ميّاد المعاطف خلتني ... ثملا من الصهباء من فرط الهنا
ودهشت عن تقبيل أقدام سعت ... نحوي فضيعت المحتم اذ عنا
إني أؤدي كنه اجلال التي ... خاضت للقياي الخضم الأدكنا
لجج تراقص موجها إذ صفقت ... أيدي الرياح لها وما ضجوا الغنا
قاست من الأهول كل عظيمة ... عن وصفها تدع المفوه ألكنا
عطفاً على صب أضربه النوى ... ولوقع ما يلقاه أنهكه الضنى
دنف يعاني للصبابة وجده ... لم يدر ما قال العذول وديدنا
قد هام من لذع الغرام فؤاده ... والحب إن جاز الشغاف تمكنا
ما شام برقاً في الاباطح لائحاً ... إلا وأعلقه الحنين وأشجنا
يذر المدامع كالغوادى وكفا ... وسميره الفكر المشتت أوهنا
شوقاً لأيام على الخيف انقضت ... وسعاد قاطنة المحصب من منى
حيث الشبيبة قد تصبب ماؤها ... وعلى أعيطا في جرى مستحسنا
اذ عيشنا رغد باخوان الصفا ... وعلى الصفا قضّيت قاصية المنى
ياحبذا ذاك الزمان وصفوه ... والجمع في جمع غدا مستوطنا

هل لي الى تلك المعاهد عودة ... أمحو بها زلات دهري أن جنى

وليقضيَ المشتاق كل لبانة ... مما أكن لها الفؤاد وأعلنا

فمتى أرى حول الحجون ملابسي ... حبرات أنس للاحبة تقتنى

واذود داعية العنا بلقاء من ... شملت فواضله القصي ومن دنا

أعني التقي الألمعي الجهبذا النـ ... ـدب السري اللوذعي المتقنا

القانت الأواه عبد الله من ... بالجد قد ألف العبادة ديدنا

ضاءت به أرجاء مكة مذ نشا ... فيها أليس هو السراج أبا الثنا

تملي صنوف الحمد غرّ صفاته ... إذ لم يكن يختار إلا الأحسنا

من كل علم مالكٌ إقليده ... أفلا تراه لكل فضل معدنا

ما فاضلٌ جاراه غاية مبحث ... إلا كساه العي ثوباً أخشنا

لمعالم التنزيل كشافٌ إذا ... ما الفخرُ في الدر النثير تلكنا

اظهار مفخره برغم حسوده ... رومي أشم به العبير المقتنى

ورد الحجيج محدثين بفضله ... فرووا له المجد الأثيل معنعنا

فعلمت منهجه القويم نهاية الـ ... إمداد ارشاد بتوضيح لنا

إذ راض منه النفس للنحو الذي ... تصحو به فتذوق لذات الغنا

حال لفعل القلب ميزه تقى ... وعليه قد عطف الضمائر للسنا

تلخيصه لدلائل الاعجاز في ... تدبيجه برد البلاغة برهنا

بمقدّمات كماله متصور ... تصديق مطرية بايجاب الثنا

وله شمائل لايحيط بحصرها ... نظم البليغ ولوأتى متفننا

يامن شفائي من كئوس وداده ريا مصفى من مشوبات الدنا
إني المشوق إلى لقائك سيدي شوق النبات إلى السما أن تهتنا
قل التصبر والعوادي جمة وعلى السبيل ترى العدو استوطنا
لاأنس لي إلا منادمة التي بعث الحبيب بها إلي فأحسنا
عذراء يزري بالغوالي عرفها قد عطرت أردانها ذي الموطنا
ماالروض في نواره غب الحيا منها بأبهج رونقا مستحسنا
فاستوجبت شكري بها يدك التي شادت مباني الفضل محكمة البنا
فلأذكرن شذا مديحك شاكراً ماماس خوط البان رطباً وانثنى
وإليك من أبكار فكري حرة تفتر عن نور الأقاحي المجتنى
بهنانة هيفا رداحاً بضة نجلا فماظبي الصريمة إن رنا
من تحت طرتها صباح مسفر تسبي بحسن الدل أورع دينا
في حسنها قد هام كل معظم تلقى لها بذوي الكمال تمكنا
لاعيب فيها غير أن فخارها ان تنتمي لبني البتول ذوي السنا
ما مهرها إلا الدعاء وإن تكن متفضلاً بجوابها فهو المنى
جاءتك تحمل عذر والدها الذي نهج البلاغة ما دراه ولا اعتنى
حجب الشواغل صارفات فكره عن أن يرى طرق النظام ويمعنا
ما كنت من فرسان حلبتك التي فيها تجاوزت الفحول فمن أنا
فاستر بمنك من عوار نسيجها والحر يغضي عن فهاهة من جنى
لازلت محفوفاً بلطف الله في عز وفي يسر معاناً محسنا

تعارف جند الارواح يفتح ثغر الالفة ، ويضم الى كل صنف صنفه ، وبه تنعقد بين ذوي النهى ذمة الاتحـــاد ، ويأخذ كل حظه من غنيمة الوداد ، وتنشر به رايات محاسن الاخلاق لذوي الاستحقاق ، ويسرع بحملها بريد النطق في الافاق ، بمـــا رق وراق . على أن الاخلاق الحميدة معشوقة ، وهي مرموقة ، عزيزة جبلت عليهـــا الطباع ، وقسمة خصت بلذتها الاسماع ، فرب معشوق بالطبع او بالسمع ، ولو لم ينتظم الشمل في سلك الجمع وشاهد حالي قاض لهذا العقد بصحته ، حيث علقت بحسن شمائل سيدنا ولم أفز برؤيته ، وكيف لاأعلق بمن ارتضع ثدي المروءة طفــلًا ، وترعرع في الفتوة فتى وكهلًا ، ولم لاأعشق خلال ندب أخذ بمجامع الاحسان ، واكتحل بفضله انسان كل انسان، الامام الذي قضت له البلغاء بثبوت الامامة، وعرف النبلاء له الشرف ولم لو يضع العمامة ، شاد بتقريره من العلوم كل دارس ، فأشرقت بطلعته حنادس المدارس ، المواظب على اتحـــاف الورى بطرف الفوائد في أم القرى ، نشر ألوية العـــلم على مفارق ذوي التحصيل ، فأخذ بركاب مهرة التفريع والتأصيل ، نسخت براعته بالمثل السائر اساطير ابن الأثير ، وبمحكم تأويله قل ابن كثير وقد جر ذيل الفخر فما هو ابن جرير ، إذ رفع حواجب الاشكال عن عيون الفوائد ؛ وفرق طور العويصات عن وجوه الفرائد ، من أوضح منهـــاج السنة بلوامع الدراية ، وحمل لأهل الرواية أعظم راية ، فهو مالك أحمد المذاهب والمشارع ، نافع الأمة وأي نافع ، حيث أشرق نور فضله ، فطبق الفجاج ، فلا ريب أن عبد الله سراج ، لازال محاه مورداً لظماء الافادة ، ومربع رحابه لعفاة العلم رياضاً مرتاده ، فائزا من الكريم ببلوغ الحسنى وزيادة ، بالغاً من المعالي مراده . آمين .

وبعد ، فأهدي إلى ذلك الجنـاب سلاماً معطر الجوانب ، تحف به اللطائف من كل جانب ، وأنهي الى تلك الحضرة العظمى ، والمورد الذي وارده لايظمى ، أني قد تشرفت بوصول القصيدة ، التي هي في ديوان البلاغة فريدة ، فرأيت قـــلائد العقيان منظومة في أسلاكها ، وعقود الجمان مفصلة في تجانس احتباكها ، وشممت منها شمامة العنبر والريحانة ، وأحسيت منها السلافة في أنزه حانة ، وأعددتهـــا لسرقاتي هي الذخيره في الليلة المطيرة ،

فهزتني أريحية الطرب عند بلوغ المنى، فأردت أن أقول لك الهنا فذهلت فقلت: لي الهنا ، فأسفرت بهـــا رباعي ، وطال بها قصير باعي .

ومن سقيا سحابك جاد طبعي ولولا الغيث لم ينبع قليب

فانبعثت بها للجواب همة نفسي ، ووشم بهـــا يراعي وجنة طرسي ، فأقدمت إذ قدمت بين يدي الناقد الخبير ، من الجواب مـــا حقه التأخير ، مع علمي بأني من العرج فكيف لي باللحاق دون السباق ، إلا أن يكون للذود عود بعد الانطلاق ، وإني لا أمد يدي لتناول الأفـــلاك ، وإن العجز عن درك الادراك ادراك ، إلا أني سمعت أن الميسور لايسقط بالمعسور، وإن ذهب أهل الدثور بالأجور، والمقل إذا بذل الموجود فهو غاية الجود ؛ وتحققت أن سيدي يقنع مني بمصة الوشل ، إذ لم أرد مناهل النهل والعلل ، ولم أقتطف من زهر الحجاز ووروده ، ولم أتفيأ ظل طلحه ورنده ، ومايصنع من عاش لم يسمع بضرب زيد عمراً ، ولم يشاهد طباق اللف بالنشر ، فلذا مددت يدي بالجواب والقلب مستفز وإن كان فيه سداد من عوز ، فعذر سيدي لمن جنى واعترف ، إذ قابل دركم بالصدف ، ولم يحمله عبء الجواب إلا التعلق بأهداب ذوي الآداب :

فالرد بر والسكوت عقوق فلذا جرى لي بالجواب طروق

فالمرجو من تلك الطلعة البهية ، والسدة السامية العلية ، ملاحظته بعين الرضا بعد السماع ، لأنه يشرف عند مثوله في هاتيك البقاع ، وأملي بعد تشرف هذا الكتاب بالوصول ، أن تشملنا بصالح الدعاء بنيل السول ، وأن تخصنا بمـا عن للجناب من اللوازم والمهـــام ، لنفوز بقضائها بمجرد الإعلام ، وأن تعم مني بوافر السلام ، من حضر ذلك المقام . ومن لدى الأولاد ، والشيخ حسين الدوسري وكافة الأحباب ، ينهون عاطر التحية لذلـــك الجناب ، ولا زلت ملحوظاً بعين عناية الله على الدوام ، ولابرحت في كل أمر لك أحسن الختـــام ، لسنة ١٢٤١ ، وانشر عرف ذكي مسك الصلاة والسلام على من خصه الله عز وجل بأعلى مقام ، الذي لأجله ركن وجود العوالم قـام ، نبينا وسيدنا محمد ﷺ من به

بدر كمال النبوة تجلى، ففاز من الفخر بالقدح المعلى ، وعلى آله وصحبه البورة الأجلا ، صلاة وسلاماً يدومان مادام الكلام بحسن الختام يحلى ، سنة ١٢٤١. أقول: وقد قال رحمه الله بيتين قل ان يعززا بثالث ، وبعد انشادهما اقترح بعض الأصحاب أن يذيلهما ، ففعل وذيلهما متواليات فقال :

أطع الله إن طلبت رضاه وعن البغي والمناكر أمسك
وليكن يومك الذي أنت فيه فائقاً في التقى صحيفه أمسك
خالعا ربقة الهوى وابتداع وعرى السنة النقية أمسك
مخلصاً في جميع ماتنتحيه وبريا الكتاب عش متمسك
ذا سبيل النجاة والفوز فيما ترتجيه فكن به متمسك

وقال رحمه الله تعالى ، وقد اقترح عليه ضيفنا الأخ درويش بن صالح السعداني تخميس أبياتي هذه ، فخمستها له وأثبتها ، مع أني غير مرتض التخميس من كل وجه :

أيها المتقي بمحض مناه وهو معط قياده لهواه
إن تكن حازماً نهاه نهاه أطع الله إن طلبت رضاه
وعن البغي والمناكر امسك

احذر النفس فهي حظ السفيه واعصها في حظوظ ماتشتهيه
وافعل الخير عامداً تصطفيه وليكن يومك الذي أنت فيه
فائقاً في التقى صحيفة أمسك

كن لنصح يزينك الدهر واعي وعن الفحش والخناذا امتناع

خذ بنهج الرشاد في كل داع　　خالعاً ربقة الهوى وابتداع

وعرى السنة النقية أمسك

ثق بمولاك إن تكن ترتجيه　　وابذل الجد بالذي يرتضيه

مل مع الحق واعص من لام فيه　　مخلصاً في جميع ما تنتحيه

وبريا الكتاب عش متمسك

خير حال الفتى بأن يستقيما　　سالكاً منهج الصواب القويما

غير وان وإن يكون عليماً　　ذا سبيل النجاة والفوز فيما

ترتجيه فكن به متمسك

ومما قاله في الجناس المركب :

دع العجز واحذر دواعي الهوى　　وجدّ لتكتب في العابدين

وإياك عيباً يشين الفتى　　فقلّ اجتماع مع العاب دين

وله أيضاً في الجناس المركب :

عليك بتقوى إله يراك　　تفز بالسعادة في الخالدين

وواظب على حفظ دين الإلـ　　ـه وآثر على العم والخال دين

وفي ثاني ذي القعدة سنة ١٢٤١ ﻫ اقترح على الوالد أيضاً ضيفنا درويش السعداني المتقدم ذكره نظم السادة الطلس فأسعفه بذلك ارتجالا في المجلس فقال :

عن السادة الطلس الكرام سألتني فقلت هم الشمّ الغطارفة النبل

فدونك عبد الله نجل الزبير من ولادته للكافرين بها فلّ

وقيس بن سعد وهو فرع عبادة جواد له كفٌّ من الجود منهل

شريح هو القاضي بسبعين حجة وماغاب يوماً عن حكومته العدل

وأحنفهم وهو ابن قيس أخو الحجا وفي حلمه الامثال تضرب من قبل

فخذ عدة الأمجاد أربعة هم

أولو الشرف الوضاح فوق السهى يعلو

عليهم سلام كلما طاب ذكرهم بناد وذكر الغرّ بين الورى يحلو

ومما اقترحه عليه درويش أيضاً تخميس هذه الأبيات الخمسة الآتية ، فأتحفه رحمه الله بذلك وقال :

الله لي عدة ما أعوز العددُ حسبي الذي ليس يرجى غيره أحدُ

وإن علاني همّ أو عرى كمد

لبستُ ثوب الدجى والناس قد رقدوا

وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد

كم نعمة للبرايا منه شاملة ولطفه كم وقى من سوء نازلة

دعوته مخلصاً في كل آونة وقلت يا أملي في كل نائبة

ومن عليه لكشف الضر اعتمد

أرجو عوارف فضل منك مغنمها ولي أماني جلّى عزّ معظمها

وها أنا اليوم والآمال تقسمها   أشكو اليك أموراً أنت تعلمها

مالي على حملها صبر ولا جلد

من ذا سوى الله يعين العاجز الضجرا   ومن به تنزل الحاجات والوطرا

وكيف أخشى من الأيام بي غيراً   وقد مددت يدي بالذل مفتقرا

إليك يا خير من مدت اليه يد

لما رأيت العطايا منك واسعة   ألقيت دلوي يا ذا الجود فارغة

صاد أؤمل من جدواك عائدة   فلا تردنها يارب خائبة

فبحر جودك يروي كل من يرد

ومما اقترحه عليه درويش المذكور ، تخميس هذه الأبيات الجيمية الآتي ذكرها فأسعفه بذلك وقال مخمساً :

رب قلب للهم بات يناجي   عاد من لفح كربه الصبح ناج

قل لمن ظل فكره بانزعاج   أيها المركن لما لست راج

من نجاح أدنى لما أنت راج

أعقب العسرَ ذو الجلال يساراً   فتجلبب تضرعاً واصطبارا

حجب الغيب كم طوت أسرارا   إن موسى مضى ليقبس ناراً

من ضياء رآه والليل داج

فاحتبته عناية الله جلّا   وبعقد المجد الثمين تحلى

إذ بخلع النعال في القدس حلا فأتى أهله وقد كلم الله
وناجاه وهو خير مناجي

في البرايا قد اقتضت حكمة الرب بكل أحواله تتقلب
لكسير يعاجل الجبر يعقب وكذ الكرب كلما اشتد بالعبد
دنت منه راحة الانفراج

فكل الأمر للذي دبر الكون لتحظى براحة القلب والعون
وبالسخط والرضى حقق البون فأهل الرضى به لهم الصون
وذو السخط كان للسخط لاجي

أقول : وقد ورد الى الوالد رحمه الله بيتان بعث بهما اليه من بغداد بعض أصدقائه ، من أدباء نصارى حلب ، مقترحاً عليه تخميسهما وتشطيرهما ، والبيتان هما :

تركت حبيب القلب لا عن ملالة ولكن جنى ذنباً يؤول إلى الترك
أراد شريكا في المحبة بيننا وإيمان قلبي لا يميل الى الشرك

فخمسهما الوالد مسعفاله بمطلوبه ، وموجهاً عذره في صده عن محبوبه ، بقوله :

دواعي الهوى تقضي بكل ضلالة فصن نفسك الحمقاء في كل حالة
ألم ترني مذ شمت بادي جهالة تركت حبيب القلب لا عن ملالة
ولكن جنى ذنباً يؤول إلى الترك

يروم اختياري بالغرام تفتننا ولم يدر أني لا ألائم من جنى

فلما اقتضت منه الغباوة بيننا أراد شريكاً في المحبة بيننا
وإيمان قلبي لايميل إلى الشرك

ثم قال أيضاً رحمه الله تعالى مشطراً لها بقوله :

تركت حبيب القلب لاعن ملالة
ورب انحراف جاء في معرض الضحك
أعاطيه وداً لايحول صفاؤه ولكن جنى ذنباً يؤول إلى الترك
أراد شريكا في المحبة بيننا وأي اشتراك صح من وصمة الشك
كفى صفقتي ربحاً ببيعة واحد وإيمان قلبي لايميل إلى الشرك

وقال أيضاً مشطراً لها على وضع آخر بقوله :

تركت حبيب القلب لاعن ملالة وفي القلب من حر الصبابة ماينكي
فدعني عذولي ليس تركي له سدى ولكن جنى ذنباً يؤول إلى الترك
أراد شريكاً في المحبة بيننا وفي منهج الإشراك داهية الإفك
وإني في دين الغرام موحدٌ وإيمان قلبي لايميل إلى الشرك

ومن قوله أيضاً في تشطيرهما مع نقل المعنى الأصلي الى معنى آخر بقوله :

تركت حبيب القلب لاعن ملالة بمنزلة بين الجوانح عن وشك
بعينيه أخذي العهد منه على الوفا ولكن جنى ذنباً يؤول إلى الترك
أراد شريكاً في المحبة بيننا فقاسمته فالشوق لي وله ملكي
ورحت فريد العشق في واحد البها وإيمان قلبي لايميل إلى الشرك

أقول : وفي أيام قدوم الوالد إلى البصرة سنة ١٢٤٣ هـ اقتضى نظره العـــالي إلى أن يرفع إلى وزير بغدادوهو داود باشا ، هذا العرض ، وأرسله اليه ؛ وفي ضمنه فرمان سلطاني باسم جـــدنا السيد خليل رحمه الله ، يتضمن رفع جميع المظـــالم عن أملاكه وأملاك أولاده ، وأولاد أولاده ، وأن لا يؤخذ عليه من الخراج إلا بقدر الخراج الشرعي ، وهذا هو العرض .

قال رحمه الله تعالى : اللهم يامن وردت فيض فضله ظماء الآمـــال فصدرت ريا ، ويا من بسطت أكف الرجـــاء متعرضة لنفحات عطفه فرجعت ملأى ، اسألك باسمائك الحسنى ، وبنور وجهك الباهر الأسنى ، أن تخلد سعادة من ميزته بعد أن اخترته لإيضاح معالم الفرائض والسنن ، وفوضته بعد ما أهلته التقليد أجياد الأجواد بفرائد المنن ، الملك الذي شاد قواعد العلم بعد همودها ، وأشرق لوامع الحق وقد أذن الدهر بخمودها ، الهمام الذي وقفت همم ذوي التيجان دون مرام همته حسرى ؛ وأمطر له التوفيق عوارف السيوف والاقدام في رياض العدى ، فأثمرت له بداني الخباء نصراً ، المولى الذي أغنى ظهور فضائله أن يزيدها الواصف إيضاحاً وتبييناً .

لسنا نسميه إجلالا وتكرمة ووصفه المعتلي عن ذاك يغنينا

لابرحت شموس سيادته مضيئة بأرجاء البسيطة ، وعناية رأفته لمستحقيهـــا شاملة محيطة ، آمين .

أما بعد ، فالمعروض بين يدي تلك الحضرة العظمى ، والمورد الذي وارده لايظما ، هو أنه قد كان لاسلافنا رعاية سلطانية ، وحماية خاقانية ، أعدوهـــا لدفع سهام الاذى عنا درعاً حصيناً ، فحزناها بطريق الفرض حقاً مبيناً ، وإن لهذه الدعوى بينة عادلة ، وحجة عن سنن الحق غير عادلة ، وهو بما تضمنه هذا الفرمان الشريف السلطاني ، المتشرف برسم اسمه فيه جد جدي الداني ، ثم انه بحكم تعاقب الأيام قد أوشكت تلك الحماية للانصرام ، بل

هد ذلك الحوض ، ورعى حمى ذلك الروض ، حتى لم يبق في الحوض مشرع ، ولا للقوس منزع ، ولما تليت علينا سور محامد ولي نعمتنا وملاذنا ، ومن نعده بعد الله تعالى أنفع ذخر لانقاذنا ، فإذا هي أحكم آية ، دلت على أخذه بجامع الاحسان في السيرة ؛ ولكن رفع ما يجري في هذه الأرجاء محجوب عن المسامع الشريفة النضيرة ، وتكاثف الغمام يحجب شمس الظهيرة ، فأيقنا بأن تلك السجايا الكريمة ، تأبى هضم الشريف ، وتستلزم جبر كسر البائس الضعيف ، ولذلك هان على الملوك الاقدام على رفع شكاية الحال ، واتضح عذره حيث مدلبيان مؤلمه عذبة المقال ، فإن للملوك وبني عمه ضياعاً تناولتها يد الضياع ، ومحارسهم صيانتها مرور أكف الجائرين من العمال الرعاع ، ومن جملة ذلك للملوك ، ملك في نهر حمدان يسمى العثمانيه ، قد أخذ الجور عليها بالترقي فبلغ رائده أمانيه ، فمن عهد حكومة عبد الله آغا إلى يومنا هذا تجاوز الجور النصف ، فكيف أقول على الضعف ، حتى انه لم يفضل لنا بعد المصارف من الغلة إلا اليسير ، وربما نعالج به موجبات هذه العلة ، ولم يرع فينا واجب حرمة آل الرسول ؛ ولا الانتساب لخدمة طلبة العلم الشريف المنقول ؛ ولا تراعى لحرمة كوننا من قدماء ذوي البيوت التي لم تزل مأوى اليتيم والغريب وذوي الحاجة للقوت ، ولم يحصل الارتداع عنا لوجوب امتثال الأوامر السلطانية ، ولا بمخافة السطوة القاهرة السبحانية ، وها قد رفعنا إلى كهف المستغيث قصة الشكوى ، والعفو عما طغى به القلم أقرب للتقوى ، فإن شاء مالك أمرنا المرتجى ، ومن إليه بعد الله تعالى في النوائب الملتجى ، أن تعطف علينا مراحمه ، وتشملنا بسابغ الاحسان مكارمه ؛ باصدار أمر شريف ؛ يتضمن منع العمال والضابط الضباط عنا عموماً من جميع التكاليف والتعديات ؛ وكافة الرمايا والسخر والهوائيات ؛ وابقاء أميري واحد على خصوص ملكنا المسمى بالعثمانية ، مقطوع لرسم الخراج ؛ واسقاط ماتكرر عليها من مضاعفات الاميريات وراج ؛ فيكون الساقط عنها بل عنا ثلاثمائة قرش عينا ، وذلك هو غاية ما قصده المخلص وما أم له ، وأناخ لأجله في ساحة فضلكم نجائب ما أمله ، فعل ان شاء الله . وثمرة ذلك دعوات صالحة يرفعها لسان الاضطرار إلى من ليس تعزب عن علمه خبايا الاسرار ، وربح اجور ترجح بكفة الحسنات ، يوم

تبدل الارض غير الارض والسموات ، وعاطر ثناء يعبق فائح عرفه في كل نادي ، وينقله الوارد والصادر إلى كل وادي ؛ وأستمنح الله تعالى رافعاً كف الضراعة ، متوسلا إليه بحبيبه صاحب الشفاعة ، أن يتحف رب الحضرة العلية بالعز ونجح المرام ، وأن يقرن مبادىء صالح أموره بحسن . الختام انتهى .

وهذا صورة سؤال رفعه الشيخ محمد ابن الحـــاج خليل بن تويك ، إلى سيدنا الوالد رحمه الله تعالى وهو :

يا من تقمص بالفضل حتى فاق الأقران، وتجابب بالنبل بين أبناء الزمان ، إني وقفت على نكتة لم أعرف السر فيها ، فالمأمول كشف خافيهـــا وباديهـــا ، لازلت مجيداً بأدبك كنسبك ، وهي فيما أسوقه متضمنة . قال البوريني رحمه الله تعـــالى في شرح ديوان ابن الفارض ، رحمه الله تعـــالى : رأيت في شرح المتنبي للشيخ أبي الفتح ابن جني عند الكلام على قوله :

بكيت على الاطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

ما معناه : أن الشيخ أبا الفتح قرأ على المتنبي هذا البيت ، وفتح التاء فقال له المتنبي : اكسر التاء ، فقال له أبو الفتح : الفتح أفصح فقال : ألا تنظر الى حركات ما قبل الميم كيف تجد الجميع مكسوراً ، فعلم مراد المتنبي وأثنى عليه .

انتهى بحروفه ، ثم أشفع السؤال بقوله :

أمولاي لايخطر ببـــالك أنني أريد امتحاناً بالسؤال ومفخرا

ولكنني لم ألق شخصاً يدلني سواك فجد لازلت للفضل مصدرا

فأجاب الوالد رحمه الله تعالى بما صورته : أخي أيهـــا الفاضل ، ومن قصرت عن تطاوله يد المتناول ، سألتني ولم يكن المسؤول بأعلم من السائل ، عما لم أقتطف من جنى

ثماره ، بل لم أنتشق أزهاره ، ولم اميز بين وروده وجلناره ، بل ولا بين بهاره وعراره ، فإن قنعت بعجري وبجري ، ولا أقول لسبر كنه خبري فأقول :

اعلم أن مراد أبي الفتح : الأفصح هو الفتح ، وذلك أحد الوجهين عن العرب في فتح تاء خاتم . وأما مراد المتنبي من حركات مـا قبل الميم ، فذلك ميم روي القصيدة فإنه التزم كسر ما قبلها في جميع ألفاظ قوافيها كقوله : طاسمه ، ساجمه ، غارمه ، رازمه خاتمه ، إلى آخرها ، فراعى في كسر خاتمه بقية ألفاظ روي القصيدة ، مع صحة الرواية بذلك . ووجه ثناء أبي الفتح عليه ، حيث رأى مزيد اقتداره على الاتيان بتناسق حركات مـا قبل الروي بطولها ، وذلك من لزوم ما لا يلزم ، مع عدم التكلف ، وأتى بأفصح الألفاظ وأبلغ المعاني كما تراه . ورواية البيت هكذا :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها » إلى آخر البيت ـ ولا يصح :

« بكيت على الاطلال » لفساد المعنى كما هو ظاهر لديكم .

هذا ما ظهر لي من الجواب ، فإن رأيت كلفا ، فأرخ عليه النقاب ، لازلت محبباً بين الصحاب ، وقبول عذري بالقصور عن ولوجي في هذه القصور ، هو عين المأمول ، والعذر عند كرام الناس مقبول ، ثم اشفع الوالد جوابه هنا بقوله :

إليك أخي مني جواباً به انجلت	براقع عن وجـه السؤال فأسفرا
أصبت الذي أضللته بعد هدأة	من الليل اذ أدلجت سار وبالسرى
وما أنا أهل أن اقنص سائلا	شوارد إن الصيد خُص به الفرا
فدع لي ادعاء العلم ستراً أعش به	ورب جهول بالدعاوى تسترا
ولا تلق عن علمي الغطاء فليس لي	بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
وأرجو بأن الله ينعشني إذا	منيت بذي جهل تحذلق للمرا
ويتحفني منّـاً بصحبة ماجد	حليم إذا ماأورد الامر أصدرا

لعلي به أرقى ألى رتب العلا   وإني لأرجو فوق ذلك مظهرا
ولا زلت يارب البلاغة مالكاً   مقاليد أبحاث العلوم محررا

ومن لطائف نظمه رحمه الله تعالى قوله :

يا مصغيا لمقالي   وقد تكرر أنكر
اسمع فإن لهذا   شأناً به اليوم اعذر
كررت سكر لفظي   إذ ذقت طعم المكرر
وماء زهر حديثي   بالانسجام تحدر
كررته مثل ماء الور   د الجني فأعطر
فلا تبادر بلومي   فاللوم لؤم وأحقر
أنكرت بالجهل أمري   والشيء بالجهل ينكر
شؤم الغباوة أدى   أن يجعل العرف منكر
والجهل داء عضال   يقضي إلى الهلك فاحذر
فكن محلى بعلم   عساك بالفضل تذكر

ولما قدم رحمه الله تعالى إلى البصرة ، زاره أكثر الأصحاب إلا القاضي عبد الحميد ابن القاضي عبد الله أفندي الرحبي ، فتأخر يومين عنه ، فكتب اليه الوالد هذه الابيات :

ياإماما أجاد فصل الخطاب   وبه يقتدي أولو الآداب
وكريماً حاز المعالي إرثاً   ولقد شادها بخير اكتساب
لم عاملتني بمحضيَ محو   رسوم الحقوق بين الصحاب

أي ذنب جنيتــه أهــل ودي فيكون الصدود بعض عقـابي

أين حق الجـوار أين اتحـادي أين حـق القدوم بعـد اغترابي

زورتي سنة أتى النص فيهـا عن خيار الورى ونص الكتاب

وأخـو العلم بالتأسي جـدير إذ به يهتدى لنهج الثواب

فلماذا العدول عن هدي هذيـ ن وقد أوضحا منـار الصواب

لايليق الجفـا وقـد رق طبع من حليف الوفا كريم الجنـاب

وأنا عاذر وإن قلت عتبـاً فدام الصحاب صافي العتـاب

وفي ساعة ورود هذه الأبيات إلى القاضي المذكور ، صدر الجواب منه ارتجـالا ، فأثبتناه هنا على ما فيه من الركاكة . ثم أتى زائراً على إثر رسوله ، وهذا جوابه :

ينهي السلام من الحبيب الى الحبيب القادم ، السيد البدر المنير شمس النهى في العالم ، لازال محروس الجهات بجاه صفوة آدم ، خير الأنام المصطفى من خير صفوة هاشم ، وصل العتاب فكان لي ياخل خير منادم ، فوصلته بنديمة تجلي العروس وخـادم ، فهو الدليل أمامها ؛ وهي النديم ببامسم ، وهذه المشار اليها :

ياحبيبـا وافى على الأحبـاب وبـه يقتدى بفصل الخطـاب

وقديمـاً حاز السيادة قـدمـاً وارتقى أوجها بغير اكتساب

وأديباً من فيضه انتهل الفضـ ل وارتوى من علمه أولو الآداب

ماجنيتم وإنمـا أنـا جان باحتجابي عن زورة الأصحـاب

غير أني طروب لذة وصل بعد قطع ولوعة واضطراب

إنها سكرة تزيد سروراً وحبوراً على مزيج الشراب

أمّها العارفون من قبل هـذا　　　وحـذاحـذ وهم أولو الألباب

أيها الخـل فاغتنم صفو روح　　　فاق صفو الطلا ودق الرباب

واهجر العتب عن خليل عشيق　　　مذهب العاشقين هجر العتاب

لست أجفو لو كان لي بعض ود　　　كيف والحب سيد الأحبـاب

إنني زائر بعون إلهي　　　منجز الوعد بعد وصل الجواب

ومما قاله الوالد رحمه الله تعالى في جواب سؤال رفعه بعضهم ، ملغزاً فيه إلى بعض أصحابنا من مشايخ فارس ، نازلاً في البحرين ، فاجاب عنه نثراً ، وظن أنه على ظاهره ، لكونه ليس له بالألغاز إلمام ولا سابقة اطلاع بهذا الفن ، فأتى جوابه غير مطابق للسؤال فنظم الوالد سامحه الله فيه ملغزاً باللفظة المسؤول عنها ، وهي لفظة « جبل » المعبر عنها في السؤال « بالعلم » ، وهذه صورة السؤال ، قال السائل :

أيا من مقاليد المشاكل عنده　　　وصعبتها قد أصبحت طوع أمره

فما علم ممنوع صرف منونـاً　　　وقد دخلته كسرة حال جره

وليس مضافا بل ولا ذو تناسب　　　ولا « أل » به إلا ضرورة شعره

وقد جاء مشهوراً وفي الذكر قد أتى　　　وهذا عجيب فاكشفنّ لسره

وقال الوالد رحمه الله تعالى مجيباً على الوزن والقافية ، وهذا قوله :

أيا سائلي باللغز عن كشف خدره　　　هو اسم أبي الحبر الصحابي فادره

وفي عصرنا تلقى ابنه عاش كاسمه　　　سعيداً وفي الأخرى يجازى بشكره

لقد ضل رأياً نجل نوح بجعله　　　له عصمة والله قاض بخسره

له شهرة في شعر خنساء إذ بدا ... له جبل تدري الرواة بصخره
أتى علماً في كل حال منوناً ... بلا علة لم ينصرف حال جره
ومن طرق في بعض افراده رووا ... له الود عن جمع أبوا وجه كسره
ترى كل فرد منه في الارض قائماً ... إلى ان يشاء الله نسف مقره
وقد جاء في التنزيل وهو منكّر ... ولكنّ بالتعريف تشريف قدره
تصاحيفه تبدي وجوها عجيبة ... فمن ذا رأى جبلا كخيل بعصره
وكم جبل قد صار حبلا حقيقة ... ولا خبل في من أتى ذا بفكره
وكم مجلس يبدي التأوه ربه ... له نجب مذ حل عجز بصدره
وقد عاد لحناً وهو لاشك معرب ... ولحباً أتى سهلا بأثناء وعره
إذا عينه في الصدر حلت مصحفاً ... فذو البخل يدعى بخل حاتم دهره
له ابر قد جاء صاف شرابه ... وأحنت أبينا جاء في بدء نجره
بدا اسماً ثلاثيا فإن بان صدره ... فخذ منه فعلًا ماضياً وقع قطره
كذلك يأتي ذاك حرفا لأصله ... وينعطف التالي له طبق أمره
إذا ما خلا من قلب ذا خاطر امرىءٍ
فذلك من جنس البهائم فادره
ودع ثلثيه الباقيين كليهما ... لخفض الذي يتلوه حالة كسره
إذا فاؤه باللام منه تقارنا ... ففعل لوصف الرب جل بذكره
وذلك يأتي اسماً يضافيه كسوة ... لكل جواد سابق في مكره
وفي قلب ذا للفلك مرسى ومسرح ... حوامل تطفو بالعنا فوق ظهره

وفيه معان قد تركت نظامها　　لعلك تبدي ما طويت بنشره

وقال رحمه الله تعالى ضمن كتاب أرسله لبعض أصحابه إشارة لمودة بينهما .

فسل خالداً عما تخيله حدسي　　فأفرغت في أذنيه ما جال في نفسي

نظرت بعين الفكر في حال بعضهم　　فحققت فيه الشر مذ ساعة الغرس

وأيقنت أن الشر يبديه طبعهُ　　إلى يوم يرزا أو يدعدع في الرمس

وقال سلمه الله تعالى مشطراً بيتين للمتنبي من قصيدته التائية التي مطلعها : «سرب محاسنه حرمت ذاوتهـا» قالا :

ومطالب فيها الهلاك أتيتها　　متدرعا بالصبر في صدماتها

فإذا كسا الروع القلوب رأيتني　　ثبت الجنان كأنني لم آتها

ومقانب بمقانب غادرتها　　غوغا لما أرغيت ثم سراتها

وتركت أجناد العداة ضحى الوغى　　أقوات وحش كن من أقواتها

ومما قاله الوالد رحمه الله تعالى مادحاً به الحاج محمد أفندي ، وزير والي بغداد ابن علي أفندي ، نائب القضاء في كركوك ، وشاكراً له على إسقاط مظلمة من الخراج كانت على نخل له في البصرة ، وذلك أنه حال اجتماعه به في البصرة ، عرض عليه فرمان سلطاني مرسوم باسم جدنا السيد خليل ، يتضمن إسقاط الخراج عن أملاك جدنا المذكور ؛ وأملاك ما تناسل منه بطناً بعد بطن عموماً دائماً ، ولطول المدة تجاسر بعض العمال على ظلم بعض أملاكنا ، ومذ عرض الوالد الفرمان المذكور على الوزير ، استصحبه معه إلى بغداد فعرضه على داود باشا الوالي فصدر منه الأمر بطرح تلك المظلمة عن أملاكنا ، فامتدحه لكونه الواسطة في ذلك فقال :

هاج شوقي الى الحبيب المفدّى مذ رأيت الركب العراقيّ يحدا
وانبرت مقلتي تحاكي الغوادي في انهمال ولم أجد منه بردا
كيف يطفى بالدمع حرّ فؤاد كلما هبت الصبا ازداد وقدا
قد حرمت الرقاد مذ عنّ ذكرا ه ولولاه لم، أذق قط سهدا
ذو حنين يشجى له كل قلب وإذا شمت بارق الكرخ جدا
لم يدع لي البعاد غير خيال والنوى توهن المشوق الأشدا
وإذا رمت سلوة قال قلبي كيف تسلو وركن صبرك هدا
لم أخل أن داعي الحب يضني ولقد كنت في الحوادث جلدا
كنت طود الحجا فمذعبثت بي كف حكم الهوى تبينت وغدا
عدت بعد المشيب غض التصابي وتجاوزت في الخلاعة حدا
أين يلفى الوقار صب معنّى كل يوم به الغرام استجدا
يارعى الله عصر أنس تقضى كلما مر ذكره همت وجدا
في عراص الفيحاء جاد رباها صوب وسميه تجلجل رعدا
حيث شملي بمن هويت نظيم نائلا من خلاله الغر قصدا
فزت بالوصل والرضى والأماني من حبيب أعاد منا وأبدى
قد جرى حبه فحل السويدا حيث منه جداول الجسم تندى
أنا في رقه أسير هواه طالما الحب صيّر الحر عبدا
لاتسل عن حفاظ عهد ودادي أحكمت بي له المروءة عقدا

لست انفك مـا حييت محبـاً   مغرما فيك زاده البعد ودا
آخذ الله من أطاع اللواحي   فيك يا من بدوت في الحسن فردا
أترى لي بعود ماضي الليالي   وأرى ذلك الجمال تبدى
فأؤدي من شرح حالي شفاهاً   حيث يدري الندب الأجل المفدى
ذو المعالي محمد بن علي   من أقام النوال فرضاً مؤدى
أيّد ماجد أريب لبيب   برداء العلاء طفلا تردى
لم يزل دأبه اكتساب المعالي   فاقتنى ما أراد جاهاً ومجدا
فات أهل الكمال في حلبة الفضـ   ـل إلى غاية النهى وتعدى
لجة في العلوم تقذف دراً   كل من حـازه تمـول حمـدا
حاز نوع المفاخر الغرّ طبعـاً   وأبى أن يرى له اليوم ندا
علقم في مذاق كل عدو   لم يسغه وسكّر للأودا
باء بالويل والخسارة نكس   قد تراءى لذلك القرم ضدا
الأبي الوفي من ليس ينسى   عهد رب الاخاء قرباً وبعدا
صادق القول قد أرانا عجـابـاً   من سجاياه حين أنجـز وعـدا
إن فعل الكريم تعرف منـه   طيب أصل الفتى إذا رمت نقدا
لم يصب سهم فكره غير عين الحق مهما فقدت رأياً أسـدّا
ذو أياديكم ، قلدت جيد حر   منناً ، بعض شكرها لايؤدى
كم تـرى ذالبانـة لم ينلهـا   وبه مذ أناطها حاز رشدا

غير بدع إذا ارتقى ذروة المجـ ـد وأضحى في الجود والفضل فردا

فهو فرع من دوحة العلم والحلـ ـم ومن طاب في الفضائل وردا

نائب الشرع والأمين على الحق بكل الذي قضى وتحدى

أيها الماجد الذي عز مثلا وغدا للكرام كفا وعضدا

إن شوقي الى لقائك باد ونفاد العزاء والصبر أبدى

والتسلي بمن سواك محال والليالي تفيدني عنك بعدا

مااحتيالي ودون لقياك لج مزبد حالك وبالهول مدا

ووراء المهول شقة سير وعلى سبلها العدو استعدا

لم أجد راحة تخفف مابي من هيام إليك لما استجدا

غير أني أجيد فيك القوافي أتسلى بنظم مدحك عمدا

فإليك الثناء في سمط درّ راق في جيد كل حسناء عقدا

كاد من رقة يسيل انسجاماً ياعجيباً للطرس لمْ لاتندا

يتغنى بنظمه كل باد وغدا للمقيم في الناد ندا

هو في الحسن والملاحة غنجا ء رداح تروق عينا وخدا

حجبت عن سواك إن أباها هاشمي وكفؤها قل جدا

مهرها أن يلوح منك قبول ولإنشادها الأفاضل أجدى

خير مدح أتاك مدح نجيب لم ترل نحوه المدائح تهدى

لستِ ممن يصيّر الشعر كسباً يتقاضى به عروضاً ونقدا

غير أني أجزي به ذا الأيادي   يوم أكسوه من ثنائي بردا

فسأثني عليك شكراً بمدح   عرفه في البلاد مسك أعدا

عش سعيدا في غبطة وحبور   وارداً من مناهل العز عدا

بحمد الله قد أسعد النطق بحسن الثناء ، ولولا تنائي الديار ، لأسعد الغنا بالخيل والقنا ، على أن زهرة الدنا اذاعة الثناء في كل فناء .

من خير مايلقى الفتى من دهره   نبأ حميد عنه يوماً ينشر

وانه لغذاء أرواح الأكارم ، تستنشقه انتشاق لطائف النسائم ، وإذا صادف الثناء أهله ، فقد طابق الفرع أصله ، ولقد جذبتني يد التوفيق ، إلى أن أقرن حسن ثنائي بحقيق به على التحقيق ، فمازجه امتزاج الماء بالراح ، وانطبق عليه انطباق الجفن بالجفن من الاشباح ، ألا وهو الألمعي الوفي في عهوده ومن غيبته في حفظ إخائه كشهوده ، الأبي الذي ألبسته المروءة ضافي جلبابها ، وقدمته الفتوة في صدر محرابها ، فولج إلى كسب كل فضيلة من بابها ، وأقر له النبلاء بأولوية الامامة وتحققوا أنه ابن جلا ولو لم يضع العمامة ، الفاضل الذي له في تلخيص المعاني دلائل الاعجاز ، السالك في بيان حقيقة البدائع واضح المجاز ، من تليت سور فواضله بألسنة الكرام في كل مقام ، وافتتح بمحكم آيات فضائله أمام صف العظام كل إمام ، لقد رفع سند حديثه راية المجد عن أب وجد ، وصح له بتواتر الرواية ، في كسب المفاخر أعظم الدراية ، وسبق بيمين عرابة بتلقي تلك الراية ، وتميز برفعها حتى نصبها في منتهى الغاية ، فهو متمكن أمكن في المحامد اسماً وفعلا ، وشبل المناصب من ذلك الأسد شهامة ونبلا ، برز أبوه لنصرة الحق في مقـــام الأصالة ، وورث دوحة الفضل مثمرة بالعز والجلالة ، ورقي من الشرف رتبة لايصلح إلا لها ولا تصلح إلا له ، فلو قيل : من أناله كماله لقيل : حسبه أناله كماله ، فأهدي إلى ذلك الجناب الذي أخصبت بالعز رحابه ، وجادهـــا من صيب الفضل ربابه ، وافر سلام يتردد إليه تردد الأنفاس في الاجساد ؛ وعاطر ثنـاء يتأرج بعرفه كل ناد للأمجاد ،

لا زال جنابه محط رحال العفاة من كل الجهـــات ، يانعة أزهار رياضه الموجودة بأنواع الخيرات ، آمين .

أما بعد فأنهي إلى تلك المعاهد الوريفة ، وأملي على هاتيك المسامع الشريفة ، من حديث شوقي ما يملأ كل صحيفة ، وكادت تنقطع بحمله المهج ، وقيل لحامله هذا القتيل بلا إثم ولا حرج ، قد أقمت بلذع لوعته أتقلى ، ولم أجد عنك ما به أتسلى :

يامن يعز علينا أن نفارقهم   وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وإن تسلى محب بعض آونة   فما التبدل والسلوان لي شيم

ولم أر قبل فراقك أن البعاد من أعظم دواعي خلود الوداد .

لاتحسبوا نأيكم عنا يغيرنا   إذ طالمـا غيّـر النأي المحبينـا

والله ما اتخذت أرواحنا بدلا   عنكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

ولم أزل يترامى بي الغرام في صورة المتهالك ، ناهجا في الهيام أوعر المسالك ، إلى أن ألقي على وجهي قميص كتابكم المكنون ، الذي كسا القلوب مسرة وجـــاء قرة للعيون ، فسكن به بعض ذلك الوله والشوق ، فشب به عمرو عن الطوق ، وتمسكت به للفخر بحبل لا أخاف انتكاثه ، وعطست به للكبر بأنف علقمة بن علاثة ، كتاب اقتطف منشؤه من أزهار البلاغة بلاغه ، فاستعجمت لديه فصاحة ابن المراغة ، وتزحزح له ابن العميد عن دست الكتابة ، فما ابن الصائغ وتلك الصياغة ، فأنى لهـــذا المسكين وهو باقل عصره ، أن يبلغ شأو قس دهره ، ولا أقول في مصره ، فلمـــا لم أجد لمجاراته قوة ولا حولا ، أحجمت عن رسم جوابه حولا ، ثم تبين لي أن إحجامي يسقطني من سلك الأدب ، ورأيت أن العاجز عن الصلاة قائماً ، جثا على الركب ، فأقدمت لئلا يعود سوق الأدب إلى الجنة ، وقدمت شرح حالي ليكون لي جنة ، وتداركت طول المطل بحسن وفاء الدين ، فاخترت أن أحلي صدر جوابي بقلادة تروق لكل عين ، وفصلت يواقيتها بالدرر

المنتخبة من مغاص البحرين ، لعلهـا ترقع خرق التسويف في المجاوبة ، وتغلق عني باب المعاتبة ، قمت بها شاكراً فضل أياديك الغامرة ، ومنوهاً بشمول نفع غواديك الماطرة ، فلقد عد الكرماء مثلهـا لتخليد مناقبهم رأس الأرباح ، وإن أغنى عن المصبـاح ضوء الصباح .

فاستجلها ودع الحساد في كمد
واشرب كؤوس الهنا في عيشة رغد
لازلت في عزة قعسا ولا برحت   لك المسرة في أثوابها الجدد

وأطال الله لك البقاء في مزيد الارتقاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وقال الوالد رحمه الله تعالى في مدح الوزير داود باشا شاكراً له حسن صنيعه :

بالعوالي طعنا وبالبيض قداً   بالاعادي تنال فخراً ومجدا
إنما العز تحت ظل المواضي   فلها فاتخذ طلا الضد غمدا
ومن استعمل الظبا أوهن الضد   وقاد القبائل الغلب ربدا
يدرك الفوز بالمنا كل من وا   صل غزو العدا مراحاً ومغدى
فاعمل اليعملات في داجن اللي   ل لجوب السباسب الفيح وخدا
وأنخها في ربع كل عدو   وإليهم قدها سلاهب جردا
تغنم العزّ والعلاء ويكبو   خاسئاً ضدك المفاجي ويردى
لاينال الفخار من عشق الرا   حة واستوطأ التكاسل عمدا
وأخو النخوة الشديد إباءً   ليس يرضى له الهوادة بردا
ومداراة من يعاديك عجز   ظاهر إن وجدت من تلك بدا

لايغرنك من عدوك لين فهو سم وقد يمازج شهدا
ليس يرجى صفو المودة ممن حشو أحشائه تضمن حقدا
من أخاف العدى أعز الموالي واقتنى في الأنام جاهاً ومجدا
إن جار الغيور يسري مهيباً يتحامى وعاش بالأمن رغدا
فإذا رمت أن تعيش عزيزاً فاتخذ للعدى من الرعب جندا
كصنيع الوزير داود ذي الحزم أبي يوسف المليك المفدى
الهمام السميدع الندب ذو النجدة من كفه من البحر أندى
المليك الذي استباح حمى البخـ ـل وأحيا للجود رسماً وأبدى
خير ملك ساس الرعايا برفق وتولى بالعدل حلا وعقدا
أمّ ساحاته العفاة فنالوا فوق ما أملوه بشراً ورفدا
دون جدواه مدّ دجلة سيباً فهي بالماء وهو بالتبر مدا
عاش في ظله الموالى عزيزاً والمعادي أشقاه ذلا وطردا
جاره آمن صروف الليالي لايهاب العدى ولم يخش كدا
فاتك ناسك وهوب كسوب لبس العلم والشجاعة بردا
باسم حيث تكفهرّ وجوه الصـ ـيد عند النزال والبيض تندى
أثبت الغلب والأشاوس جأشاً وهو أورى الورى لدى الرأي زندا
فهو غوث اللاجي وغيث لراجي كل فضل من الهمام استمدا
عزمات الوزير تغني عن الجيـ ـش ولا يختشي بها الموالون أسدا

قد عـلا همـة فحط الثريا ... وارتقى أوجه مرامـاً وقصدا
وتحلت به الوزارة عقـداً ... من نفيس العلوم ناهيك عقدا
طرز الحكم بالعلوم ووشـا ... ه بحلم وقبلُ بالعدل سدى
فلبغداد أن تتيه عـلاءً ... وسروراً وبهجة لن تحدا
فلقد حازت الفخار على المد ... ن ونالت مذ حلها البدر سعدا
يا مليكاً بل يا إمامـا تسامى ... عن مثيل ذاتاً وخلقـاً ومجدا
لم أطق حصر ما حويت من المد ... ح ومن ذا يطيقُ للشهب عدا
إنمـا ذا جهد المقلّ ومن جا ... دَ بموجوده فقد جـاد جـدا
أنت طوقتني بوافر إحسا ... نك حتى أمسى به الحر عبدا
أنت أطلقت أسر نخلي من الظل ... م فقيدتني لشكرك عمـدا
فلأبدي بين القبائل شكراً ... وثنـاءً يضوع مسكاً وندا
ويقيني بأن شكري يقي لي ... ما توليت من حباً لي تسدى
وبمقدار نعمة الله حتم ... شكره وهو حصنهـا فاستعدا
كل فرد في شكره ذو مقـام ... لم يطابق سواه نوعـاً وحـدا
إن شكر الولاة عدل ورفقٌ ... بالرعـايا والحق فيهم يؤدى
وأخو العلم والتملك أحرى ... أن يرى شاكر الإله مجـدا
مثل مـا وفق الإله تعـالى ... ذي الوزير الشكور للشكر أبدى
وإلى باذخ المقـام قواف ... عطرت بالثناء غوراً ونجـدا

وتخطت إليك موج خضم ٍّ هائل فالفرات تخطوه وردا
صدرت من صميم قلب محب معلن بالدعـاء يتلوه وردا
ومرامي قبولها وهو حسبي وبعين الرضى تلاحظ سعدى
دمت في نعمة وعز وبشر تملك النصر والسعادة جنـدا
كلمـا أضحك الرياض الغوادي وتغنت ورقاء والروض يندى

اللهم يامن أمر بالدعاء ووعد بالاجابة ،ياراحم تضرع العبد إذا طرق بابه مخلصاً له الإنابة ، أسألك بمن توجته بتاج المحبة بعد الخلة ، ونوهت بذكره في الخافقين وأدنيت منك محله ، أن تخلد على صفحات الأيام سعادة عبدك ، الناصر لأوليائك وجندك ، الذي أحيى معـــالم العدل بعد انطماسها ، وشاد قواعد الدين بتنظيم أساسها ، وأوضح مناهج الحق بنبراس العلم ، وهو أضوء بنبراسها ، الهمام الذي وطئت أقدام همته هامة النعائم ، وفرق بعلوهـــا شمل الحوادث وضده ببحرهن عائم ، الوزير الذي أهل على عراص أوليائه سحائب النعم ، وحاط حوزتهم بآيتي السيف والقلم ، وأحيى رسوم الأوامر السلطانية لحسن امتثاله للاحـــكام القرآنية ، حضرة أفندينا لازالت أعلام النصر بين يديه منشورة ، ولا برحت مقدمات أنصاره بالتأييد الإلهي منصورة ، ورياض سيادته بوابل الخيرات ممطورة ، آمين . أما بعد :

فلقد تشرفت أنامل المخلص ، بتقبيل المثال المستوجب من كل واقف عليه لزوم الامتثال ، فطال المملوك بما تطول به مالكه ، ونجا ملكه من أيدي الهلكة ، بعد أن ضاقت مسالكه ، فوجب القيام بأداء فرض شكرك على الدوام ، شكر الروض لواكف الغمام .

فلأشكرنّكشكر سارٍ فرقدا ولتشكرنك عترتي للملتقى

ولأسألنّ الله أكرم واهب ... لك بالسعادة والعلاء وبالبقا

ولما وقفت بي سفن المال عن العبور الى ساحل شكر إنعامك الهطال عملت بحكمة النصيح حيث قال :

لاخيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

فنظمت بعض المناقب الشريفة في سلك الاجادة فجاءت بحمد لله لتخليد المكارم خير قلادة ، وحليت صدرها بنظم جمان الحكم والامثال السائرة ، ليحسن الاستشهاد بها في المحافل التي هي بأهل الكمال عامرة ، وسأتبعها بأخواتها الفرائد الحسان ، ليعبق طيب الثناء في كل مكان ، وتنقله الركبان إلى جميع الأوطان ، ورجائي قبول مزجاة هذه البضاعة لأنها غاية الإمكان ، وإني لا أخشى عليها الإضاعة وقد حظيت بمدح إنسان عين الزمان وأسأل الله تعالى للجناب السامي المديد ، دوام الفضل والعز والتأييد ، في نعمة سابغة وعيش رغيد ، فإنه تعالى ولي ذلك وهو الحميد المجيد ، آمين . وصلى الله على خير خلقه ، نبينا محمد الامين ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين .

ومما قاله بطريق الوصية لبعض زوار المشاهد الشريفة ، وتلك العتبات الباذخة المنيفة ، رزقنا الله حسن التمسك بولائهم ، وجعلنا من خواص أتباعهم ، آمين . في سنة ١٢٤٤هـ واسم الزائر حبيب ،قال :

إذا ما جئت آبائي الكراما ... حبيب فابلغنّهم السلاما

وقل عهدي بعبدكم مشوقا ... يحنّ إلى زيارتكم دواما

ولكنّ العوائق أقعدته ... فقصر دون زورتكم فهاما

فهل عطف يجاد به عليه ... وهل من يبلغهُ المراما

فأنتم معدن الاحسان طبعاً ... وكم أسديتم المنن الجساما

سـلام الله يغشاكم جميعـاً مع الرضوان مـا مزن تهامى

أقول: مر الشبلي بمعتوه واقف عرياناً عندباب المسجد،فقال له :ألا تستتر وتدخل تصلي ، وتوجه إليه وجهك وتولي ، ودع عنك هذا التخليط وتدارك ما صدر مـن التفريط ، فنظر اليه ،وأنشد ، وأبرز الصحيح المسدد ، وقال على الارتجال :

يقولون زرنا واقض واجب حقنا وقد أسقطت حالي حقوقهم عني

إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

فاقترحت على الوالد تشطيرهما ، والنسج على منوالهما ، فأجابني رحمه الله تعالى وقـال :

يقولون زرنا واقض واجب حقنا ولا تله بالأشباح عنا وتستغن

فقلت هوى الأحباب صيرني لقى وقد أسقطت حالي حقوقهم عني

إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لهـا علمت رضاهم أن أقيم على فني

وإن عشقت روحي سواهم سفاهةً ولم يأنفوا منهـا أنفت لهم مني

ولما وصل من ابن النائب جواب قصيدة الوالد التي امتدحه بها ، التي أولها :

هاج شوقي الى الحبيب المفدى . . . .

وهذا مضمون جوابه نثراً ، ثم نظماً،حرفاً حرفاً ،فتأمل.قال: قد اهدينا الكمون إلى كرمان ، والدر إلى عمان ، وقابلنا السهى بالقمر ، والبحر المحيط بنهر ، وعارضنا القوافي الأبكار العرائس بأبيات اخوانيات غير نفائس ،وما لا يدرك كله لا يترك كله. انتهى.

ثم قال ناظما في جوابه على وزن قصيدة الوالد:

لا ببعض الصبا ولا دار سعدى هام شوقاً كلا ولا زاد وجدا

لا ولا في الهوى شجاه عزيزٌ ذو دلال ولا تذكر عهدا

مستهام يرعى النجوم بطرف مستهل ومقلة النجم رمدا

كلما لاح بارق من جنوب نثرت مقلتاه عقداً فعقدا

أو تحدث رعود شرق تبدى حسرات له يساجلن رعدا

خلياه يقري الصبابة دمعاً غير نزر ويمنح الليل سهدا

ويقاسي من لوعة البعد ناراً لخليل أتت سلاماً وبردا

بعد عبد الجليل خطبٌ جليل منح الصبر والتجلد بعدا

يا نسيم الصبا إذا جزت براً ثم بحراً منه الغمام استمدا

ونزلت البحرين في جنح داج برداءٍ من الشباب تردى

بلّغن لوعتي وفرط اشتياقي علماً حل بالمنامة فردا

عالماً فاضلا أديباً شريفاً غرس العلم فيه نسكا وزهدا

لم يطش سهم رأيه حين يرمي هدف الخطب والمصيب المفدى

لاتسلني عن لؤلؤ البحر واسأل إن تصدت أقلامه أو تصدى

لنظام يرمي حبيب بن أوس حجراً من جنادل الحصر صلدا

من له مفخر يفوق الثريا من قديم عن الكرام الأشدا

عن بني هاشم سمام الأعادي خير قوم أسدوا إلى الوفد رفدا

يا شقيق الوفاء وافى كتاب منك أزهى من الشقيق وأندى

هو أسنى هدية ولعمري إن فيه جواهراً ليس تهدى

ما حرك الصب الغرام ، وهيجه الشوق المبرح والأوام ، وعاد لايملك عنان صبره، أظهر ما في خزانة صدره ، وكتب بماء العيون ، من مقرحات الجفون ، تسليمات يعجز عن حصرهن الحد ، وينتهي دونهن العد ، ودعوات لايرد داعيها ، وتحيات تشرح صدر

مهديها ، توقر متون النياق ، وتحدوها الصبابة والاشتياق، إلى من سكن سويداء الفؤاد ، وحل محل الانسان من السواد . الورع التقي ، والمهذب الزكي ،الاحشم الاشيم،من تشرف باسمه النظم ، وفقه الله لما يختار ، ووقاه كيد الأشرار ، ماعج بالتلبية داع ومحرم ، أوطاف بالبيت مشوق ومغرم ، وما سعى خلال الصفا ساع ، أودعا بين الركن المقام داع ، بالنبي الأمين وآله وصحبه الميامين. أما بعد ، فالشوق إلى رؤيتكم قد تجاوز حصره إلى المحال .

وأحسب أني لوهويت فراقكم لفارقته والدهر أخبث صاحب

وشكوى صدور في السطور تطول وإنما نبث بعض ما نجد كما قيل وقالوا ،

قد سلا عنك وقد حال عن العهد ،فلا والله لا أسلو ، ولكن قل مـــا عندي ، ولم نزل نتذكر تلك الأيام السالفة ، والليالي الماضية ، ونسلي النفس بعسى ولعل ، وان لم تغن فتيلا . وجمرة الفراق أشد وطءاً وأعظم قيلا ، إلى أن ورد علينـا كتابكم الشريف ، الحري بالتعظيم والترصيف ، فكان للعين نوراً ، وللقلب فرحة وسروراً ، ولقد قرّ به الناظر ، وسر به الخاطر ، ولقد بادرنا على السرعة المنطوية عـــلى الفرحة ، وواصلنا معرضكم وقصيدتكم إلى حضرة أفندينا ولي النعم ،وتشرفت بحلول نظره السامي على حروفها ، ووقعت بخير القبول اليه ، فكانت بضاعة غير مزجاة كاسدة ، وهدية عن القبول غير حائدة ، فماندري الخط أملح أم اللفظ أصح ، أم النظـم أعجب أم النثر أعرب ، ولكن غير بدع من ذلك الخاطر الوقاد ، والفكر الثاقب النقاد ، إذا اتى بشيء خرج من حد الاعجاب الى الاعجاز ، وأحال ببلاغته المجاز حقيقـــة والحقيقة مجاز ، وتلعب ولها بالفصاحة لهو الخلي بالشجي ، وقال لمن انبرى لمساجلته ، « ليس بعشك فادرجي » إلى آخر الكتاب . انتهى .

ومما قاله الوالد رحمه الله تعالى مشطراً للأربعة الأبيات المنسوبة إلى أبي نواس

التي أولها : «مطهرون نقيات ثيابهم» إلى آخرها . وقد زاد الوالد في أولها بيتاً ، وفي آخرها بيتاً ، فهاكها ، قالا :

أبت مرايا بني الزهراء تنحصر ... ودون غاياتها الإعياء والحصر

مطهرون نقيات ثيابهم ... عن كل رجس بهم يستنزل المطر

بذكرهم كل ناد بالشذا عبق ... تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علوياً حين تنسبه ... في الدين والمحتد الزاكي فمحتقر

ومن يفته ولاء الطهر حيدرة ... فماله في قديم الدهر مفتخر

الله لما برى خلقاً فأتقنهُ ... بكم هداهم وليل الغي معتكر

أقامكم للورى سفن النجاة لذا ... صفّاكم واصطفاكم أيها البشر

فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... بيان أسرار ما حارت به الفكر

وشاهدا فضلكم عدلان مقتبس ... علم الكتاب وماجاءت به السور

تبت يدا من غدا في رزئكم جذلاً ... فهو المصابُ بكسر ليس ينجبر

ومما قاله رحمه الله تعالى معاتباً به بعض الأصحاب وذلك في صفر سنة ١٢٤٥ ه:

قل لمن طاب محتداً وفعالا ... من نسميه خالد الذكر فالا

أنت لما أحللت ودك قلبي ... فتعشقت منك تلك الخلالا

لم تزل منعشي بكتبك تترى ... وأعدّ الخيال منك وصالا

فأرى قانعاً بمصة نضح ... حيث لم ألق للورود اتصالا

فلم ذا عدلت عن ذاك قل لي ... أدلالاً قاطعتني أم ملالا

ليس هذا من شأن أهل ودادي إنني لم أؤاخ إلا ثمالا

أين أيامنا بجرعاء دار نتساقى فيها الحديث زلالا

في عراص الفيحاء لابزرود وبظل القصور لم نبغ ضالا

وفكاهاتنا التي أسكرتنا لم يكن عهدنا بهاتيك طالا

ومحالٌ تنسي الليالي كريماً عهد من مد للوداد حبالا

بل يرى قابلا معاذير خل نسي العهد أو تناسى ثمالا

هذه شيمة النجيب وإلا فعليه السلام كان فزالا

ومما قاله رحمه الله تعالى ملغزاً فيما تستلذ منه الطباع ، ويستقبح ذكره بين الرقاع ، وذلك على سبيل المداعبة مع بعض الاخوان ، نظمه ارتجالاً في أقل زمان في ١٨ صفر ١٢٤٥ هـ . قال :

ومحبوب له تصبو البرايا وتعشقه الأسافل والأعالي

تخر له الملوك على النواصي وتلقى باليمين وبالشمال

إذا لاقى هزبراً ذا مراس رحيب الصدر في ضيق المجال

يغادره خفوق القلب قسراً صريعاً لايعود إلى النزال

يلاقي الجمع في بأس شديد ولم يعبأ بما تجني العوالي

له عند النزال ثبات ندب جريئاً لايزعزع بالصيال

إذا ما صادم الأقران يوماً لوى بأسنة الأسل الطوال

تطاعنه الفوارس كل يوم فـاملْ الطعان ولا يبالي

وفي أبوابه وقفت فصاحت ملوك الدهر في ذل السؤال
حماه ممنع من يستبحه يصبه الخزي مع سوء المآل
يروقك إن بدا ضخم المحيا ويمقت بالنحافة والهزال
إذ التحف الكساء يرى ذميما ويلبسه العرى ثوب الجمال
على شفتيه مد له لساناً ولكن ليس يفصح بالمقال
له ثغر ولا أسنان فيه يمج بريقه لا كالزلال
إذا أعطيته عهداً صحيحاً يطابق ما أتى عن ذي الجلال
يعاطيك الصفا بألذ عيش ويمنحك الوداد بخير حال
عليك به على وجه رضي تنال به المساعد والموالي
وتكسب راحةً ولذيذ أنس ويقصر عنده طول الليالي
ويغبطك الذي قد حاد عنه ومن ولّى إلى قبح الفعال
ولم يعرف له المقدار إلا لبيب في التجارب ذو كمال

وله رحمه الله تعالى :

حبيب القلب ياحسن المعاني علام عليّ تجني أو تخطى
أيحسن منك هجراني وطردي وعبدك عن رضائك ما تخطى
تقيم على القطيعة والتنائي فلا واصلتني ورقت خطا
وتسمع فيّ أقوال اللواحى ووجه صفاء ودي ما تغطى
أما وسواد فرعك وهو ليل وصبح جبينك الفضي يغطا

وهاتيك الذؤائب وهي دائي ونيل لحاظ عينك وهي أسطا
لقد عذبت قلبي بالتجافي كأن عليك هجري كان شرطا
وجافيت المضاجع فيك سهداً كأني لم أحز فرشاً وبسطا
أهلّ مدامعاً كالمزن تهمي وقدعيل التجافي منه بسطا

وله رحمه الله تعالى :

تذكرت أيامي بمنعرج اللوى وجمعي بأحبابي على ملتقى جمع
هاج اشتياقي ثم أطلقت مدمعاً فسح إلى أن كاد منهارتوى ربع
فياترى عوداً لأيامنا التي تقضّت بذاك الأنس في ذلك الجمع
وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما تسوؤهما أيدي التفرق والصدع

أقول :وقد اقترح بعضهم على الوالد تشطير هذين البيتين ، فشطرهما ارتجالا فقال :

خليليّ لاوالله ماالقلب سالم ولكنّ شوقي لايذاع للاحي
أروح وأغدو خلف سكر صبابتي وإن ظهرت مني شمائل صاحي
والا فمابالي ولم أشهد الوغى طعين رماح من قدود ملاح
إذا ماخليّ البال لذّ له الكرى أبيت كأني مثخن بجراح

وله أيضاً مقتبساً قوله صلى الله عليه وآله وسلم : قل آمنت الله ثم استقم قال:

قل ربي الله المهيمن واستقم فيما أحب
واعبده وفق مراده والزم له حسن الأدب
واعلم بأنك عبده في كل حال وهو رب

وله أيضاً يخاطب نفسه ويقول :

قل لابن ياسين هلا تؤثر التوبه ... وفجر فرقك ساق الليل بالنوبه

سرحت نفسك في وديان شهوتها ... وكل سارحة ترجى لها أوبه

أنت الحري بثوب الفضل تلبسه ... ياطيب عيش امرىء كان التقى ثوبه

ومما قاله رحمه الله في النثر ، رسالة أرسل بها لبعض أصحابه ، ومشفعاً لها بالنظم .
قال رحمه الله تعالى : ما شنفت الأسماع بأقراط بشائر الانتصار ، وارتاحت الطباع ببوادر الظفر بالأوطار ، بأطيب من سلام حفت به شوارق التهاني ، ولا أعذب من ثناء كلت عن حصره سوابق الأماني ، الى جناب من علت هامة همته أوج الفراقد ، فكشفت أكف حياطته معضلات الشدائد ، وجلت ألمعيته غوامض الأمور ، ومزقت أسهم آرائه جمع كل مغرور .

تظن الأعادي أنّ جفنك نائم ... وأنت إلى تفريق مـــا جمعوا ساري

الهمام الذي نكص مباري همه على عقبه ، وقلص ظلال كاشحه بأفول شمس أربه ، فباء بنصبه . الندب الذي أرهف شبا حزمه ، فأرعف أنف المعاند ورمى بشهاب عزمه ، فانمحق تمرد كل حاسد وعاد مواليه ، يجر ذيل المسرة قريرة العين وانقلب معاديه ، صاغراً يخفي حنين حضرة من لازالت ألوية سعده منشورة على مفارق الأيام ، ولا برحت أندية مجده معمورة بغوادق الإنعام ، آمين .

وبعد ، فالداعي لتنميق ذريعة الوداد ، واجراء جواد اليراع في مضمار طرس الاتحاد ، هو نشر أعـــلام المسرة في الحاضر والباد ، والاعلان بمقتضيات الارتياح والابتهاج على رؤوس الأشهاد ، عند بلوغ البشارة بمـــا منحكم الله تعالى من الظفر والتأييد ، وبما وفقتم له من سلوك جادة الأمر الرشيد ، فحمدنا الله تعالى على ما خصكم به من النعما ، وقشع عنكم غمامة تلك الفتنة الصما ، بعدما تجشم فيهـــا أوعر الشدائد ، وكابدتم حمل مالا يقله أشد السواعد ، وقد عظم المطلوب وقل المساعد .

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

ولقد مددت في الأمر ساعداً لاتثنيه مخافة الإقدام .

على أن المقام مما تخف به رواجح الأحلام ، فانبث في ذلك عن همة بعيدة الادراك وعزيمة تقف دونها فحول الأملاك :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرم المكارم

وبحملك لأعباء هذه العظائم ، وأنت غير مكترث بما تصادم من هذه الملاحم ، عرف علو همتك الامير والمأمور ، وفاح عطر الثناء عليك بين الجمهور، حيث فقت في شدة بأسك جميع أبناء جنسك ، فسموت من المآثر ذراها ، وأمطت ثقاب المفاخر فكل يراها:

فلله ما أعلى مقامك في الثنا وأبعد في العلياء مرماك والندى

منحت من الله الجليل مهابة كأنك في جمع وإن كنت مفردا

وأسست مجداً ياحبيب مؤثلا لآل عمير جاء ظلا ممددا

نهضت إلى كسب المفاخر يافعاً وألهمت رأياً في الخطوب مسددا

كأن سهام الرأي طوعك إذ بها رميت فما أخطأت شاكلة الهدى

وأبرمت أمراً في المغبة صالحاً له كان مولاك المهيمن مرشدا

ولم تمكن الباغي المكابر غيرة بحزم وإقدام وفكر توقدا

فصنت بلاداً أسلمتها حماتها ونازلها من يبتغي الشر مجهدا

أحاطت بها الأعداء من كل جانب وحامت على أكنافها حوّم الردى

وضاق بأهليها الفضاء وأيقنوا بقطع الرجا ممن يكون لهم يدا

ولم يجدوا إلا السيوف معاقلا ورأيك فيهم كان جنداً مجندا

ثبت وقد طاشت حلوم ذوي النهى كأنك لم تعلم بما أجلب العدى
فقمت مقاماً لايقوم بمثله سواك وأعملت الحسام المهندا
وخير العنا مانلت في حمله المنى وشدت به ذكراً جميلا مخلدا
لقد أيقظت منك التجارب حازماً يبيت اذا نام الغفول مسهدا
سقيت العدى كأس المذلة مترعاً فأصبح كلٌّ بالصغار معربدا
وآبوا حيارى نادمين عليهم من الخزي سربال الهوان تجددا
وطابت بك الفيحا وعز رجالها وعاد بها طير السعود مغردا
هنيئاً لك العز الذي أنت أهله وكافله بالمشرفيِّ وبالندى
ولا زلت فيها نافذ الأمر سيداً ولازال منك العز فيها مشيدا

وحيث انتهى بنا يراع البراعة إلى هنا ، من نظم عقد مدحك في سلك الثنا ، وأنت مستحق ذلك بـــلا دفاع ، ومالك رقاب الفضل بلا نزاع ، فتأمل إعادة شريف السلام لكريم الأخلاق ، إلى آخرها. أقول: وقد ورد الينا بعض مدعية الشعر، ورام تشطير أبيات أبي النواس التي أولها : « مطهرون نقيات ثيابهم » إلى آخرها ليجاري الوالد في تشطيره لها ، وطلب منه نسخ ذلك ، فدفعه الوالد اليه فشطرهـا تشطيراً غير ملتئم بكلام منسجم ، فأوضح مقاله عن حاله ، وهو معذور لضعف مناله ، إلا أن الغفلة منه أوجبت له التقصير والقصور ، عن الارتقاء إلى مراتب مدح السادة البدور ، وهو يحسب أنه رقي في مدحهم إلى المحل الأعلى ، وفاز منه بالقدح المعلى ، فأوقفه من نظمه على ما يقدح فيه ، والمؤمن مرآة أخيه ، فتبين له أنه غير مادح ، بعد أن أصبح لزناد فكرته وهو في المدح قادح ، فنظم الوالد بعض مواطن تقصيره ، وقنع عن حلق رأس مدعاه بتقصيره .
قال رحمه الله تعالى :

جزيت خيراً وبلغت المرام بما أوليتنا منك نظما كله غرر

من كل بيت يرى بيت القصيد فيا ... لله ما أبدعته هاتك الفكر

لكن مدحك في آل الرسول به ... كل القصور بذا التشطير منحصر

قد جاء نظمك حشواً لا لفائدة ... حلفاء ليس لها ظل ولا ثمر

إذ لم تزد مدحهم وصفا ينيف على ... أصل النظام وهذا ليس يعتبر

ولا أرى لك شطراً قد خصصت به ... إلا لديكم وهذا القدر مفتخر

نعم أعاد معاني الأصل لفظك ذا ... فالحسن عنه بذا التكرار منحسر

وصدر تشطيرك المعوج أشنع بيـ ... ـتٍ قيل وهو لدى يتلى ويستطر

حارت بأوصاف آل المصطفى الفكر

وليس يعرف إلا أنهم بشر

فأي معنى امتداح قد حواه بلى ... غدا إلى ذمهم ينحو ويبتدر

أقول : ولم أزل أتتبع إجازة الوالد رحمه الله تعالى من شيخه الشيخ محمد فيروز إلى أن عثرت على السؤال والجواب من الشيخ فأثبتها هنا جميعاً والحمد لله . قال :

الحمد لله مجير السائل ... مأموله وليس بالمماطل

وواصل المقطوع والضعيف ... إذ وردوا ببابه المنيف

وعاضد الذي إليه آبا ... معْ غيره ما استحسن الخطابا

ورافع الذي له قد صححا ... نياته وبره كم منحا

أحمده على تواتر النعم ... سبحانه ففضله تم وعم

ثم الصلاة منه تغشى المرسلا ... مع السلام دائماً متصلا

هو الحبيب من بهِ مستندي إذا وهت قواي مني في غد

والآل هم سفن نجاة المتبع آثارهم من اقتدى بهم رفع

وصحبه من بذلوا النفوسا فيه وقاسوا شدة وبوسا

فأحكموا تأسيس ركن الدين بكل حد ليس بالخؤون

وقد محوا معالم الضلال إذ أخلصوا لله في الأعمال

وتابعيهم ورثوا علوما للأنبيا جاءت بها قديما

من حرس الدين بهم عن الغير فاحتفظوه سيما أهل الأثر

وكان منهم أوحد الزمان ألفائق الأمثال والأقران

من أصبح العلم به مشيدا إذ كان قبل ركنه تهددا

فقد أعاد رسمه وأحيى وكان ميتا عدّ بين الأحيا

فأسفرت به وجوه الكتب لما نفى عنها ظلام الريب

جدد أمر الدين بعد ماوهى فهو الذي اليوم إليه المنتهى

من لم يزل يذب عن ذا الدين بكل نص قاطع مبين

فطالما أطفى لهيب البدع إذ كَلّ كُلُّ أشوس وأروع

قطب ذوي التحقيق والعرفان طاعت له شوارد المعاني

رحب الثناء واسع العطاء للمجدبين في دها البلاء

ما خاب قط من أتاه راجياً فكم أنال خائباً وعافياً

ترى الوفود عنده أفواجا لرفده قد قطعوا الفجاجا

من ارتقى هـام العلا والفخر　　فأذعنت له دهـاة العصر

أقر بالفضل له الأعـادي　　فالحاضر انقاد له والبادي

عنيت مَن علياه لن تضاهى　　شيخي ومولاي سميُّ طه

من اصطفى من آل فيروز الكرام　　هو ابن عبد الله ذو المجد الهمام

لا زال في برد المعـالي رافلا　　وباكتساب الحمد دام كافـلا

مـا أم ركبٌ واديَ العقيق　　أو مـا أضا فيه سنا بروق

وبعده فأيهـا الذي غـدا　　شمس الهدى لمن أراد الإقتدا

من لم يزل بـه محط الركب　　فيرتوي من أعجم وعرب

بالسوح منكم قد حططت الرحلا　　مستطمئا فامنن وقل لي أهلا

وإنني منذ زمـان غـابر　　راج ولكن لم أكن بجـاسر

متى أرد أن يعرض الخطـاب　　أصد إذ مجلسكم مهـاب

وهـا أنا ارتكبت سوء الأدب　　لكنما مولاي يعفو كالأب

فجد عليَّ سيدي بكل مـا　　رويته عن السراة العلمـا

وكل مـا دريت من علوم　　من كل منثور كذا منظوم

وكل حزب ودعـاء صنفـا　　أو كان عن طه النبي المصطفى

وكل مـا ألفت من رساله　　حاكية في حسنهـا الغزاله

إجازة لاتنزوي في سلك　　قوم بهم غـدا دوام الملك

وإن أعـد في رجال السند　　فـإن يكن أسعدتّني للأبد

واسقني من عذب منهل الرضا راحاً أكون ملحقا بمن مضى
لا زلت تولي وافر الجميل ودمت رب السؤدد الأثيل
وعشت تحيي للثنا معالمهْ وأحسن المولى لكم بالخاتمه
بالمصطفى صلى عليه الله وآله وصحبه الأجلاّ
ما درس الحديث في المنابر أو ما همي سحب بأرض حاجر
ما قام لله منيب شاكر مبتهلًا في حندس الدياجر
نظم الفقير المذنب الذليل جم الخطايا عابدُ الجليل
هو ابن ياسين سليل المصطفى سامحهُ الله وعنهما عفا

قال الشيخ : ولما جرت المكاتبة بين سيدي الوالد ، وبين الشيخ محمد بن الشيخ زين الشيبي المذكور ، رحمه الله تعالى ، إذ ذاك في الطائف ، وكانت مكاتبتهما كالمطارحة ، وآخر ذلك ، إجابة الوالد بهذه القصيدة السنية ، فنكص الشيخ عن جوابهـا ، وهي هذه مصدرة بهذا النثر ، لكون مكاتبتهما كانت نثراً ونظماً ، فقال الوالد أبقاه ، البقاء الجليل ، في أنعم مسرح ، وحصّل ما رفعت شكاية الغرام ؛ لقاضي الهوى بألسنة الأقلام ، ورقمت نكاية الصبابة في ديوانها مطرزة بالوجد والهيام ، بأعذب من سلام . إلى آخره . قال الشيخ مسعفاً له بمراده مجيباً له على الفور بقوله :

الحمد لله العليِّ المحسن حمداً به أرجو اتصال المنن
من ربيَ الذي له المحامد جميعها وهو الإله الواحد
سبحانه من منعم قد وصلا أسباب إكرام لمن تذللا
طوعاً له ممتثلا ما قد أمر به وتاركا جميع ما حضر

أحمده حمداً به أنتظم ... في سلك من بإسم علم رسموا
ثم صلاة الله بالسلام ... موصولة ما سح من غمام
عذب على خير بني عدنان ... محمد من جاء بالبرهان
فاتضحَ الحق المبين واتصل ... منه الينا والضلال إضمحل
أزكى صلاة وسلام شملا ... آلاً وأصحاباً كراماً فضلا
وبعد فالعلم علا وشرفا ... وجل قدر من غدا متصفا
به فكن للوسع فيه باذل ... تفز من المجد بأعلى منزل
لاسيما الفقه وعلم السنن ... إذ بهما ينال أعلى مسكن
في جنة الخلد مع المختار ... نبينا وسائر الأبرار
ثم ابن فيروز محمد الأقل ... من جل ذنبه ومولاي أجل
غفرانه أرجو به محو الزلل ... مع سترها عن غيره عز وجل
يقول إن السيد البر التقي ... عبدالجليل الحبر ذو العرض النقي
من حل من شامخ مجد في القلل ... في نافع العلم لوسعه بذل
ففاز بالقدح المعلى عندما ... ساهم من في عصره من علما
وحين ما أحسن في الفقير ظن ... وذاك لمّا عيبه عنه استكن
لمقتضى أخلاقه المهذبه ... إختار من بين الورى أن يصحبه
وكونه أستاذه في الأدب ... أكرم به من سيد مهذب
وكيف لايكون وهو بالنبي ... متصل أعظمْ به من نسب

يفوق في الفخار كل فخر ذا ثابتاً قطعاً بغير نكر
لأن جده النبي المصطفى أزكى جميع الخلق من غير خفا
وإنني صلى عليه ربي أعده لكشف كل كرب
لأن أمي اتصلت بنوره على ظهور فاض من ظهوره
فهو لذا صلى عليه المبدي من قِبَل الأم يكون جدي
وإن هذا الفاضل المهذبا من قاصر الباع الفقير طلبا
بأن يجيزه بكل ما روى وكل ما عن الشيوخ قد حوى
من كل علم وكتاب حصّله قراءة وكل ما أجيز له
عنهم بأن يرويه ثم ينقله وكل ورد عنهم فاستعمله
مما عليه اشتمل الإمداد للشيخ من به لي الإمداد
لأن أشياخي الذين اتصلا بي نورهم غالبهم به علا
وما حوى فهرست شمس الأدب إبن سليمان التقي المغربي
محمدٌ وذاك وصله الخلف بكل موصول أتى عن السلف
وما حواه مسند النخليّ أي أحمد المحقق التقيّ
وصاحب الإمداد عبد الله أعظمْ به من متقن أوّاه
أي إبن سالم فيا إلهي يا واحداً ليس له مضاهي
أفض من الرحمة هطالاً شمل جميع أرجاء ضريح فيه حل
ووصل أسبابي بهذا الفاضل حويته من سادة أفاضل

شيخي التقي ذي المقام الأرفع المتقن البر الإمام الشافعي
الشيخ عبدالله ذي القدر المنيف إبن محمد بن عـابد اللطيف
أسكنه مولاي في أعلى الغرف في جنة الخلد وكل من سلف
لذلك النحرير من أب وجد لأن كلاًّ منهم في العلم جد
حتى أبانوا كل مـا قد أشكلا على سواهم فاستبان وانجلى
والفاضلين أي محمد سفر من منهمُ ينبوع علم انفجر
والبحر بحر العلم ذي القول الحسن والفعل شيخي سيدي أبي الحسن
فيـا إلهي ياعظيم المـنه أسكنهما أعلى علي في الجنه
فكلهم عن التقي الهـادي من ألحق الأحفاد بالأجداد
أي إبن سـالم الذي تقدمـا قد أخذوا أكرمْ بهم من علما
فـأول عنه بغير وسط وغيره عن التقي المقسط
بعذب علم منه في الحياة قد حصلا محمد هبات
عنه وأمـا الفاضل الجبوري المتقن الحبر بـلا نكير
الشيخ سلطان إمام الطبقه عنه روى شيخي أي ابن غَروقه
المالكي سعد وعنه أروي أي الجبوريُّ روى ما يحوي
مسند تيـار العلوم النخلي وما حوى فهرست شمس الفضل
إبن سليمان التقي المغربي فارجع إلى مـا حرروه تصب
وفقه مذهب الإمـام أحمـد أخذته من والدي وسيدي

أسكنه ربيَ أعلى منزل جوار أحمد النبي المرسل

عن التقيِّ إبن نصر الله أي المنيب المخبت الأواه

قد زان عن بحر العلوم الزاخر عن البصير الشيخ عبد القادر

وذلك البصريُّ عن سميِّه ألتغلبي الفاضل المنتبه

وهو عن التقي أي محمد مروي بعذب العلم نعم المورد

وكل مشكل بعيد دان به أي ابن عابد الرحمن

عن الخضَّم البحر عبد الله ألناهي عما كان من مناهي

اي ابن إبراهيم ذا المهذب ألواسع العلم إمام التغلبي

وباقيَ الاسناد فليراجع فيه الذي حررته ويقنع

مريد ذالك يحصل المراد لأن فيه حقق الاسناد

هذا وإني ما أراد الفاضل مني بتنجيز له ممتثل

مبادر أقول قد أجرت له نقل الذي أجيز لي أن أنقله

وان يكون راوياً جميع ما أرويه عن جميع ما تقدما

وهكذا أيضاً بكل مالي من كل منثور ونظم حالي

وكل ما قد كان من جوابي لي عن سؤال سلب او إيجابي

مشترطاً أن لايقول قبل أن يراجع المنقول إلا إن ركن

فيه إلى جودة حفظ مغنيه صائنة عن الخطأ في التعديه

هذا وأوصيه بتقوى الله وكفه عن جملة المناهي

وأن يقوم بامتثـال الأمر سيـان في إعـلانه والسر
وأن يكون صاحباً من صحبا بحسن عشرة ولا يؤنبا
وأن يعين طـالب العلم بمـا أمكن حتى يدرينْ مـا فيها
وأن يكون للدعـا لي باذلا سيان في خلوته وفي المـلا
يغفر مـا جنيت من ذنوب وستر مـا قد كان من عيوبي
ملتمساً عذري لما قد ظهرا له لمـا أفعل ممـا حظرا
أمـاميَ الذي له قلدتُ لعلني في ذاك قد وردتُ
لمنهل بذي الزمان لائق وآفة الجهولُ بالحقـائق
في خمسة من قلبها عشرون تم يوم الخميس ما هنا من منتظم
من شهر شعبان لحادي عشرا معْ مـائتين بعد ألف حررا
من السنين أي سنين هجرة أزكى الورى طراً بغير مرية
بجاهه يارب فاختم عمري خير ختام وارحمني واغفري
لي كل ذنب أنت خير من دعي وليس لي إلا إليك مفزعي
أجب دعائي واكفني شر العدى وسد عني كل منهاج الردى
وصلِّ ربي دائمـاً وسلمـا ما أمَّ بالعيس حويديها الحمى
على أجلِّ المرسلين الهادي محمد من جـاء بالرشـاد
وآله وصحبه والمقتفي آثارهم من كل صدِّيق وفي
وحمد ربي في ابتدا كلامي كذا جعلت حمـده ختامي

ومن شعر الوالد رحمه الله تعالى :

ألا لايفيد المرء إن حاز رفعة
وكان خسيس النفس والفعل والنجر

وليس يضر الندب إذ حط قدره فالاسم مع التمكين يختص بالجر

وفي غرة شعبان من سنة ١٢٤٨ هـ أرسل الوالد رحمه الله تعالى لتركي بن سعود جواب خط ورد عليه منه ، وهذه صورته ، قال:

إن أطرب ما أسفرت به وجوه الصحائف ، وأطيب ما شنفت به الأسماع من لطائف الطرائف ، بعد حمد الله الذي توالت آلاؤه وجل سلطانه وكبرؤياه ، والصلاة والسلام على أحسن العالمين خلقا وخلقا ، وأفصحهم براعة ونطقا ، نبينا محمد المبعوث رحمة لجميع الأمم ، الماحي ضلال الضلال بآيتي السيف والقلم ، سلام نظمت فرائد عقوده يد الاخلاص ، وأوثقت عرى عقود عهوده ألسن الاختصاص ، وثناء يعطر أريج عبيره محافل الأمجاد ، وتتحلى بمفصلات قلائد يواقيته الأجياد ، من كل حاضر وباد ، إلى حضرة من بزغت شموس سعوده ، فاضاءت الآفاق ، واستمرت نجوم حسوده ملازمة للمحاق ، الامـــام الذي جادت غوادي أياديه بوابل معروفه ، فأزهرت رياض محبيه بأنواع إحسانه وصنوفه ، وأرهف شبا عزماته فانفصمت عرى مكائد عداته ، والهمام الذي أعد لكل أمر هو رائمه أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه ، نشر جناح الرفق على أرجاء البسيطة ، فغدت مودته بدوائر القلوب محيطة ، وروض جماح الاعتساف ببسطه العدول والمنن ، وطوى بنشره الصفح بواعث الجرائر والاحن ، ذي الآراء التي تفتح مغلقات الأمور ، ويستضيىء بها من فوادح الخطوب كل ديجور ، وتنصلح بتوفيق الله تعالى شؤون الجمهور .

أحرزت بالهمة العلياء منفرداً مـا يعجز الجحفل الجرار مجتمعا

ونلت بالحزم مالم يجر في خلد وأن يمـد إليه طالب طمعـا

وأتعب الناس من جلت مطالبهُ   وجهده قاصر عن درك ما اتبعا
صبرت محتسباً تحت المكاره لا   من مسعد منجد إن تدعه سمعا
في قفرة ليس فيها للطريد حمىً   ولم تجد موئلا مهما تكن فزعا
ولست تصحب إلا صارماً ذكراً   يجري الفرند به كالماء إذ نبعا
لم يثنك الهول عما رمت غايته   ولم تكن في الذي كابدته جزعا
حتى امتطيت ذرى العلياء لا أشراً   ولا فخوراً ولا مستكبراً قذعا
ومن أناط الرجا بالله عن ثقة   وصدق عزم ينله ما إليه سعى

ثم قال: فأصبحت وأنت الذي أعاد به الله ما عفا من معالم الدين ، ولم به بعد الشتات شعث المسلمين ، وجبر به قلوباً أناخ عليها بكلكله الانكسار ، واكتست به أعطاف حبرات العز بعد أسمال الصغار ، وأنست به ديار بعد طول وحشة الانتقال عنها من دار الى دار جناب من ثبت الله دعائم الاسلام بنافع وجوده ، وأشرق في الآفاق طوالع سعوده ، وأناله من الخيرات غاية سؤله ومقصوده ، وأعلى منار وليه وأخبى نجم حسوده ، آمين .

وبعده، فالداعي لتحرير نميقة الوداد ، ووشم وجنة طرسها بمسك المداد ، هو أنه في أسعد قران وأيمن الاوقات ، وورود المثال الشريف مقرونة به المسرات ، لكونه مفصحاً عن صحة تلك الذات العلية الهمم ، التي هي منبع الافضال والكرم ، ومطلع بدور محاسن الشيم ، فكان أجل وارد حظى المخلص منه بالانعام ، وقابله بما يليق به من الاجلال والاعظام ، وحمدنا الله الذي لا إله سواه ، على ما من به من فضله الذي طاب حلاه ، وجاد به جماع الأمر وأحسن انتظامه وجميع ما تضمنه من عجائب الأخبار قد قرط أسماع أهل هذه الدار، لاسيما ما وقع في مكة المشرفة ، وسائر الحرم ، من ارتكاب المحرمات وانتهاك الحرم ، وصدور ذلك من اولئك الطغام ، الذين هم أهدى إلى الغواية من القطا ، وعن الاستقامة أضل من الأنعام ، حيث حسبوا ما صنعوه من

العجرفة غنم ، ولم يحجزهم وعيد ، ومن يرد فيه بالحاد بظلم ،فصيروا رعب القاطن انتهابه. عوض الآمن والمثابة ، أما علموا أن البيت قبلة الأحياء والأموات ، وأن الحرم تتضاعف فيه السيئات مضاعفة الحسنات ، وأن الملحدين فيه يمسخون بالقلوب والأبدان والهيئات، وذلك أشد من مسخ صورتي أساف ونائلة ، واين الفلاح لفرقة عن الحق عادلة ، وقد كان لها في بناء فسطاط ابن عمر أوضح اعتبار للحرمة ومزدجر ، ولكن من أعمى الله منه عين البصيرة اتبع الجريرة بالجريرة ، ولا يرى الحق لو كان كشمس الظهيره ، أعاذنا الله وإياكم من محبطات العمل ، ونور بصائرنا عند ظلمات الزلل .وما أشار اليه الجنــاب السامي من استيلاء ابراهيم على قطر الشام ، فغير بعيد روعة الرعية إذا كان الراعي ينام ولا يفيد شده العزم بعد إضاعة الحزم، ولا يؤثر ادراك الفهم بعد الغفلة عن مروق السهم ، ولم يثن أبا مسلم عن عظيم المرام قول نصر : أأيقاظ أمية أم نيام » حيث ظنت بروقه خلباً وسحبه جهام ، ولم تحتفل بما أعده الخراساني من مزيد الاهتمام ، ولم يوعها إلا والسيل قد طم على القرى وبلغ الزبى وجاوز الحزام الطبيين ، فراحوا من الملك بخفي حنين ، وقد تحقق وصول حمل من حلب الى بغداد وحمل من الشام ، وذلك أوضح دليل على نظــام الأمر في سلك الانتظام ، وورد إلي كتاب من محمد بن أحمد الصيط في ٢٢ من جمادى الأول ومضمون خبره الذي عليه عول ، أن ابراهيم توجه من حلب بعسكره الجرار ، ناحية اسلامبول طامعاً في تلك الديار ، وآخر العهد به انتهى دونهــا باثني عشر يوم ، وإن السلطان أعدله من العساكر ما يندفع به اللوم ، وان المسقوف أمدوه حتى رضي بهم بمــا أعدوه ، فإن صح ذلك ، فالقيــاس يقتضي أن السلطان متهم قومه بالخيـــانة ، وإلا فلم يعلم لابراهيم من القوة ما يبلغ بها هذه المكانة ، ولا حيلة حيث يتسع الخرق على الراقع ، ولا دفاع إذا وهن المدافع ، وسعادة طالع المرء تؤذن بوفور قسمه ، والله يحكم لامعقب لحكمه ، والملك لله الواحد القهــار ، يتصرف فيه كيف يشاء ويختار ، وعلى فرض صحته فأين غالب مغلوب إذ فقد ناصره ، وحيل بينه وبين حيلته وناصره :

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده

وإذا أمعن المتأمل النظر في كل فج ، عاين فيه ترادف الهرج والمرج ، هذا أولاد

شاه العجم ، قد انشقت عصاهم والشر فيهم نجم ، وطمع قويهم بضعف أخيه ، وحاول في قصر يده وأخذ مقره الذي يؤويه ، وهذا تركي يلمز بنصرة عسير ، قد صار استيلاؤهم على بعض بنادر اليمن غير عسير ، وهكذا كل ناحية إسلامية وكافرة ، تجد أسباب الاضطراب فيها متوافرة ، ولا شك أن ذلك من أشراط الساعة لقربها ، نجاني الرحيم وإياكم من هولها وكربها ؛ فالحازم من أخذ أهبة السفر ، وعرف ظل المقيل قبل المقر ، قال امرؤ القيس حيث وعى : « دمت لنفسك قبل النوم مضطجعا » وأراني أطلت لسان الهذر على تلك المسامع الشريفة ، وطغى جواد يراعي بجريه في مضمار هذه الصحيفة ، وثوقاً مني بما أنت مجبول عليه من كرم الاخلاق ، واعتداداً بما أنت صادر إليه من كرم الاخلاق وشرف الاعراق ، فإن لوحظ هذري بعين الرضا ، قام عذري وقيل إن المقام اقتضى انتهى .

ولما من الله تعالى علينا بحج بيته الحرام ، سنة ١٢٤٨ هـ توجهنا في ١٥ شوال ، على طريق البر ، وبعد وصولنا إلى الأحساء أرسل الشيخ خليفة بن سلمان بن أحمد آل خليفة للوالد رحمه الله تعالى ذلولاً عمانية ، من بيت طيب إلا أنها مسنة مهزولة ، فلم يستحسن استصحابها معه ، فكتب له هذه الأبيات على سبيل المداعبة :

ألا قل لرب الفضل والنائل العد	ومن فاق في نبل وفي واضح المجد
فزيد المزايا ذو سجايا حميدة	لكسب المعالي لم يزل باذل الجهد
أتتني عجفاء الضلوع مسنة	قريبة عهد بالفطام من الولد
علاها هزال قد براها كأنها	من العجف عرجون قديم بلا كدّ
لقد جمعت عجزاً وعجفاً وقد مضت	عليها قروح ليس تضبط بالعد
فأين لها طيّ الدجنة بالسرى	وقطع الفيافي بالرسيم وبالوخد
فيا ماجداً ما فارق الجود كفّه	له راحة بالبذل فائضة المد

اترضى بهذي أن يقال عطية　　لمثلك ما بين الحجازي والنجدي

وقد قيل لا يعطي الكريم دنية　　وأنت الذي في الجود واسطة العقد

فحاشاك ترضى أن تمد بمثلها　　لمثلي ومنك البدء بالفضل عن قصد

ولا زلت يارب الفضائل نائلا　　من الخير ما ترجوه مقتبل السعد

ولما وصلنا مكة المشرفة في ذي الحجة ، وفرغنا من أعمال المناسك ، استحسن الوالد رحمه الله تعالى تقديم هدية للشريف محمد بن عون ، والي مكة ، لكونه لايزال يتحبب إلى الوالد برفع المنزلة والوقار والاكرام ، ومما يبدو من الحاجات ، وأيضاً ، فإن الهدية أمر مندوب إليه ؛ ففي الحديث المشهور « تهادوا تحابوا » ثم حرر هذه الأحرف وأرسل بها مع الهدية ، قال :

أشرق الله شموس سعادتك في مراكز الدوام ، ونشر ألوية سعادتك على مفارق الأيام ، وأولاك مولاك من العز منتهى المرام ، آمين .

غب نشر أزاهير الدعاء والتحية، بين يدي تلك الحضرة السامية السنية ، انه لما ثبت أن الهدية من سنن خير المرسلين ، أحببت الانتظام في سلك هذا العقد الثمين ، إلا أن قصوري أقعدني عن الولوج من أبواب قصوره السامية ، وخشيت من تسور باذخ محرابه أن لاتعود الرجل في عافية ، ثم خطر لي أن الميسور لايسقط بالمعسور، وإن غاية الجود بذل الموجود ، فنشطت إلى تقديم ما حضرني من شيء حقير ، إلى حضرة ذلك المقام الجليل الخطير ، عملا بما قلته ،ومن فرائد السنة التقطته :

لو كان شرط الهدي أن يتوازنا　　قدراً ومن تهدى له الأشياء

ما ساغ ان يهدى الى خير الورى　　نزر ومما أهدي العجواء

لكنها بين الأنام وسيلة　　للود يصتصفى بها النجباء

وغاية الرجـاء والسول ، ان يلاحظ الجليل حقيري بعين القبول ، وذلك هو مقتضى تلك الأخـــلاق الكريمة ، ومعروف من هاتيك مكارم الأعراق الزاكية السليمة ، لازالت أيامكم باسمة الثغور ، محوطة بعنـــايتكم جميع الثغور ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .ولما استقررنا في مكة المشرفة زادها الله تشريفاً ، عاملنا الأخ الشيخ محمد بن زيني الشيبي بحسن المعاملة والمعاشرة ، من كثرة التردد إلى مجلسنا ، وإظهـــار كمال الحشمة والوقار لنا في مجلسه ، وبيان الألفة معنا ، حتى إنه كان يصتصحب والدي حيث كان ، لزيارة أعيان مكة وغيرها ، واقتضى ذلك مهاداً تناله ، ولم يكن عندنا ما يناسب مقامه فقدمناله موجودنا ، وهو شيء حقير ، وكتب له الوالد هذا المنثور ، وأتبعه بالمنظوم ، مشيراً في تحريره إلى حقارة هديته . فقال: إلى الجناب الباذخ المنيف ، جناب مولانا الشيخ المـــاجد الغطريف ، أسبغ الله عليك نعمه الوافرة ، وحباك مناك من خيري الدنيا والآخرة . ولا زال جنابك محروساً في عافية غير عافية ، ومحلك مأنوساً يجبى اليه ثمرات كل ناحية ، آمين .

وبعد ، فلا يخفى أني مذقدمت هذه البلاد ، أردت تقديم مايتعاطاه ذوو الوداد ، وأنفت من التقمص بلباس الشناعة ، في تقديم مزجـــاة البضاعة ، بين يدي رفيع ذلك المقام ، ثم تبين لي سوغ قعود المصلي إن عجز عن القيام ، وأيقنت أن الصعيد يعتاض به في الطهور ، وإن ذهب أهل الدثور بالأجور .

لعمرك مـا الهدايا رأس مـال ... ولا شيئاً يعد لدى الرجـال
ولا تـأتي على مقدار مهدٍ ... ولا المهدى له أبـداً بحـال
كما دلت على هـذا نصوص ... تؤيدُ ما قضيت بذا المقـال
وقد شرعت مؤاخـاة وجلبـاً ... لودّ اولي النجـابة والكمال
وأشرفهـا إذا مـا طاب نفساً ... بها المهدي بـلا أمل النوال

وصح بها عن المختار هدي　　فحق قبولها صدقا لتالي

ويمن الإتباع يفيد ربحاً　　يعمّ به الأقارب والموالي

فقدمت على ما حضر من يسير حقير ، مما لم يحتقبه أحد من العير ولا النفير ، فقدمته لذلك الجناب الأقعس ، والمحل الأنفس . انتهى . وفي ١٢ من محرم وصلت رقعة للوالد رحمه الله من بعض الاصحاب ، وفيها هذا البيت المفرد ، وهو هذا :

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله　　تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

فساء ظنه به ، فكتب اليه معاتباً بقوله :

ياراقياً قلل المجد الذي وقفت　　في سفحه همم الأمجاد في عقل

أنت الكريم الذي تكسو بشاشته　　عطف النزيل بما يغني عن الحلل

مولاي ما كان مني ما يحمّلني　　بذرة من معاني البيت ذي الأمل

فكيف يستحسن المولى بصفتي　　وليس ذلك مأموناً من الخلل

لولا اعتقادي بفضل الشيخ يعصمني　　لقلت ذا هزؤ في واضح السبل

حيث العبارة من ذي فطنة يقظ　　لها وجوه تؤدّي كل محتمل

إني أؤمل من خلّي معاملتي　　لستر تقصير هذا المخلص الخجل

لا زلت تحكم أسباب الاخاء ولا　　برحت تكسى جميل الذكر في جذل

وفي ثالث محرم بعد العشاءين ، سمع والدي من جليس حوله يتمثل ببيتين للشيخ البكري الصديقي وهمـا :

يا رب مـا زال لطف منك يشملني
وقد تجـدد بي مـا أنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرماً فمن سواك لهـذا العبد يرحمه

فشطرهما الوالد رحمه الله تعالى في الحـال ، وقال للداعي بهما : قل هكذا :

يا رب مـا زال لطف منك يشملني
عفواً بـلا عمل مني أقدّمـه
فكيف تعرض عني بعد مسألتي وقد تجدد بي ما أنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرماً إني ببـابك يا مولاي ألثمه
إن لم تكن راحماً شيبي ومسكنتي فمن سواك لهـذا العبد يرحمه

وفي ٢٤ من محرم سنة ١٢٤٩ هـ ، وصل إلى الوالد رحمه الله تعالى من الشيخ محمد الشيبي كتاب بعد وصوله إلى الطـائف ، لأن الصحبة انعقدت بينهما حين وصولنا إلى مكة ، وصار بينهما اتحاد كلي . بحيث لا يكاد أحدهمـا يفارق صاحبه ، وهـذا مضمون كتابه :

سلام مشمول بنفحات هبوب الصَّبا ، يقبل ساحات أغصان الشجرة النبوية ، ذوي الفخار يوم العبا ، وإكرام تحيات يدومان على ذوي المعالي أطيب النجـار ، يستلزمان طول الحياة على ممر الليالي و لأعصـار ، ودعاء مستطيل ، بجمع الشمل بعد ألم البين المهيل .

أما بعد ، فإننا وصلنا الطائف المأنوس بحال الصحة والسلامة ، ببركات دعائكم الصالح ، وليس عندنا من الخلاف شيء سوى فراقكم ، فما علي سوى ذلك ندامة ، فالحاكم بالفراق قادر على الجمع والتلاق :

يا سادة بعدوا عني فما برحت — أحشاء مضناكم بالنار تلتهب

ما كان ظني بأن الدهر يبعدني — عن أنجم بضياء الشمس تحتجب

فجددوا العهد كيما تشتفي كبدي — وحققوا حالكم فالقلب مضطرب

باللحظ بالود بالتمساح من رشاء — سهامهُ في فؤاد الواله الهدب

هل من صمان لصب باع مهجته — بلا جزاء عليكم فالجزا يجب

لا تخرجوا رفكم عن طيب خاطركم — بقربكم تكرم العجمان والعرب

وعند وصول كتابه ، بادر الوالد بجوابه ، فقال : أهدي من السلام ما يستنشق منه برد السلامة ، ومن الثناء ما يزري بعرف أزهار جنان السلامة ، الى الجناب الحسيب الذي له في حيازة المحامد اليد الطولى ، والحبيب الذي أخذت مودته بمجامع قلوبنا عند رؤيته الأولى ، الحائز قصبات السبق في مضمار الفخار ، والفائز بفرض المجد من عبد الدار الى نزار ، حضرة من لازال متفيئاً ظلال الصحة والسلامة في العيش الأهنى ، ومقتطفا من ثمار المنى دانية المجتنى ، آمين .

وبعده ، ففي أشرف آن وأسعد قران ، حظي المخلص بوصول الكتاب الكريم ، فقابله بما يليق من الإجلال والتكريم ، ولقد أنشقني عرف الوفا ، المتضوع من خلال دار الصفا ، وجدد بي عهد الركن والمصلى ؛ فعاردني بلهيب الشون أتقلى :

يامن يعز علينا أن نفارقهم — وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وإن تسلى عن الاحباب ذو شجن — فما التسلي ولا التبديل لي شيم

بن العوض عن هاتيك الأخلاق الكريمة، والبدل أعوز حيث المكارم شيمة ، وما كل بنية بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله :

وحياتكم وحياتكم قسماً وفي عمري بغير حياتكم لم أحلف

إنني لم أجد بوجودكم للغربة كربة، وكدت أكذب من قال: إنما الغربة كربة ،حتى سالت بأعناق مطيكم الأباطح والمواقع ، وألحقت بصدقه عقم المسامع .

أحبتي لاعداكم صوب غادية باليسر واليمن والخيرات تنسكب

لئن نأت داركم عني فمنزلكم

في القلب والطرف يوماً ليس يحتجب

أنتم مناي وأنتم منتهى أملي وليس لي بسواكم سادتي أرب

أعض من ندم كفي على زمن مضى ومالي بكم وصلٌ ولا سبب

إني أسير هواكم مغرم بكم إني أسير ومالي عنك منقلب

أقول للمدعي في حبكم شبهي لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

لم يثنني عنكمُ تلعاب غانية غنجا إليها صنوف الحسن تنتسب

كلا ولم يلهني خل أسامره ولا نديم ولا أهل ولا نشب

أنا الوفي بعهد الحب من قدم فليس قلبي عن الاحباب ينقلب

أنفقت شرخ شبابي في الهوى يقظاً فكدت أعلم ما يؤتى ويجتنب

أقمت مني لكم حكم الصبي على أهليه ياسادتي من بعض ما يجب

دمتم بعز ونعما لاتبيد ولا يفوت ربعكم الأفراح والطرب

ما حنَّ صب إلى أحبابه ولهاً ففاز إذ أنعشته منهم الكتب

طوى الله بيننا شقة البين ، وأبدل الأين بالعين ، هذا والمرجو من تلك الطلعة البهية ، والشنشنة المرضية، أن لاتخرجوا المخلص من الخاطر الزاهر، ولا تنسوه من صالح دعائكم الباهر ، كما هو منّالكم مبذول بحصول المأمول ، إلى آخره .

فلما وصل كتاب الوالد إليه ، بادر الشيخ أيضاً بكتاب ردّ للوالد، ولم نوسمه لأنه ركيك ، واكتفينا بكتابه السابق فليتأمل . وياليته مثله، ثم إنه لما وصل هذا الكتاب المشار إليه ، أجابه الوالد أيضاً ، وذلك في محرم سنة ١٢٤٩ هـ ، ثم إني رأيت إثبات كتاب الشيخ هنا أولى وأحسن ، وهذه صورته :

أهدي من السلم ، ما يعطر الطائفين بالبيت والملتزم ، ويذكر العاكفين ، عرف جنات بها تبشير الكتاب المبين جزم ، إلى فخر السادة الحيدريين ، بحر علوم الأئمة القسرويين ، حاوي آداب الأبرار والصحب الكرام ، المبرز في مضمار سبق الأنجاب ذوي الاحترام ، العارف بالله على التحقيق ، الغارف من فيض أنوار جده المجتبى ، فأدرك معنى كل جليل ودقيق ، عمدة الطاهرين الأشراف ، قدوة الزاهرين آل عبدمناف لازالت علومه في سائر الأقطار منيرة ، وكراماته على الخاص والعام كالشمس عند قائمة الظهيرة ، وبعد إهداء جزيل السلام ، العالي الجاه والمقام ، وصلني كتابكم الكريم ، وفهمت خطابكم الدر النظيم ، فهنيئاً لكم بما نلتم من ثواب ادخال السرور على المحب المبعد ، متلهف على أحبابه بعد المواصلة كتلهف أم معبد، فلا زالت بركاتكم على المحبين قديماً وحديثا ، وغيث نوالكم على الموالين هامياً مغيثا ، فالدعاء ثمرة الوداد ، سيا في سوح وادي جياد ، وإن سألتم عن حال أسير ودادكم ، ليس في شجن سوى فراق الاحباب والاخيار الاقطاب ، وقدحمدت الله على عافيتكم ، ولا عاد عليكم سوء بجاه النبي الأمين[1] ، وآله وصحبه الميامين ، وحال المحبة غير خاف على المحبوب.. الخ ، ثم قال :

وافت معنى بكم يا سادتي قمر
مكحولة السحر لكن نبلها الهدب

---

(١) لقد كان من عادة السلف التوسل بأسماء الله الحسنى ، لقوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) .

كالشمس طلعتها كالغصن قامتها ... أحيت فؤاداً جريحاً بات يلتهب

في لحظها حور من لفظها حكم ... ذات احتجاب وفي إيئنها شعب

فزهدتني عن الدنيا إذ ابتهجت ... مذ فارقوني السراة السادة النجب

أنتم سقاة الورى يوم المعاد ومن ... عبد الجليل مبرات لها طنب

فأجابه الوالد رحمه الله تعالى : ما رفعت شكاية الغرام لقاضي الهوى بألسنة الأقلام ورقمت نكاية الصبابة في ديوانها ، وجناية الوجد والهيام بأعذب من سلام ، مشيدة قواعده . بمحكمات الوداد ، وعاطر ثناء بسطت موائده في محافل الأمجاد ، إلى حضرة من افترع هضاب السؤدد وهو يافع ، وارتضع ثدي المكرمات وترعرع على تلك المراضع ، ذي المناقب التي انتشرت انتشار الشمس في سائر الأقطار ؛ ورفع حديث المجد عن زيني إلى عبد الدار ، جناب حضرة من لازال حليف المسرات ، قرين اللطائف، آمين .

وبعد ، فقد ورد الكتاب الشريف ، فكان أجل وارد ، وحمدنا الله تعالى على صحة تلك الذات المجبولة على المحامد ، وقد وقف المحب على ما تضمنه من الابيات الحسان ، فوجدها لاينبغي أن تقدم في حلبة الرهان ، وقد سوى ناظمها على متن عميا ، فضل في مفاوز فيح ، وهو يحسب أنه أهدى من السليك أو الطميح ، فعد لنا عن منهج مجاراته ، حذراً من التجشم في وعرتهاته ، فوردنا منهلا سائغاً عذبت مشاربه ، وحفت بمدبجات الأزاهر جوانبه ، فأطربنا رونق ذلك المورود ، ونظمنا على حافته من مدحك مفصلات العقود ، بفريدة تكاد تسيل انسجاماً ورقة حاشية ، ويضوع من أردان برد مديحها عرف الغالية ، وبرزت تميد بقلائد البلاغة معجبة ، لكونها حالية ، وأمت تلك الحضرة السامية ، فالق لها إذناً واعية ،وهي هذه :

خطرت بقد البانة المياس ... ورنت بطرف الجؤذر النعاس

غيداء يلعب بالعقول حديثها　　فعل الشمول حكت صفاء الكاس

تصمي الحشا بنبال مقلتها وما　　للسيع عقرب صدغها من آس

ما للذوائب كالأفاعي استرسلت　　تحت الكثيب فضيعت احساسي

بالغنج تسلب ذا الوقار وقاره　　ودلالها يقضي بنقض مراسي

لألاء غرتها وداجي فرعها　　بدر يلوح خلال غيم راسي

زارت فما أدري أكانت يقظة

أو من طروق الطيف أو وسواسي

حتى تعطرت الربوع بعرفها　　ونضى محياها دجى الإغلاس

فدهشت لما أن أمطت خمارها　　واستقبلتني زرقة الإلعاس

ونشقت منها الطيب ظنا أنه　　مسك وذلك عاطر الأنفاس

فطفقت أقطف وردتي وجناتها　　وارشف ثناياها طلا الشماس

وغدا على قلبي الخفوق كقرطها　　فرحا بطيب الوصل بعد الباس

فحظيت منها بالمنى متدرعاً　　برد الصيانة والغرام لباسي

يا حبذا زمن الوصال يمده　　زهو الشباب الغض باستئناس

واليوم مالي والتغزل بالدمى　　من بعد ما نزل المشيب براسي

فذر الهوى وفنونه واهرع إلى　　إطراء ندب طيب الأغراس

الماجد الأنف الأبي الباسل الـ　　قرم السري أخي الندى والباس

زاكي النجار عفيف منعقد الإزا　　ر قرير عين الجار بالإيناس

يرعى ذمام ذوي الإخاء تكرماً   بالبشر يلقاهم بغير شماس
هذا هو الشيبي ذا أسمى فتىً   في دارة البطحاء كالنبراس
من آل عبد الدار أكرم معشر   حازوا مناقب كالنجوم رواسي
منا حجابة بيت رب العرش قد   خلدت لهم وبنيهم الأكياس
لله منصب سؤدد ذي حلة   خير الأنام لهم بتلك الكاسي
وسواه من كل المناصب جاءعن   ملك وتغليب وشورى الناس
أمحمد يا فرع كل معظم   در الندى منه بلا إبساس
وافى كتابك والغرام بحاله   أين الهوى وزخارف الأطراس
إني أحن إلى اللقاء وهاج بي   شوق يرق له الفؤاد القاسي
جمع اصطباري فل لكنّ الرجا   قهرت دواعيه دعاة الياس
فيه التعلل والرجاء تعلة   وكذا المنى تغني ذوي الإفلاس
فعسى الإله يبت أسباب النوى   عنا فألبس حلة الجلّاس
وإليك من أبكار فكري بضة   صينت معاطفها من الأدناس
حسنا الشمائل من ذؤابة هاشم   بصميمها من كل أغلب آس
تأبى سواك يمس فضل ردائها   وترى الشنار بذلك الإمساس
لازلت يا رب الكمال برتبة   قعسا وعز محكم الآساس
ما أضحك الروض المدبج في ربى   مزن يسح بواكف رجاس

ثم قال : وإلى هنا أخذنا بأعنة الأقلام عن التمادي بالجري في مضمار النظام ،

وعليكم جزيل التحية والسلام ، أقول : وفي محرم ، أراد الشريف محمد بن عون أن يتزوج بابنة السيد علي اليوشكلي ؛ فعند ذلك انتدب شعراء مكة لتهنئته مدحاً وتأريخاً وكله مما لايحسن تدوينه ، ثم إن الوالد أخذته الأريحية ، فجاراهم بهذه القصيدة مهنئاً ومادحاً، ومؤرخا بقوله :

أعلى الله جدك ، وخلد سعدك ، ولا فل جندك ، بعد إهداء جزيل السلام ، فالذي نرفعه لسامي المقام ، هو أنه لما قدم فضلاء مكة المشرفة تواريخ بديعة مفوفة ، أحببت مجاراتهم في ذلك المضمار ، لأجلو من غرر مديحكم مـا يفوق بهجة الأزهار ، فقمت لزناد فكري قادحاً ، وقلت مؤرخاً ومادحاً :

عم الهنا قطان أمِّ القرى ... وبشر البادين أهل الحضر
بعقد حاميها الهمام الذي ... إلى المعالي ورده والصدر
أفضل سباق لكسب الثنا ... وخير نهّاض لدفع الحذر
من دوحة المجد نما فرعه ... والغرس مهما طاب طاب الثمر
ذو عزمة مافاتها محتم ... وفكرة تنتج حسن النظر
بالمحتد الطاهر فاق الورى ... وبالمزايا الغرّ ساد البشر
للجود والنجدة أخلاقه ... والعدل والرفق وخير السير
أضاءت البطحاء في عصره ... لما جلا عنها قتام الغير
إن ابن عون سيد ماجد ... حلاحل ندب جواد أبرّ
يا كعبة الجود وركن الوفا ... يا حرم الأمن إذا الذعر قرّ
إني سمعت الناس قد أرخوا ... زواجك المفضي ليمن الأثر

وكنت أولى منهمُ إنني منكم وما كان بباعي قصر
فقلت بالسعد وطول الهنا واليمن أرخنا زواج الأغرّ
لازلت في عز رفيع الذرى يصحبك النصر وحسن الظفر

ولما نظمها الوالد أرسلها للشريف المذكور بالطائف ، لأنه إذ ذاك فيها ، وحال وصولها أرسل إلى الوالد كتابا يشكره فيه على صنيعه ،وهو : إلى جناب المكرم المحتشم الفاضل النبيل ، السيد عبد الجليل بن السيد ياسين البصري ، سلمه الله تعالى ، بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، غير خاف أنه وصل إلينا من لديكم القصيدة الفريدة التي حسنت ألفاظها ومعانيها ، وتعجب الناظر إليها من انسجام مبانيها ، وصارت لدينا في حيز القبول ، فلا فض فوك ولا عدمك بنوك ، هذا مانعرفك به والسلام ، في ٩ صفر سنة ١٢٤٩ هـ . وفي شهر صفر أيضاً اقترح على سيدي الشيخ أحمد المفتي تشطير هذين البيتين فأسعفه الوالد بمطلوبه ، وأوضح شكواه من محبوبه ، فقال :

ليلى وليلي نفى نومي اختلافهما عليّ إذ لم أصادف منهما الأملا
قد مال كلٌّ على ضعفي مغايرة بالطول والطول ياطوبى لو اعتدلا
يجود بالطول ليلي كلما بخلت بالنوم عيني وقلبي بالهوى اشتغلا
والدهر يسمح لي بالسؤل حيث أبت
بالّطول ليلى وإن جادت به بخلا

وقد اقترح عليه الأديب الأكرم السيد حسين ، نقيب السادة في مكة المشرفة ، لازال بكل خير قرير العين ، تشطير هذين البيتين ، فأتحفه بمراده ، وأمرح سرح مرتاده ؛ فقال :

نسب الناس للحمامة حزنا حيث عدوا تغريدها نعي هالك

زخرفوا القول في اجتياح هديل وأراها في الحزن ليس هنالك

خضبت كفها وطوقت الجيـ ـد وتجني زهر الربا جنح حالك

طربت للنسيم في الروض والفجـ ـر وغنت وما الحزين كذلك

وقال الوالد: اقترح علي المكرم الأخ الشريف، يحيى ابن الشريف غالب، تخميس هذه الأبيات الثلاثة؛ وهي في غاية الركاكة والرثاثة، فكسوتها الرقة والجزالة، وتركت نسجها ومنواله، وذيلتها ببيت رابع فاشرق بدرها في أحسن المطالع؛ فقلت مخمساً:

علقت روداً لغايات الجمال عدت ليس الوفاء لها طبعاً إذا وعدت

جارت على ضعف حالي في الهوى وغدت

وبي من البدو كحلاء الجفون بدت

في قومها كمهاة بين آساد

أكباد أهل هواها من ذوائبها يزهو الجمان نظيماً في ترائبها

لما أرادت مقاساة العناء بها أبدت ضفائر شعر من ذوائبها

فأظلم الصبح لكن فرقها بادي

ما للمشوق المعنّى في الهوى ولهاً تبدي الدلال فتضني صبها ولها

عطبولة لم يكن عنها الفؤاد لها إذا بدت لنساء المدن قمن لها

مستسلمات وقلن الفضل للبادي

بديعة الحسن مني بالوصال ولا تصغي لقول الوشاة الجالبين قلى

إذا الحبيب صغى واستعذب العذلا

أضاع عقد الهوى نقضاً وصار إلى

عواذل رائحا باللؤم أوغادي

وفي شهر ربيع ، اقترح أيضاً على الوالد جعفر الفقيه ، إملاء كتاب لأحمد باشا في مصر ، وكان سابقاً متولي مكة ، فأسعده وفقه الله تعالى لمرضاته ، فقال : اللهم يامن أقمت في بيتك أمناً للناس ومثابة ، ووعدت من التزم الدعا بحسن الاجابة ، أسألك وأنا واقف ببابك ، متوسلا إليك بأجل أحبابك ، الذي نوهت بذكره في مجيد كتابك[1] فكملت مجده بكريمة (وإنك لعلى خلق عظيم) وأوليتنا رفده ببشارة (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) أن تخلد يامولاي على صفحات الأيام ، سعادة عبدك المتضمخ بطيب عبوديته اذعاناً لجلالك ومجدك ، الذي بسط العدل والرأفة في جيران بيتك المعظم ، وحمى حوزتهم من كل سوء ألم بهم فـآلم ، ذي الهمم التي امتطت ذرى المعالي والفضائل ، والعزائم ، التي تستنزل العصم من شامخ المعاقل ، من كشف بمصابيح آرائه دياجي الخطوب ، وأهل وابل عطائه سوح أوليائه فأخصب المجدوب ، مالك أزمة المآثر ، الجامع شتات المكارم والمفاخر ، حضرة من لازال نجم سعده طالعاً في برج إقباله ، وبدر علاه ساطعاً في مركز كماله . آمين .

غب وافر الدعاء ، وعاطر الحمد والثناء ، فالباعث لتحرير نميقة الاخلاص ، وذريعة المحسوبية والاختصاص ، هو الاعلام بقيام المملوك بوظيفة الدعاء ، ولزومه الابتهال الى رب السماء ، في هذه المشاعر المشرفة ، فانها مواطن الاجابة ، متعرضا لنفحات كرمه بصدق الانابة ، بأن يمنحكم من الخيرات جميع الأماني ، وأن يقرن طالعكم بمديد المسرة والتهاني ، فإنه خير مأمول وأجود مسؤول ، وقد أمل المملوك من ولي النعم ، ومفيض عواطف الجود والكرم ، أن يشرفه بكتاب يتميز به على أقرانه ، ويسترّ به جميع محبيه وأخدانه ، فلم يفز المملوك بذلك من سامي الجناب ،

---

(١) لقد مر بك أن السلف كانوا يتوسلون بأسماء الله الحسنى .

فلعل ذلك لم يكن لخروج المملوك من الخاطر الشريف ، حيث غاب :

ما عوّدوني أحبائي مقاطعة ... بل عوّدوني إذا قاطعتهم وصلوا
إني مقيم على ودي القديم لكم ... وحبل رقي لساداتي لمتصل
هل نظرة منكمُ أجلو بها كربي ... ولا يخيب بكم يا سادتي الأمل

ولما توجه أخي لتقبيل هاتيك الحضرة الشريفة ، انتهزت الفرصة بإصحابه هذه الصحيفة ، لقصد اجراء المخلص الداعي في الخاطر الشريف ، لازال من مراتب السؤدد في المقام الباذخ المنيف ، ولا برحت أياديكم مقبلة ماهبت الرياح المرسلة ، آمين.وصلى الله على سيدنا محمد الرسول الأمين ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين.أقول : وقد اقترح على الوالد أيضاً ، المكرم الأمثل ، والمحترم الأنبل ، ذو النسب العريق ، والخلق الوارف الوريق من تسنم من الفضائل ذراها ، وبلغ من المكارم منتهاها ، الأخ الشيخ محمد الشيبي ، أن يشطر هذه القصيدة ، التي هي في منصب الرقة عميدة ، وقد ادعاها ستون شاعراً ، فأجابه الوالد فيما طلب ، وأسعفه بما أحب ، وشطرها تشطيراً أحكم فيه إدخال الفرع على أصله كاحكام السهم في نصله ، وقد فاق التشطير على أصله ، فليتأمله الفكر الثاقب ، ليرى من حسنه العجائب ، قالا رحمهما الله تعالى وهي هذه:

صاح في العاشقين يالكنانة ... مستهام رام السلوّ فخانه
قاده للهوى كما شاء قسراً ... رشأ في الجفون منه كنانه
بدوي بدت طلائع خديه ... ترينا من نقعها ريحانه
وانتضى من لحاظه مشرفيا ... ت فكانت فتّاكة فتّانه
رد منا القلوب منكسرا ... ت حين رمنا بالوصل منه امتنانه

غير بدع هيام صب رآه عندما راح كاسراً أجفانه
وغزانا بقامة وبعين فلّتنا أدرع صبرنا بالخيانه
بنبل ألحاظه ولمع الثنايا تلك سيافة وذي طعانه
وأرانا وقد تبسم برقاً لاح في ليل شعره فأبانه
عن دلال أبدى مخايل صد فأريناه ديمة هتانه
فهو يقضي على النفوس ولم يقض ديون الغرام خلاًّ أدانه
لهف قلب المشوق يقضي وما نا ل من الوصل في هواه لبانه
سافر الوجه عن محاسن بدر يخلف البدر لو أضل مكانه
مر بي في لداته يتكفا مائس القد عن معاطف بانه
لست أدري أراكة هزّ من مشوق قدٍّ له أغصناً ألانه
بالهوينا يمشي ويختال في أعطافه الهيف أم لوى خيزرانه
خطرات النسيم تجرح خديه ومر الكرى يهي أجفانه
كيف يقوى على مناولة الكاس ولمس الحرير يدمي بنانه
قال لي والدلال يعطف منه ما عدا قلبه أرى عدوانه
إذ وقفنا سويعة وهو يثني قامة كالقضيب ذات ليانه
هل عرفت الهوى فقلت وهلاّ كنت ما بين أهله سلطانه
شاهداي الهيام والسهد ردا نكر دعواه قال فاحمل هوانه
فأجلّ العشاق من لزم الصبر وعاصى اللاحي وقاسى الإهانه

زارني والصباح قد همَّ أن يو قد جنح الدجى شموع الإبانه
فاغتنينــا عن البدور بأن يو لج في مقتل الظـلام سنـانه
بقميص يجر أذياله عجـ باً وتيهـاً وفي الدلال رزانه
كيف حال الشجي حين تبدَّى وهو يثني في مشيه أردانه
ووشاحاه جائلان على خصـ رٍ حكى جسم من شكا هجرانه
إن مهضوم كشحه وانطواه يتشكى أردافه المَلآنه
فتلقيته بلثم وضم حيث صرنا كواحد عن جنانه
ودعوت المدام بالكأس والطا س وأبدى لنـا بديعـاً بيانه
لفظه نقلنـا وأحلى لمن قا س فنادى دع المـدام وشانه
وارتشف من فمي ومن رشفاتي عسلًا سائغاً فرم إدمـانه
ورضابي خمر حلال فخذه قهوات تغنيك عن كل حانه
واقتطف ورد وجنتيَّ طريـاً قد سقاه الحيـاء ريـاً فزانه
سرِّح الطرف في رياض روائي واجن من زهر مبسمي أقحوانه
واحتكم غير خصلة تغضب اللـ ـه ففيها الشقا وكشف الصيانه
واطلب العز من وجوه مراضيـ ـه وإياك ترتضي عصيانه
ثم إنا بتنـا ضجيعين من غيـ ـر تحاش نعطي الغرام ضمانه
قد خلعنا العذار في اللهو لكن لا قبيح من بيننـا أو خيـانه
فوحق الهوى وحبيه مـا حلَّـ ـت دواعي الهوى بقلب فصانه

غير أني ملكت خلّي وما مسـ ـست يدي بنده ولا هيمانه
وعجيب لعاشق غلب الوجـ ـد على قلبه ولم يطق كتمانه
نال وصل الحبيب والشوق قد جا ر عليه فغالبته الأمانه
فسأثني على محاسنه اللا زم بي عشقها لزوم الديانه
وأؤدي شكراً لأوقاته اللا تي أراني في ضمنها إحسانه
بقوافٍ سيارة حدّثت عنـ ـها رواة القريض حسن الإبانه
سال منها ماء البلاغة تزري بالقوافي سلاسة ومتانه
ينثني الضد مفحماً عن معانيـ ـها وقد سد لفظها إمكانه
عندها يخرس البليغ عن النطـ ـق كأني بها عقدت لسانه

أقول : وقد ورد عليّ سؤال من بعض الاصحاب ، فالتمست من الوالد جوابه ، فأسعدني بذلك ، قال السائل :

يا إماماً للمشكلات معدّاً هل سبيل إلى جوابي وجبري
مقلة القلب للتواصل شخص واقف طهره على طهر غيري
فتعطف واو بطيف خيال زمت حالي لكم به ضاق شعري

قال الوالد رحمه الله تعالى في الجواب :

أيها المرتدي بحذق ونبل والمباري قسّاً بنظم ونثر
جاءني اللغز المعمى فأحرى أن يحار الغداة في الكشف فكري
غير أن اللغيز أبدى ضياء مدّ من ليل حبره نور فجري

فاهتدينا به إليه فهذا في المصلى على ضجيعة قبري
طهره عن تيمم فهو ما صح له الطهر قبل غسل وطهر
وهو غسل لربة القبر فرضا خذ جواباً كأنه نظم در
كان فرضاً علي رد جواب فامتطيت الهضاب في نظم شعري
لك عذري ما قلت من قبل شعراً لا ولا كنت في الصبابة عذري

أقول : ومن إنعام الله علينا ، وإحسانه إلينا ، أنا لما فرغنا من مناسك الحج ، ونفر كل إلى وطنه ، بلغ شريف مكة ووالي الحجاز بأسره ، وهو الشريف محمد بن عون قدوم الوالد حاجاً في هذا العام حيث انتشر له ذكر في مجلسه العام ، فطلبه للحضور لديه ، وأحب انتظامه إليه ، ولما حضر اليه ، بالغ في إكرامه ، وأدناه من مجلسه ، وخصه بالالتفات ، إلى غير ذلك من أنواع الكرامات ، ثم لم يزل يتضاعف اكرامه إليه ، حتى لم يكن عنده أحد أدنى منه إليه ، ولما وصل الشريف إلى الطائف ، لم يزل يتعاهد الوالد بالمكاتبة اللطيفة ، والمراسلة الشريفة ، وبشره بسلامة أخي عبد المحسن من بعد وقعة سبيع ، ولما قدمنا إلى الطائف ، عامله بتلك المعاملة وزيادة ، إلى أن غزا سبيعاً ، وهو على أجمل حال معه ، ولما ظفر بالقوم ، وجاء البشير منه ، وهو محسن بن علي المضايفي ، فتواجه مع الوالد وأخبره بصورة الواقعة ، وكذلك أخبر أعيان مكة ، فأحب الوالد أن يكافيء الشريف على حسن سيرته معه ، وكمال وقاره وحشمته له ، فنظم هذه القصيدة الفريدة ، مهنئاً له ومادحاً ، فقال :

عمر الله الوجود بوجودك ، ونور في مراكز الثبات طالع سعودك ، ولا زالت أعلام سعادتك على مفارق الأيام منشورة ، وآيات محامدك بعذبات الألسن متلوة ومذكورة ، بعد إهدائي إليك عاطر أزهار التحية والتسليم ، فالمنهيّ إلى رفيع ذلك المقام الكريم ، هو أنه لما أتحفنا بأنواع المسرات وحسن البشارة ، فاضت أفراح القلوب على الوجوه بهجة

ونضارة ، فأفرغنـا الوسع المنعم تعالى بصنوف حمده وشكره ، على مـــا ألبسكم من مطارف تأييده ونصره ، وهزت أعطاف المحبين أريحية الابتهـــاج ، بتجدد هذه النعمة الموفورة ، التي أبرزت جواهر مدائحكم للعيان وهي منثورة ، فرأيت من اللازم نظمها في سلك الاجادة ، لتكون في لبات الأعصر أبهى قلادة ، ففصلت كبار دررها بخالص العقيان ، وأفرغت ابريز حلية اتساقها في قوالب الإحسان ، وقلدتها جيد عطبولة طفلة رداح حصان ، تستنكف أن يجاورها ضرة في هذه الأزمان ، ولكونها عقيلة قومها ، لم يكن لسواكم إلى مثلها وصول ، وليس لها مهر سوى رفعة قدرها وتلقيها بالقبول ، وهي هذه :

من البشائر ما أعلى سنى الدول	مثل التي أوردتها ألسن الأسل
تهبّ منها رياح النصر عاطرة	فيعطس العز منها أنف كل ولي
قد زانت الدار مذحفت جوانبها	بيض لوامع في آطام ذي الدخل
هذي البشارة قد سر الولي بها	وهز عطفيه عز دائم الجذل
لكنها ألبست كل العدى خلعاً	من الصغار فخلوا مشية الميل
وهكذا المجد ما شادت دعائمه	شبا المواضي وأطراف القنا الذبل
من يشتري الشرف العالي بلا ثمن	من المعالي فمردود إلى الفشل
إذ ليس يبلغه إلا أخو ثقة	ماضي العزيمة مقدام على الوجل
يجفو المضاجع في فكر يولده	رأيا يصيب به مستبعد الأمل
لم يثنه عن طلاب المجد خرعبة	شابت بغنج بكاها ساعة النقل
يجاذب العزّ عن عزم تكنّفه	حزم وعن همة تعلو على زحل
بعضب عزمك فاضرب كل حادثة	ولا تكن ضرعا في الخطب كالوكل

فليس ينـدفع المرهوب عن دعة　　وذو الهوادة لا يخشاه ذو الغيل

واعدد لنيل العلى صبراً على مضض　　مذاقة الشهد تنسي لسعة النحل

واستعمل البيض والسمر اللدان معا

واستنصر الأسد واترك جانب الوعل

تفز بمطلبك الأقصى كما فعلت　　عزائم الملك القمقـام بالدول

هو ابن المعالي كف شائدهـا　　عين الحياطة صدر الملك عضد ولي

محمد فخر من ساد الحجـاز تقى　　والمشتري الحمد بالأموال والخول

جم المآثر رباع المحـاور جمـا　　ع المفـاخر مناع الحمى الخضل

كنز الفضائل طلاع المعاقل محمو　　د الشمائل معطـاء بـلا ملل

حامي الذمار منيع الجار ليس له　　في تالد المجد والافضال من مثل

العاشق الجود في جدباء كالحة　　والماقت الجبن والفحشاء والبخل

الماجد البطل ابن المـاجد البطل　　الماجد البطل ابن المـاجد البطل

العبدلي الذي ذلت لصولته　　أحيا معد وقد أوفوا على القلل

فسل بني عامر في يوم زينة اذ　　وافوه بالعاديين الخيل والرجل

وفي الحصون أسود الغاب كامنة　　حول الشبول ودون الأعين النجل

ماذا لقوا منه من ضرب يشيب له　　سود النواصي وطعن غير مندمل

أبدى لهم حلمه فضلاً ومرحمة　　فصيروا ذاك عن عجز وعن كسل

والأسد تكمن في الآجام رابضة　　فإن تثب لم يفتها حاضر الأجل

حاد الغرور بهم عن كل صالحة
فأظهروا البغي والعدوان في السبل

عمي الغباوة قد فاق العمى ضرراً
والشمس ليس يراها مبتلي السبل

فمذ تمطى لهم ليث العرين ضحىً
وأيقنوا الجد منه غير منفتل

راموا الخداع وظنوا المكر يصرفه
هل يدفع العارض الهطال بالحيل

أسال واديهم بالخيل تحسبها
سيلا تحدر فيه من ذرى جبل

يا يوم صبَّحهم والجو معتكر
من العجاج ولمع البيض كالشعل

في فتية خلتهم أُسداً وقد بصرت
طيب الفرائس من خيل ومن إبل

ترمي البنادق من أفواهها شرراً
كالشهب منقضّة للمائق الدغل

كأن أصواتها رعد تجلجله
هوج الرياح صداها دائم الزجل

تلقى الكميَّ عطاشى قيضوا لهم
دم العدى منهلًا مستعذب النهل

فأورد الخيل والأبطال واجمة
وقد غدت قصد المران كالفتل

وثغره باسم والصدر منشرح
كأنه لم يشاهد هائل الوجل

فما انجلى النقع إلا والعدى فرق
من هارب ثم مأسور ومنجدل

فآب هاربهم بالذل والتمسوا
عفو المليك عن الجاني أخي الزلل

وقابل الجمع بالحسنى وقومهم
بما ينكل ذا التفريط والخلل

إن ابن عبدالمعين الشهم ذو خلق
بالبر والعدل والإحسان محتفل

وافي العهود حليف الجود حليته ... كسب المحامد لا بالحلي والحلل

نهاض مكرمة دحاض مزرية ... خواض ملحمة في الخير ذو عجل

هو الجواد الذي أغنت مواهبه ... عند المساغب عن مثعنجر هطل

أبت مكارمه خفر الذمام غدا ... جواره حرم المستوفز الوجل

عف الإزار وتقوى الله تكلؤه ... ناءٍ عن الفحش والعوّار والخطل

ينزِّل الناس إحساناً منازلهم ... للربد وهد ووكر الصقر في جبل

وكم له من مزايا قد أناف بها ... على الأكارم من شيخ ومكتهل

بني قتادة بشرى إن سيدكم ... قد نظم المجد في أسلاكه الأول

أحيى مآثر آباءٍ لكم أنف ... شم بهاليل نهاضين بالثقل

حاز المكارم إرثاً والمفاخر عن ... خير الورى وأمير المؤمنين علي

يا خير ملك إذا عد الملوك علا ... مجداً أثيلا وجداً صفوة الرسل

يا كعبة الفضل يا ركن البسالة يا ... بيت العفاف وباب النجح للأمل

إليك مني قريضاً عز مدركه ... على سواي بجد القول لا الهزل

قد أذعنت لي حدائق العراق به ... وفضل أهل الحجاز الطيبين حلي

لي القوافي مطيعات فأوردها ... جزالة المدح تسق رقة الغزل

لامية العجم تحكي فضل قائلها ... وحسن لامية الأشراف تشهد لي

يخلد الذكر حسن الشعر رائقه

ويشر الطيب في الأمصار والسبل

خير المدائح ما أهداه ذو حسب حرٌّ له المدح يهدى غير منفصل

أعددت نظمي سلكاً فيه نظم من مديحك النثر غضا غير منتحل

وأن أقلدك النصح الذي أخذت به العهود على تبليغ ممتثل

قم بعرف وجانب كل قادحة للحق بالحق ألحقْ سائر العمل

وانصر أخا الظلم والمظلوم مجتهداً وفي إلهك فاحذر خدعة العذل

لله كن مخلصاً فيما تقوم به ولا تراقب سواه يكفك الأزلي

مولىً أنالك من إحسانه نعماً عظيمة المن فاشكر ذا العطا تنل

إن لم تقيد بشكر الله أنعمه فإنها ستجاري شارد الإبل

وكل فرد له شكر يخص به فالرفق والعدل شكر الحاكم الحول

ونصرة الحق في القربى ومبتعد

والحكم بالشرع في الأعلون والسفل

إليك أبرزت مدحي والنصيحة عن

محض الوداد بلا ميل إلى النفل

تأبى خلائقيَ اللاتي سلكت بها نهج الأكارم قومي السادة النبل

أن أجعل الشعر كسباً لي أراقبه هذا لعمرك شأن الخامل الضئل

إني لمن معشر غر غطارفة من كل ثقف جواد بالكمال ملي

إذا ازدراني جهول قلت لا عجب إذ غربة الدار تذوي زهرة الرجل

وهل يحط اغترابي القدر من شرفي وحلية الفضل زادتني لدى العطل

إذا استفز الحجا ممـا يريب ترى　　أصالة الرأي صانتني عن الخطل
وهذه شطحـات الشعر غالبة　　فانظر اليها بعين الصفح واحتمل
واهنأ بعز وإقبـال ونيل منى　　والسعد مقتبل والجد منك علي
ما اشتاق بادٍ إلى استنشاقه أرجاً　　من الخزامى وعرف الشيح والنفل
أو طاف بالكعبة الغراء ذو نسك　　أو عاكف وانتهى للركن بالقبل

وبعد انتهاء نظم هذه الفريدة الثمينة ، أزمعنـــا التوجه إلى حرم المدينة ، ليعلم الصحب أني بعد فرقتهم (ما سرت من حرم إلا إلى حرم) وأرجو من الكريم وهو خير مسؤول،أن ينيلنا بذل صالح الدعاء لكم تجاه حضرته ببلوغ غاية المنى والسول، وأن يمن علينا بمشاهدتكم وحسن اللقا ، وأن يمدكم بمزيد السعادة والارتقا ، والسلام .

أقول : وفي سابع من جمادي الأولى سنة ١٢٤٩ ، توجهنا إلى المدينة المنورة لزيارة الرسول صلى الله عليه و آله وسلم ، ولما وصلنا إلى الصفراء، أحب الوالد أن يفد على النبي ﷺ بامتداحه بقصيدة فريدة ، فشرع في نظمها ، فنظم من غزلهـــا بعض الأبيات ، ولم يتمكن من مراده ، لكلفة السفر واشتغال البال به ،وبعد استقرارنا في المدينة ، أتمهـا فجاءت غرة في جبهة القصيدة ، وأنشدها تجاه المشاهد الشريفة، سحر ليلة الاثنين والعشرين من رجب ، وهو واقف مكشوف الرأس كما أشار إليه ، فبكى وأبكى من حوله ، وهم جمع ، وقد انتشرت هذه القصيدة في قطر الحجاز ومدنه كلها ، حيث كتب منها عدة نسخ في المدينة ومكة وجدة والطائف ، ونقلت إلى صنعاء ومصر والشام وعمـان واسلامبول ، وناهيك بفخرها قبولها والإقبال عليها ، وهذه هي ، فتأملها تجدهـــا كما وصفت ، وأكبر ، فقال رحمه الله تعالى :

لذكر الحمى يشتد بالوامق الوجد　　فقد لي متى يبدو لي العلم الفرد
أحن إلى بـان اللوى وطويلع　　ومن بان عن مغناه حق له الوجد

منازل كان الشمل مجتمعاً بهـا ولم تك أيدي البين للحي تمتد
منازل من أهوى على القرب والنوى
ولا خير في ود يغيره البعد
مغـاني أحبابي الذين تبوؤوا سويداء قلبي قبل أن يعرف الود
هواهم حياتي وهو أقوم حجتي فلا ميل عنهم واصلوني أو صدوا
كفاني هواهم مفخراً وذخيرة وقد فاز مرضيٌ لديهم كمن ودوا
أهيم غراماً واشتياقا لذكرهم إذا لامني في حبهم جاهل وغد
مواليَّ أهلي هم على السخط والرضى
ويأبى الموالي أن يضيع لهم عبد
منازلهم لي مستجـار ووقفة بأطلال مغناهم هي الغنم والسعد
سقى الله هاتيك المنازل والربى عهاد رباب الشول جلجلة الرعد
بها نتساقى الحب في حانة الرضى وحبل دواعي العذل والعتب منقد
ليالي إذ غصن الشبيبة مورق وللهو ظل بالبطـالة ممتد
تناولني كأس التصابي يد الصبا فـال بأعطافي الصبابة والوجد
على أي حال شئت كنت من الهوى
وأعين صرف الدهر عن وجهتي رمد
فأطلقت نفسي في مسارح غيها تواصلني هند وتجذبني دعد
وعهد الصبا للغيد خير وسيلة ينيل الفتى منهن ما أضمر البعد

فصوح ذاك الرونق الغض والنوى

مهفهف ذاك الغصن واستملح الورد

وخلّت مساريحي الغواني وأعرضت

إلى جانب عني كأن لم يكن عهد

وأبقت رسيساً للصبابة والهوى   بقلبي ولم ينف الهوى ذلك الصد

فما لك ياقلبي المعنّى أما ترى   ملاح عذارى الحي للبعد تعتد

وحتام لا يجلى الغشاء وذو الصدى   إذ اخترت نهج الغي فارقك الرشد

أَضعت نفيس العمر في غير صالح   وملت إلى مالم ينلك به الحمد

سقاه لعمر الله طاعتك الهوى   وعصيان من وافاك في نصحه الجهد

تماديت في لبس الخلاعة عاكفاً   على شهوة مرت ولم يحلها خلد

علمت بما كونت قدماً لأجله   وفرطت فيما ليس من فعله بد

أمن خبل بعت الهدى بضلالة   وصح على خسران صفقتك العقد

أما كنت تستحيي من الله إذ ترى   على غير ما يرضاه هل هكذا العبد

أما تنثني عن وعر منهجك الذي   حزونته تردي وراحته كدُّ

تداركْ بقايا العمر لاتفنها سدىً

أما ابيض من فوديك بالغيِّ مسود

وخل السرى في ليل جهلك قد بدا

صباح مشيب صادق النذر إذ يبدو

وخذ حذراً فالغارة الصبح تتقى
وفي الخوف أهل الحزم في حذرهم جدوا

ودع عنك تسويفاً يفاجي بك العدى
على غرة في حين لاينفع الجد

لك الخير هذا حصن أمنك قد دنا … به الملتجا ينجو إذا حسن القصد
ألست ترى اعلام طيبة لائحاً … سناها فشم برق المنى والهنا واعد
أما الروضة الغناء فاح عبيرها … لنا شق رياها فما المسك والند
فهزتني البشرى ارتياحاً وبهجة … كما اهتز من ريح الصبا الأغصن الملد
ومن عادة الجذلان تهمي جفونه … فمن در دمعي في الثرى انتثر العقد
وأعلنت في فرط المسرة والهنا … بحمد الذي من حقه الشكر والحمد

ونلت الأماني حيث أصبحت وافداً
على خير من يرجى بساحته الرفد[1]

هو الصفوة المختار من عنصر الورى
ومن هو سر الكون والجوهر الفرد

هو العاقب الماحي الضلال بهديه … هو الطاهر الأتقى هو الطالع السعد
هو العروة الوثقى لمستمسك بها … هو الكاشف الغماء والكرب مشتد[1]
ملاذ الورى مهما عرى مثقل القرى … وللفقرا داني القرى سيبه مد[2]

---

(١) هذا من الاطراء الذي نهى عنه رسول الله ﷺ .
(٢) الملاذ للعباد هو الله تعالى وحده .

بني سما عن أن يسامى مقامه وليس يداني مجده المنتقى مجد

له الشرف الذاتيُّ بدءاً كما انتهى إلى غاية في الفضل من دونها الجد

وعن درك أوصاف الكمال الذي حوى

محال يفي بالبعض من ذلك العد

نبي كساه الله حلة حبه فلما اختاره المحبوب ليس له رد

وأبرزه في عالم الغيب شاهداً بكل مقامات الشهود هو المبدو

ونور الهدى من رشح مشكاة علمه على صفحات الكون بالضوء يمتد

ولم تأت أحشاء الزمان بمثله وأنى لخير الخلق والمجتبى ند

وقد زين الله الوجود بأسره بطلعته الغراء كانت هي القصد

وألبسه تاج الرسالة منذراً بشيراً وكل الرسل ما خلقوا ابعد

رسالته للناس نور ورحمة ولولاه عن طرق الضلالة ماصدوا

له خلق القرآن يرضى بما ارتضى ويغضبه ما فيه بالمحكم الطرد

مكارم أخلاق الرسول وحصنها يقصر عن إدراكها ماجد يعدو

علا مجده من قبل إيجاد آدم وفي الملأ الأعلى به أشرق السعد

وآدم قد نال القبول بيمنه فأكرم بمولود به سعد الجد[1]

وحاز به نوح من الماء أمنه ومنه لابراهيم حر اللظى برد[2]

---

(١) هذا لادليل عليه صحيح من الكتاب والسنة بأن آدم علية السلام نال القبول به .

(٢) نوح وابراهيم عليهما السلام نجاهما الله تعالى بسبب إخلاصهما لله تعالى .

وموسى وعيسى بشرا بظهوره ودعوة إبراهيم فيهاهو القصد
بمولده كل الهواتف أعلنت وما كاهن إلا بتشريفه يشدو
وفي ليلة الميلاد جاءت خوارق بها حارت الألباب واستعجم الضد
لفارس نار ألف عام وقودها تعد إلها فانطفا ذلك الوقد
وإيوان كسرى انشق وارتج هيبة ومنه شرافات تعاورها الهد
ولاحت قصور الشام فيها لأمة لنور بدا منها على الأفق يمتد
وكل سماء صح فيها له من الزبرجد والياقوت قد ضربت عمد
فأشرقت الدنيا بأنوار أحمد وكم آية خصته إذ ضمه المهد
به حظيت أم الرضاع حليمة فأخصب مرعاها خصوصاً ولم يعد
فدرّت مواشيها وبان نعيمها وباينها المحل المبرح والكد
وشق لديها الصدر منه تطهراً وأخرج منه ما لإبليس يعتد
وعوض إيماناً ونوراً وحكمة ولم يك للإيلام في شقه وجد
وفي سيره للشام صحبة عمه أشار بحيرا ليس في بعثه جحد
وحذرهم كيد اليهود له إذا رأوا وصفه فاختير من ذا له الرد
وكم آية من قبل مبعثه بدت وللعجز عن إحصائها يقصر الحد
ولما أراد الله إظهار دينه
وإعزاز من يهدي وإذلال من صدوا

أسال على الآفاق وابل فضله ... ببعثة هادينا فبان به الرشد
تبيّن حيث الشرك عب عبابه ... وباب الهدى بالكفر والبغي منسد
وأظلمت الدنيا بإعراض أهلها ... عن الله إذ قالوا لخالقنا نـد
وليس يغوث غاثهم حين عاقهم ... يعوق عن الباري ولا ودّهم ود
نسوا الله جحداً واستجار وابلاتهم ... وبالله ركن الشرك لاشك منهد
فجرد منه ساعد الجد وانتضى ... من العزم عضباً لايلم به غمد
دعا الخلق إذ ضلوا إلى الله هادياً ... فريداً ولم يعبأ إذا وهن العضد
ولم يرفع الشكوى إلى غير واحد ... به تدفع البلوى إذا الخطب مشتد
فأيـده بالمعجزات التي بدت ... كشمس الضحى تشفى بها الأعين الرمد
ومنها كتاب الله وهو أجلُّها ... معـارضة حبل من الله ممتد
هو الحجة البيضاء والشاهد الذي ... محال تأتّى في شهـادته رد
لقد أعجز اللسن المقاول لم يكن ... أتوه بمثل البعض منه وهم لد
ومنها انشقاق البدر إذ رام شقه ... فأبصره الداني ومن صده البعد
لقد أجمعت أعيـان فهر لقتله ... وأحكم في إمضائه بينهم عقد
فمر بهم جمعاً فغضوا عيونهم ... وأذقانهم في كل صدر لهم شدوا
وتوج بالحصباء أعلى رؤوسهم ... فعاد حصيب القوم بدر له لحد
رمى حصيات في حنين مشوهاً ... فولوا وعن حصبائه يقصر الجند

وفي قصة الإسرا شفاءٌ من العمى ... وبرهان صدق شمسه لم تزل تبدو
وفي حفظه من كل سوءٍ دلالة ... وقد طال في إنكائه منهم القصد
وجاء أبا جهل إلى الدار وحده ... فأخزاه في إيعاده وانمحى الوعد
وأدى له حق الأراشي كارهاً ... وفي قلبه من رعب خير الورى كد
وأخباره عن محو ظلم صحيفة ... أتتها قريش فيه للعاقل الرشد
كفى الغار نسج العنكبوت وقاية ... من الله والأقوام في قبضه جدوا
وكف عن التطلاب مهر سراقة ... وذلك لما عاقه الحجر الصلد
ومسَّح ضرع الشاة من أم معبد ... فدرت وأروت بعدما كادها الجهد
له راحة بالجود يهمي غمامها ... ولم يك للملهوف عن وردها صد
وفيها لدى البأساء للبائس الغنى ... وفيها صنوف اليمن يغنى به الوفد
وفيها الحصا والزاد سبَّح جهرة ... ومنها ثمار الغرس من عامها تبدو
بها انقدت بالنور عين قتادة ... وقد ردها من بعد ما مسها الخد
ومس بها رأس الأقيرع فاغتدى ... على حسنه يزهو به الشعَر الجعد
جرى الماء من بين الأصابع فارتوى ... مراراً به جيش وقد عذب الورد
وكم فاز راجٍ بالمنى من دعائه ... وأحيا قلوباً عنه أمرضها الحقد
دعا الله في إكثار تمر لجابر ... وكان لبعض الدَّين قد قيل لا يعدو
فكال لأهل الدَّين منه حقوقهم ... وزاد بأوساق عليها أتى العد
ومن داجن والصاع أشبع جحفلا
وعدتهم ألف يزيدون قد عدوا

وما جاع غزو كان فيهم محمد إذا قلّت الأزواد يدعو فترتد
دعـا لعلي لايهي البرد جسمه فعاش ولا حرّ يلمّ ولا برد
وكم من مريض مدنف قد دعا له فعوفيَ مما كان يضني فيشتد
لأم سليم في ابنها أنسٍ دعـا ففاض عليه المال والعمر والولد
ومزق كسرى طرسه فدعا فما رسى ملكه والفرع مزق والجند
وأعلم طـه رسل باذان قتله بسيف ابنه في يوم خالطه الحد
وأخباره بالغيب لم تحص كثرة بما فيه عن إدراك أهل الحجى سد
فأخبر عن مـاض وآت زمانه ودانٍ وعصري يحجبه البعد
وآيات خير الخلق دائمة البقـا وعن قطرة من بحرها يعجز الجهد
له معجزات لو قصدت عدادها لضاقت بها الأسفار ما القطر منعد
لقد حاز أصناف الجمال جميعهـا بأوصافه الغر التي مالهـا ضد
به يتقى في البأس عند اصطدامهم وطار لنيران الوغى بالقنا وقد
له وثبات في اللقا تهزم العدى بها وثبات في الوغى دونه أحد
كريم إذا ضن السحاب بمائه يسيل على الوفـاد من جوده الرفد
عطاء الذي لم يخش فقراً ولم يكن لنائله المـدرار وقت ولا حد
قد احتقر الدنيا فخلى سبيلها وأعلى مراقي عزها عنده الزهد
وما اختار منها غير بلغة أهلها وثم الرواسي لو يشاء هي النقد
وآثر مـا عند الكريم فنـاله وقد خصه منه التقرب والود
وأعلى له بين الخلائق منصباً رفيع الذرى من دونه الرسل تمتد

أليس له بدء الشفاعة في غد وقد حارت الألباب والكرب مشتد
أليس ملاذ الخلق في ظل عزه أليس لواء الحمد ينشره الحمد
أليس جنان الخلد يفتحها له ولولاه ما كانت جنان ولا خلد
فيا خير خلق الله مجداً ومحتداً ونفساً وأخلاقا بها عرف المجد
ويا خيرة الرحمن من كل خلقه ويا سبب الايجاد للخلق إذ أبدوا [1]
ويا مرتجى العاني إذا ضاق ذرعه ويا ملتجى الجاني إذا راعه الصد
أتيت إليك اليوم أطوى سباسباً قفارا يباريني بها الخوف والكد
وفارقت أخداني وداري وجيرتي ولم يغل عندي المال فيك ولا الولد
ومالي بهذي الدار غيرك مأرب ومالي سوى فياض إحسانكم قصد
وها أنا قد أنزلت في الباب حاجتي وحاشاك ترضى أن يكون لها رد [2]
تراني كشفت الرأس أنشد واقفا قد انحل من دمعي على شيبتي عقد
أتيتك أشكو عبء ظهري بما جنت يداي فإني بالمآثم ممتد
يد الغفلة استولت على القلب عنوة فمالي إلى قلبي صدور ولا ورد
ولم تصح نفسي حيث أسكرها الهوى
وطرفي إلى داعي البطالة يرتد
وطالت إساآتي فوجه صحيفتي برسم الخطايا والقبائح مسود

---

(١) لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبب الخلق، وانما هو أفضل الخلق، وسيد ولد آدم .

(٢) لاتطلب الحاجات إلا من الله تعالى .

وقد كبرت سني ولم أر قوتي تطيق من الأعمــال مابه يعتد
فجئت بأوزاري وضعفي وذلتي أروح بلا حول ولا حيلة أغدو
وأنت لك الجاه العريض لك الثنا لك المنصب العالي من الله والمجد
فهب ليَ من فيّاض نورك نظرة ليجلى بها القلب الصدي فيمتد
وأحيى على الدين الذي جئتنا به وموتي على توحيد من لاله ند
وكن لي شفيعاً إذ أقدّم حافيــاً ومالي من الأعمال سعد ولا معد
وقل ذا عُبيد آبق جاء تائبــاً عسى رحمة المولى يسر بها العبد
أترضى تمس النار جسمي وأنت لي شفيع وذخر مستعاذ أب جد
فجد لي ببشرى كي أسر بها وقل قبلناك ياعبد الجليل لك السعد[1]
ولا تنس آبائي جميعــاً فإنهم بنوك وأولادي لهم يصلح الولد
وأهــلي وأشياخي وكل أحبتي وسامع مدحي في علاك ومن يشدو
فأول جميع القوم منك شفاعة ومنحة إسعاف بها يعظم الرفد
عليك صلاة الله يا خير من دعا إلى الله حين الشرك شد له عضد
عليك صلاة الله يامن به علا منار الهدى إذ لامنار ولا رشد
عليك ســلام الله يقفو صلاته برياهمــا تذكو العباهر والند
عليك صلاة الله ما حن شيّق لذكر الحمى واشتد بالواله الوجد
يعم بذاك الآل آلك معشراً إذاقيل من أهل التقى والندى عدوا

---

(١) مثل هذا الكلام لايخاطب به سوى الله تعالى خالق البشر .

هم الناس في كل الفضائل والسوى لهم تبع هذا هو السؤدد العد

أناجيلهم للادِّكار صدورهم لأنوارهم أعـلا محاريبهم وقد

إذا اكتحل الساهي الكرى فجفونهم

ينـابيعهـا يحلو لدى فيضهـا الورد

جوانحهم منها العلوم تفجرت من الذكر في الأسحار إثمدها السهد

ليوث إذا الهيجاء شب ضرامها وإن كر أدناهم يفر به الجند

نداهم بلامنّ يكدره ولا يخافون عدماً بالعطاء إذا مدوا

وناسكهم في البذل والفتك بالعدى غمام همى شهم سطا دونه الأسد

وأصحابك الصيد الأشاوس من لهم سوابق في الاسلام ليس بها جحد

لقد بذلوا في الله أرواحهم ولم يراعوا به قوماً ولم يثنهم ود

شداد على الكفار بغضاً وإنهم لكل ذوي التوحيد حبهم الصرد

مهاجرهم قاسى الهواجر والبلى وهجر المغاني حين أرحامهم صدوا

وأنصارهم قد آثروا عن خصاصة ومدت لنصر الدين من سمرهم عمد

وقد صبروا في الله كلٌّ وصابروا وما فات منهم في مجاهدة جهد

لهم في الوفا والنصح لله والتقى مقامات صدق ليس يبلغها العد

ولا سيّما أهل الخلافة إنهم لخمستهم في الفضل ليس لهم ضد

جزى الله عنا كل صحبك بالرضى وعترتك الأطهار ما سبح الرعد

وهاك رسول الله مني فريدة بها زان جيدي من مدائحكم عقد

إذا صح للمملوك منك قبولها فمن فضل ساداتي به يسعد الجد

☆ ☆ ☆

ومما قاله أيضاً رحمه الله تعـــالى ، مؤرخاً لولادة ابن الشريف محمد بن عوف ، وذلك باشارة من الشريف في ذلك ، وقد رفعت إليه عدة تواريخ في عدة مقـــاطيع لأدباء مكة المشرفة ، فما ارتضى شيئاً منها ، لأنها كلها جـاءت على ما اعتاده أهـــل الحرمين ، من استخراج زيادة السنين ، والحاق النقص في التاريخ على طريق المعمى،وقد وقع في جميع تلك التواريخ أيضاً ،وما ارتضاها لكونها غير مطابقة لمراده،فأشار إليه في ذلك فقال هذا المقطوع ، وعمل فيه تاريخين ، أحدهمـــا في بيت والآخر في شطر ، كما هو مسطور، وهذا هو : سيدنا منحك الكريم من فضله بامتداد لطائف الامداد ، وقرن كل مولود لك بطالع السعادة والإسعاد ، آمين . بعد إهداء عاطر أزهار التسليم ، فالمنهي إلى رفيع ذاك الكريم ، أنه لمـا اكتسينا من لباس المسرة بمفوفات البرود ، واكتحلت العيون قرة بيمن غرة هــذا المولود ، وهزتني أريحية الإنس إلى نظم يتكفل من تاريخ ميلاده بالافادة ، فنظمته مشعراً بيمن طلعته وفأل السيادة ، فجاء لعرف امتداحك نافحاً وبحسن التاريخ صادحاً ، وهو هذا :

مـاهز ملك عطفه فرحـاً بمنتصر البنود

بأسر من بشرى بمو لود لواف بالعهود

ندب تسنم من ذرى العليـاء ممتنع الصعود

قرم شأى بفخـاره صيد التهائم والنجود

من حاز أخلاقاً ينـا فح طيبها الروض المجود

يقظـاً يظل وهمّـه تهنا الرعـايا بالهجود

لو كف كفُّ المزن تلـ ـقى كفه طبعـاً يجود

وفى الامـارة حقهـا عدلا وإرهاباً وجود

فـأجـاد أبنية العلى وأضاء أندية السجود

هذا الشريف المرتضى   زانت مكارمه الوجود
هذا ابن عون الملتجى   من سيد أو من مسود
يا مرتجى العاني ومن   تخشى وقائعه الأسود
يهنيك نجل ماجد   قد جاء مقتبل السعود
برٌّ زكا فرعاً كما   طابت ينابيع الجدود
تاريخ مولده أتى   فألاً إلى يمن السعود

١٢٤٩ هـ

عبد المعين ابن الشريف   محمد عون يسود
سر المحب لأنه   نجل يغم به الحسود
سد زد أقل دم فزوطل   جد عز نل ما اخضر عود
لازال ربعك آهلا   ببنيك منتجع الوفود
ما افتر ثغر الزهر مبتسماً   لقهقهة الرعود

أقول : وقد اقترح على الوالد أخوه في الله ، الشريف يحيى ابن الشريف غالب تشطير هذين البيتين وتخميسها ، قال : فأتحفته بوجهين وجيزين ، أحدهما للخاصة الأكياس ، فألبستها حلتين من أجناس الجناس ، وثانيها أقمته للعامة نير النبراس ، فكشفت عن وجهه قناع الالتباس ، ثم ألحقتها بالتخميس النفيس، على أني لم أرضه من كل وجه لهذا الرئيس ، فهذا الأول :

إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم   فأعرض رقيق صباباة الصبابات
مفاكهاً بثمار القول عن ظرف   بما تحدثت من ماض ومن آت

ولا تعد لحديث إن طبعهم يأباه واعرف مداراة المدارات
كل امرىءٍ نابه وقت شمائله موكل بمعاداة المعادات

وهـذا الثاني :

إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم فانثر لهم أفنان المسرات
وخض بهم في فنون الفضل في ظرف
بما تحدثت من ماض ومن آت
ولا تعد لحديث إن طبعهم يمله وهو ملفوظ الثنيات
وكل شخص له إدراك منتقد موكل بمعاداة المعادات

وقال مخمساً

البس لخلانك الأدنين ملبسهم وواسهم وأنر بالفضل مجلسهم
تسودهم وترى في الحال أكيسهم إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم
بما تحدثت من ماض ومن آت

فاختر بنصحك والافضال نفعهم واعمر بارشادهم للخير ربعهم
وإن ترد تكسب الآداب جمعهم فلا تعد لحديث إن طبعهم
موكل بمعاداة المعادات

وقال أيضا رحمه الله تعالى لغرض مـا ، ومضمنا الشطر الأخير للسيد علي صدر الدين ابن معصوم :

مـالي أهين النفس وهي عزيزة   طلباً لوصل الخل وهو مجانبي
قد كان لي وفق المراد فحاد عن   عهد الوداد إلى سبيل العاتب
فلألوين عنان شوقي كارهاً   إن غض طرفا عن رعاية جانبي

وقال أيضـــاً رحمه الله تعالى :

إني إذا ما الخد صد بوجهه   عني وقابلني بفرط ملاله
أوليته مني الصدود ترفعاً   وأرحت نفسي من مسيئ فعاله
كيف الوثوق بمن يميد به الهوى   ليمينه كالغصن أو لشماله

ثم بعد ذلك ، اقترح عليه عالم مكة في عصره ، الشيخ عبد الله سراج ،أن ينشىء له كتاباً لأحمد باشا لما توجه من مصر إلى مكة لحرب عسير ، فأتحفه وقال : إن أطيب ما تحلت به صدور رسائل الأفراح ، وأعذب مـا وشمت به وجنات طروس الصدور للانشراح ، ســـلام نظمت فرائده يد الاخلاص في سلك الانتما ، وثناء أشرق في وجه الاختصاص فنما ، ودعاء نشرت له أكف الابتهـال في ملتزم الاجابة ، ورفعته خلوص الأفئدة على معارج الانابة ، ببقاء سعادة من بسط للخليقة موائـد بره وامتنانه ، ونشر على البسيطة مطارف عدله وإحسانه ، الهمام الذي وطئت أقـدام همته هامات الفراقد ، واستأصلت صوارم نخوته شأفة كل باغ ومارد ، والقمقام الذي تقرطت الأسماع بانواع مدحه وصنوفه،حيث قلد أجياد الأجواد بمفصلات معروفه؛ حامي حوزة الحرم بآبتي السيف والقلم ، والمفيض عواطف الكرم على مــــاطف الأمم ، حضرة أفندينا ولي النعم ؛ لازال التأييد الرباني حليفه وقرينه ، والمدد الالهي ناصره ومعينه ، آمين .

غب مديد الدعا ومزيد الحمد والثنا ، فالداعي لتحرير نميقة الإخلاص ، وتحبير ذريعة الاختصاص ، هو أنه لما تشنفت الاسماع بشروق شموس سيادتكم المضيئة ، في أفق

هذه البقاع الحرمية ، كان ذلك أغبط خبر غمر بواضح المسرات جميع القلوب ، وضاهت أفراحنا بعودكم فرح العود من يوسف علي يعقوب .

لو أن روحي في يدي ووهبتا لمبشري بقدومكم لم أنصف

ولقد زانت الدار بخير قدومكم قبل العيان ، وعد ذلك من النعم التي يجب عنده شكر المنعم المنان :

زهت بقدمك البطحاء ضاحكة ضحك الرياض لغيث جاء يطرد
كأن عودك فيها وهي والهة عود الكرى لعيون مسها الرمد

وما كان ودي أن أنيب طرسي عن نفسي ، بل المسابقة إلى الخطوة بلقاك شرفي الذي به تشرق شمسي ، وإنما عوائق الأقدار تحول بين الفتى وبين ما يختار ، فأسأل الله تعالى أن يطوي شقة البين ، وأن يبدل الأين بالعين ، فتقر بشريف رؤيتكم العين ، ولا زالت أيامكم باسمة الثغور ، محوطة بعنايتكم جميع الثغور .

آمين آمين لاأرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

وكتب له معها ورقة ، وهذه صورتها : أخي وحبيبي ، هذا ما وقع في حبائل فكرتي ، على غير أهبة من رويتي ، وقد خامر النوم مقاتي ، فلم أصح في يقظتي ، وأردت الولوج إلى السجع من بابه ، لأكون المصلي بالتغريد في محرابه ، فإذا النوم هو السابق إلى الغاية ، وقد اشتد ساعده للرماية ، فأوتر قوسه ، وبلا شفع رمى البطاقة ، ولم يفرض لي رفع سهمه ، في باب نصيب ولا طاقة ، فإن لذ طعم اقتنصه طبق الارادة ، فتلك الحسنى بلا زيادة ، وإلا فالحمد في نصب الشرك مبذول ، إلى أن نقتنص شوارد السول ، هذا وقد خمنت أن صاحب الرسالة يوحى إليه نبأصحبه من إزماع التوجه لامحالة ، وهم زمر وأحزاب لاشورى في رحيلهم ، وفي العصر يمتطون مرسلات الأزمة العاديات بهم إلى بلد نزيلهم ، وقد قنع بالوشل عند إرادة النهل ، والوقوف بالأطلال عندما جد

صحبه بالترحال ، فمهدت له ركن الاعتذار بعوائق تمادي الاقدار ، فخذ منها ماصفا ودع ما هفا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أقول : وقد التمس من الوالد أيضاً شيخي محمد سعيد القدمي أن ينشيء خطبة لولد تلميذ المذكور لما أراد تزويجه ، وأنشأ قائلا : الحمدلله ذي أدر على المؤمنين عواطف فضله وبره ، وهدى كل صديق إلى مناهج التوفيق ، فأعلن بحمده وشكره ومن تعالى بكمال دينه لاتمام نعمته الشاملة ، وخص من شاء فأنعمه متفاضلة ، بسط للعباد موائد الكرم والإحسان ،فألبس جلا بيب السعادة عبداً اتسم بسمة عبد الرحمن ،أحمده سبحانه أن رفع رتبة هذا البيت في الشرف الباذخ البالغ حد المزيد ، وأعلى مقام ابراهيم في السادات ، فكان سعيداً في أمن الخائف الطريد ، وأكرمه بالدين الحنيف ،وألبسه خلة خلته وبشره بصلاح زوجته ومن ذريته ،فبلغوا من الفضل بفعل الخيرات ، واقام الصلاة منتهى المأمول ، وطهر بالعفاف والصيانة مريم العذراء الحصان البتول ، وأشكره على أن جعل نبينا محمداً سعيد الابد عمود نور ذلك البيت المطهر ، وميزه ببدء الرسالة وختامها ، فهو الأول وإن كان في الصورة المؤخر ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد المتعالي عن الصاحبة والولد الذي أقام على وحدانيته وكمال قدرته كل آية كبرى ، فخلق من المـاء بشراً وجعله نسباً وصهراً ، وأشهد أن سيـدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آ له وسلم عبده ورسوله ، وحبيبه وصفيه وخليله ، فضله على جميع مخلوقاته بعلو مقاماته ، فلا أنسى القائل : « حبب إلي من دنيا كم الطيب والنساء » أرسله إلى كافة الخلق وبحار الضلال زاخرة فائضة ، فحملهم في سفائن النجاة مستدلاً بالآيات البينات ، التي أبت المعارضة ،فأنزلهم في حمى الرفاء والأمن والراحة ، ومنعهم بحصن دينه القويم من غارة الاستباحة ، وشرع لهم شرائع مواسم الأرباح ، وألهمهم جدع أنف الغيرة بسنون النكاح ، فأوردهم مناهل المسرة والأفراح ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً يدومان مقترنين اقتران القبول بإيجابه . أما بعد ، فإن الله بلطيف حكمته ، ومنيف جليل نعمته قـد أقام النكاح أمنع جنة يتقى بها بواغث الفتنة ، وجنة يدعو إلى عذب غيرهـا (اسكن أنت وزوجك الجنة) وتثمر

دوحته المودة والرحمة بين الزوجين ، ويجنيان من فروعهـا ثمرة الفؤاد وقرة العين ، وهو المنهل الذي مزجت بالمسرة موارده ، وفاز باصابة عين الصواب قاصده ، والحصن الذي تقصر عن مناله أيدي الحرج ، ويعتصم به في المصرع الذي هو مـابين معترك الأحداق والمهج ، والسلم الذي يرتقي به المتقي إلى كنه تطلابه ، ويناديه رائد المنا هنيئـاً لمن أمسى سميراً لأحبابه ، وحسبك في فضله ماجاءت به الآيات القرآنية ، ووردت به الأحاديث النبوية ، فقال تعالى : ارشاداً لشرب كؤوس زلاله ، واحتسا (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وقال تعالى إعلاماً بنتيجه مقدماته ، ترغيباً لكل آمل (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل) وقال تعالى ممتنا بايضاح بعض ماله من نعمة (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو الوارث العلم اللدني « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » وقال ﷺ ، تبياناً لأهداب فضله ، الذي يجتذب « ركعتان من المتزوج أفضل من سبعين ركعة من العزب[1] » وخص ﷺ ببعض حكمه المحكمة الواضحة ، فقال : ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيراً له من زوجة صالحة » إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الشهيرة ، التي جلت وجوه فضائله على منصات التحقيق ، فعادت واضحة منيرة ، ولما تحلت الأسماع من فضله أقراطا وشنوفا ، وأينعت رياض محـامده بأزهار فوائده أنواعاً وصنوفا ، مال إلى التحلي بعقد عقده الثمين ، واستجلى بنور مصباحه المقتبس من جذوة سنن الصادق الأمين ، فتى الفتيان والفتوة ، ومنبع عين الكرم والمروءة ، ذو الأخلاق التي تحاكي الزهور بهجة ونضارة ، والاعراق التي تنافس البدور رفعة وإنارة ، الشاب الذي نشأ على عبادة الله ، واتصف بسمة المنيب المخبت الأواه ، وزر أزراره على العفاف والصيانة ، وبلغ من الفضل إلى أعلى مـكانة ، الآخذ بأزمة السجايا الحميدة ، فاستوسقت له المزايا الفريدة ، الوالد الأعز عبد الرحمن ، كان الله له حيث كان ، ابن الشيخ المنتدب إلى الترشيح لكسب الفضائل وهو يافع ، والمتجلبب حلل زينة العـلم النافع ، الفائز في قسمة المحامد بالحظ الاوفى ، والوارد من مشارع المكارم المنهل الأصفى ، ذي المناقب العديدة ، والآراء السديدة ، الكاشف بنور فهمه الوقاد ، حنادس الاشكال

---

(١) لايصح له سند .

المشار إليه إذا حار ، المسترشد وقال :أي الرجـال صديق سراة أسرته كمال بهجة عترته ، فرغب بمخطوبته الدرة الثمينة الفاخرة ، والحرة المصونة الطاهرة الفائقة بحلية الحيـاء والإجلال ، على أترابهـا ، المحتجبة من العفاف والصيانة بأمنع حجابها ، المرأة المباركة المصونة ، مريم الزاكية الميمونة ، ابنة الشيخ المهذب الكامل الغطريف ، ذي القدر الباذخ المنيف ، إنسان عين أعيانه ، وصفوة أمثاله وأقرانه ، من ارتضع ثدي المروءة والصلاح والطاعة ، وابتضع من متاجر الفلاح أجل بضـاعة ، الغني عن الاطناب في مناقبه وألقـابه ، بمـا هو مستفيض من علي جنـابه ، المتصف بكل وصف حميد جميل ؛ الأمثل الأنبل الأسعد اسماعيل ، وقد أذن بتزويج ابنته المشار إليهـا ، على كتاب الله وسنة رسوله المعول عليهـا ، وعلى مهر مقرر معلوم وهو بينهم معين مرسوم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين ؛ إنه بنا رؤوف رحيم، وصلى الله على أفضل الخليقة، ومطلع شموس الشريعة والحقيقة ، سيدنا ونبينا الصادق المصدوق، وعلى آله وصحبه الذين طلعت شموس مفاخرهم فأخفت من مفاخرهم كل بروق ؛ وسلم تسليماً . اللهم إنا رفعنا إليك أكف الابتهال والضراعة ،مستشفعين اليك بمن أكرمته بمنصب الشفاعة ، ناصبين أقدام ذلنا بين يديك، طاوين رفع حاجاتنا إلا إليك ،نناديك :ياالله ، يا من يعلم خائنة الأعين وما يختلج في الأوهام ، يا من أفاض على عباده واكف الانعام ، نسألك أن تنشر ذكي عرف الصلاة والسلام على من نوهت بذكره في أجل مقـام ، وضوعت به لرسلك مسك الختام ، وأن تجعل هذا العقد ميمون المبدء والعاقبة ، مقروناً بيمن الأثر وحسن العاقبة ، وأن تمنح صاحبه بمـا مننت به على أمثالها من المودة والرحمة والألفة،وتجمع بينهما على رشد وخير وأسعد حال وأرفهه، وأن تقر عيون أحبابنا الحاضرين بغايات الأماني ، وأن تحبوهم بما يمدهم أسباب بلوغ الخير والرضى والتهـاني ، وأمطر علينا وعليهم من بحر عطائك غوادق الارزاق ، وكف عنا جميعاً يد الأسواء وموجبات الاملاق ، وقابلنا بجبر القلوب في كل حالة ، وأنل كلا منا مناه وآماله ، بفضلك واحسانك فإنك ولي التوفيق ؛ والهادي الى سواء الطريق ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ثم أتبعتها بأبيات كعادتهم المألوفة :

بشرى بعقد له باليمن إشراق وأوج مطلعه بالسعد براق
عقد به الرشد والتيسير منعقد له يمدهما عهد وميثاق
له المسرات والأفراح قدشرطت وما لقيد لزوم الشرط إطلاق
يا حبذا عقد أرباح أقيم له على الرفا والبنين الغر اطباق
في أفق محفله بدر السعود بدا كذا لواء الهنا والبشر خفاق
لله مجلس هذا العقد حف به صيد كرام لهم في المجد أعراق
من كل أبلج وضاح الجبين أخي نفس لكسب الثنا تهوى وتشتاق
فحاضروه هم السادات كل فتى في وجهه من مياه الفضل رقراق
بحار علم بهاليل يضيىء على أجيادهم من حلي الفضل أطواق
جيران بيت إله الخلق خص بهم كل إلى غاية التشريف سباق
لا عيب فيهم سوى من حل ساحتهم إن شط جد به للعود أشواق
حباهم الله بالحسنى وجاد على رباعهم من سحاب الخير مغداق
ونال أرباب هذا العقد كل منى عليهم بركات الرزق تهراق
وعمنا يا إلهي بالرضى كرماً أليس فينا إلى جدواك إطلاق
ولا تكلنا إلينا أو إلى أحد سواك يامن له بالعبد إرفاق
وامنن علينا بيسر منك متصل فيتبع الرزق فينا منك أرزاق
وابعث صلاة وتسليماً لنشرهما بقطب دائرة الأكوان إعلاق

والآل والصحب ما غنت مطوقة　　وقام بالعرس للأفراح أسواق

ومما قاله أيضاً رحمه الله تعالى وقد سأله جندي من أجناد النظـــام وهو جالس في الحرم المكي أن ينظم أبياتاً فيها تشجير باسم زوجته ، ولها اسمان سلمى ، وزهراء ، وقد طالت فرقتهما مدة ، فاشتاق إليهـا كثيراً ، فاعتذر من الوالد ، وامتنع أن ينظم له لكونه غير لائق بجناب الوالد أن ينظم لهذا الجندي ، فعاوده ثلاث مرات في ثلاث أوقات وهو يقبل رأسه ورجليه ، ويسأله برب هذه الكعبة ، ويشير إلى البيت المشرف ، فلم يجد منه بدا ، فأملى عليه ارتجالا أربعة عشر بيتا تشتمل على تشجير : أياسلمى أيا زهرا ، لاغير ، فزعم الجندي أنه أرسل الأبيات إلى مصر ، فكانت سبباً لقدوم زوجته عليه بأهلها إلى مكة المشرفة ثم إن الوالد ذيل تلك الأبيات بتشجير قولنا : «مشوق القلب لن يبرا» فحصل من التشجير هذا البيت المفرد من بحر الهزج وهو .

ايا سلمى أيا زهرا　　مشوق القلب لن يبرا

وقد جاء تأريخا لنظم الابيات ، وهو عام حجنا سنة ١٢٤٩هـ ، فحصل من مجموع ذلك هذه القصيدة الغزلية الرقيقة وهو قوله :

أحبابنا والذي جلت له الأسما　　ما اخترت من بعدكم ليلى ولا أسما

ياليتكم إذ أخذتم قلب مغرمكم　　رهناً لديكم أخذتم بعده الجسما

أصبحت فيكم كئيباً والهاً دنفا　　وإن في القلب من طول النوى كلما

سل ما جرى للمعنى طول فرقته　　وما دهته الليالي من هوى سلمى

لام العواذل لما أن رأوا جزعي　　والأذن عذلهم في حبكم صما

مالي معين سوى دمع أكفكفه　　ولا أنيس به أستدفع الهما

يرثي لي الكاشح المرتاب حيث يرى　　ما بي من الوجد ما أعمى وما أصمى

إني إلى ذلك الثغر الشنيب لفى حر الأُوام ومن ذاق الهوى يظما

يصبيني البرق مصرياً لمشبهه بريق تلك الثنايا في اللمى الالمى

أذكى غرامي به خال بوجنته غريق حسن له ماء البها عما

زفير صدري من طول الفراق علا والقلب من بعدكم يستلزم الغما

هل لي إلى قربكم وجه أؤمله فالبعد لم يبق مني في الهوى رسما

رمتُ التصبر والأشواق جاذبة روح الشجيّ إلى مغناكم رغما

آليت لا أبتغي في خلتي عوضاً وقد رضيتُ بهم في الدهر لي قسما

من لي بمن خامرت لبي محبتهم فما صحوت ولم أستقطر الكرما

شرخ الشباب تولى والهوى انصرمت أيامهُ وفؤادي للهوى أما

واهاً لقلب شجٍ ولت شبيبته وأم صبوته لم تعرف العقما

قل احتيال امرىءٍ أولاه شافعه إلى الملاح جفاءً يوجب الصرما

أنا المشوق الذي ظلت مدامعه تهمي ومن سفحها خدي بها يدمى

لي في الغرام أعاجيب وأعظمها هذا التصابي وضوء الفرق قد تما

قاسيت في الحب ذلاً لست أعرفه والوعر ذو عزة يستوطىء الهضما

لا واصل الله أسباب البعاد ولا رعى الذي صدكم عني ولا جرما

بذتم وعهد وداد الصب أحكمه شوق عليه قضى أن يألف السقما

لله منزلنــا بالغور قد درست　　أطـلاله وأنطوت أيامه وهمـا
نلنا به جمع شمل الأنس في دعة　　لانتـقي من وشى في الحب أونما
يادار أنسي التي في ربعها اتسقت　　حظوظ نفسي لها كل الهنا ينمى
بالله هل عهدنا بالشعب مرتجع　　وهل يعيد لنـا عذب اللمى اللثما
رعياً لتلك الليالي السالفات لقد　　أعطيت فيها بمـا أملته الحكما
إذا ذكرت زمان القبلة انتثرت　　أسلاك دمعي ولم أملك لهـا نظما

* * *

ومما نظمه الوالد أيضاً على لسان بعض أصحابنا المكيين ، مجيباً عن قصيدة وردت إليه من صنعاء اليمن ، من عند السيد عبد الله بن عباس الصنعاني ، ابن عم إمامها، والحال أن صاحبنا المذكور طالب علم ، إلا أنه ليس له في النظم يد ، فالتمس من الوالد أن يجيب عنه السيد المذكور ، فأجابه على البحر لا القافية ، لأن القافية تقدمت فيها قصائد بينهما ،أجاب عنه بعض أدباء مكة ، ولم يرتض الصنعاني الجواب، فنكت على المجيب في قصيدته،فلهذا التجأ الى الوالد ليجيب عنه ،ليسلم من تنكيت الصنعاني،فأجاب عنه الوالد بهذه القصيدة الغرا ، التي تجد ثغر البلاغة من أسطارها مفترا ،وهي هذه :

عليّ يد للدهر واجبة الشكر　　بغفلته عن وصل رودٍ حوت أسري
أتتني وقـد شط المزار فدونها　　تنائف من فيح ومجهولة قفر
فمنّـت ولـكن بعد طول تشوف　　إليها وفرط الـكد يغني عن العذر
بزورتهـا زاد الغرام بحبهـا　　وحازت بها رق المشوق الفتى الحر
مهـاة براهـا الله في الحسن آية
هي الصبح أضوت أفق معتكر الخدر

لها مثل ما شاءت من الحسن شطره ... به ضاء وجه العذر للهائم العذري

تميس كما ماس النزيف من الهوى ... وتعطو كما يعطو الأغرّ من الذعر

عِذابٌ ثناياها عَذاب محبها ... إذا صدّ عن ترشاف مبسمها الدري

من الخفرات العين هيفاء رخصة ... لخلخالها والخصر يسر لدى عسر

لقد أرشفتني صفو راح حديثها ... به طاب لما طال سكري بلا خمر

وبت بها قد غازلتني من البها ... «عيون المها بين الرصافة والجسر»

ومذ أرسلت للسوق سود ذوائب

جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري

ودبت إلى خدي عقارب صدغها ... تمج عليه المسك من إبر الشعر

وقد كنت قبل اليوم أرقب وصلها ... مراقبة المحتاج للسمح المثري

حليف غرام لا أبوح ببعضه ... فصرت عن اللاحي بحصن من السر

يظن سهيري سلوتي لتجلدي ... فإني عصيٌّ الدمع في طاعة الصبر

لقد أنعشت إذ أقبلت روح والهٍ ... صبور على نائي الحبيب بلا هجر

فعوذتها «بالفجر» من شرّ كاشح ... ومن خدع الواشين بالشفع والوتر

وفاح لها سفح السويقة مندلاً ... كأن به مرّ الهمام أبو النصر

هو الندب عبد الله قرم حلاحل ... هو السيد المفضال في أزمة الدهر

له السبق في مضمار كل فضيلة ... ومن ذا يجاري فضل باقعة العصر

كريم على أوج المجرة مفخراً ... تلقاه عن أيدي الكرام بني فهر

إذا وردت أفكاره بحث مشكل | تكفل في ري العطاش بلا نهر
مدارك كشاف المعالم تنجلي | بفطنته الوقادة الحدس عن خبر
سجايا ابن عباس حسان صحيحة | أحاديثها بالفضل موصولة الذكر
مطهر نفس قد تزكى تجارها | فقيمتها بالنقد غالية السعر
على علم رفع ابتداء علائه | بمحتده ظرف المعارف والفجر
دلائل إعجاز الفتى للسِّوا بدت | بتلخيصه إيضاح مشكلة الأمر
يصدق إيجاب الكمال لذاته | نتائجه في العلم مسلوبة الحصر
لنخوة وضاح المحيا لدى الندى | بسالة عباس الفوارس في الكر
لقد حاز من غُرّ المناقب قصده | فأربى لها ضوء على الأنجم الزهر
كريم إخاء ليس يخفر ذمة | لمن عهده بالود ممتنع الخفر
فيا ابن خيار الخلق يا خير ماجد | له من صفات المجد ما يعجز المطري
لقد شرفت منك الغداة فريدة | تحلى بها من محض إحسانكم نحري
هي الدر أيدي «الجوهري صحاحه» | وإنك قاموس الندى معدن الدر
إذا خلعت صنعا الفخار بوشيها | كساها فخاراً وشي نظمك والنثر
أياديك يا مولاي أثقل عبؤها | لساني فما أدى مرادي من الشكر
فقمت وصحبي ننتقي درر الثنا | عليك فوافاني بها السيد البصري
فهاك رداحاً غادة هاشمية | أتتك من البطحاء مسكية النشر
تزف إلى ربع المروءة والندى | وليس لها إلا القبول من المهر

وفي مثلها دم في نعيم وغبطة — تلازمك الأفراح مرتفع القدر
منال المنى ما حفَّ بالبيت عاكف — وباد ومال الطائفون إلى الحجر

* * *

ولما خرجنا من مكة ، كان الشيبي مستعدا لتوديعنا والخروج معنا إلى خارج مكة ، فوافق خروجنا خروج أحمد باشا لوداع باشا محمد الحاج الشامي ، فاستصحب الشيبي معه كما كان عادته ، ولما رجع تفقد الوالد فلم يجده فأسف الشيبي على ذلك ، فأرسل إلى الوالد في جدة كتاباً يعتذر فيه بخروجه مع الباشا وهو صادق في عذره ، وكتب له الوالد جواب كتابه ، وضمن الجواب هذه البيتين ، فقال :

يعزُّ على نفسي فراق محمدٍ — حبيب أرى ودي له بعض واجبه
فلم أستطع توديعه غير أنه — بتوديع عين البيت توديع حاجبه

* * *

ومما قاله رحمه الله تعالى مفتخراً بما من الله به عليه ومنحه به من أنواع البر والاحسان ، وأبرزه في حلبة البلاغة ، وذلك لأمر اقتضاه الحال ، ولكل شيء سبب ، فقال :

إني أقول وصدقي في الورى بانا — وكم أقمت على ما قلت برهانا
غذيت ريا بدر الفضل من صغر — وعشت متخذ الآداب قمصانا
والشعر فني وإني اليوم مالكه — أجيد فيه القوافي الغرّ ما كانا
أظل أقطف من أزهار جنته — ورداً جنيّاً نجاه الويل هتانا
إن غاص فكري بأبحار القريض فما — أرضى من الدر إلا الفذّ إذ زانا
فكم تحلت بنظمي كل غانيةٍ — عقداً أفصله دراً وعقيانا
من ذا يسابقني في رحب حلبته — وقد شأوت به شيباً وفتيانا

وإن نثرت فما عبد الحميد يدانيني وإن حاز بالإسهاب إحسانا
لقد ورثت أفانين البلاغة عن أبٍ فجد إلى أن جزت عدنانا
أليس قومي المقاويل الذين على لغاتهم أنزل الرحمن قرآنا
فلا ترم بالأماني درك غاية من حاز الفصاحة عن فرض وماماتا

* * *

ومما قاله رحمه الله تعالى ، مادحاً بغلة أولاد خليفة بن سلمان آل خليفة وذلك بعدما تكررت منهم الرسل في طلب التأريخ ؛ فما استحسن ردهم فقال :

حف الهنا والبشر بالسلطان فلك هو الميمون عالي الشان
فلك يجاري الريح سيراً إن علا متن الخضم يفل كيد الجاني
يبدي التعجب من يرى إحكامه أو حسن صنعته لدى البنيان
لبني خليفة الجحاجح من سموا من كاهل العليا أعزّ مكان
السابقين إلى المكارم من لهم همم بها ردت يد الحدثان
عشقوا الثناء فواصلوا أسبابه بالعدل أو بالجود والمران
دامت سعادتهم ومدّ بفلكهم لهم السرور ونصرة الأعوان
قد جاء في تاريخه عز حلا والرشد مقرون به السلطاني

سنة ١٢٥١ هـ

ومما قاله رحمه الله تعالى مؤرخاً أيضاً بغلة أولاد محمد بن صقر المسعود ، لما بينهما من الصداقة والأخوة في الله ، وهو هذا :

بني السامي محمدْ إبن صقر لكم بشرى فلطف الله حفا
بفلك راق إحكاماً وصنعاً له التيسير واليمن الموفّى

يؤرخه بحسن الفأل قولي   مديد الخير عدّ له المصفى

★ ★ ★

ومما اقترح على الوالد محمد الثاقب تشطير هذين البيتين ، فأسعفه بمراده فقال :

عداي لهم فضل علي ومنة   فقد أرهفوا مني شبا العزم ماضيا
بهم شدت أركان الفضائل جاهداً   فلا أبعد الرحمن مني الأعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها   وربّ لبيب يطرق الأمر ساهيا
ومالي لا أكسوهم حلل الثنا   وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ولما شطرهما راق له تخميسها فقال :

مجازات ذي الإحسان والعرف سنة   وكل كريم للوفاء مظنة
وإني أرى والعقل للمرء جنة   عداي لهم فضل علي ومنة
فلا أبعد الرحمن مني الأعاديا

أما إنهم أبدوا أموراً حذرتها   وما رابني منها انبعثت أبتها
ومذ زاحموني في المكارم حزتها   هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها
وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

★ ★ ★

ومما قال في تشطير بيتين ارتجالا وذيلها بستة أبيات ، وأملى الجميع على من أنشد البيتين ارتجالاً فقال :

يارب قد عجز الطبيب فداوني   مما أكابد من أذى إسرافي
مالي سوى الرب بك اعتصمت فحفني   بخفيّ لطفك واشفني ياشافي
أنا من ضيوفك قد حسبت وإن من   ظني الجميل بجودك استعطافي

فاجعل قراي العفو عن ذنبي كذا　　شيم الكرام اللطف بالأضياف
إني استجرت بكهف عزك فاحمني　　من شرّ نفسي والعدو الجافي
وإلى سواك فلا تكلني لحظة　　وامنن علي بدائم الإسعاف
ولقد وعدت إجابة الداعي　　ومنك الوعد لا يفضي إلى الاخلاف
فاقبل رجاء فقير فضلك إذ أتى　　متنصلا يرجو العطاء الوافي
عودتني منك الجميل فوفِّه　　يا خير من يرجوه عبد عافي
من ذا سواك أنوط آمالي به　　حسبي غناك وأنت نعم الكافي

* * *

أقول: وقد رأيت في الإحياء بيتين أعجبني معناهما، فالتمست من الوالد تشطيرهما، فأسعفني بذلك، فازدادا حسناً إلى حسنها، إذ به تمت الفائدة كما ترى قوله رحمه الله تعالى، فقال:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت　　ورب أمن أتى في طيه الحذر
بالجهل أنفقت وقت الجد في لعب　　ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها　　وكم بدت لك في أحداثها العبر
بادر زمانك واغنم كل صالحة　　وعند صفو الليالي يحدث الكدر

* * *

وقال وقد عن له معنى فنظمه، وكل الأربعة الأبيات له، وفي كل بيت من هذه الأربعة الأبيات كلمة حكمة فتأملها:

عشقت فريداً في الجمال محبباً　　إلى كل قلب والجميل حبيب
خلائقه الحسنى تريك نجابة　　إلى ظرف والحسن فيه ضروب
لقد رمت منه الوصل ظناً بأنه　　قريب وما كل الظنون تصيب

فعـاملني بالعطف من غير ريبة وكل أريب لن تراه يريب

* * *

أقول: وقد اقترح عليه بعض بني عمه تخميس هذين البيتين ، فأناله مراده وجاء طبق الارادة ، ثم بعد التخميس ، شطرهمـا له ، أحسن الله حاله ، فقال في التخميس ساعده الله تعـالى :

لمن أتشكى والطبيب يمين وداء الهوى تحت الشغاف كمين
وللعين في سقم المحب تعين عيون من السحر الحلال تبين
لها عند تحريك الجفون سكون

فواتن تلك الدعج دائي فما الدوا بها كحل الظبي الأغن قد انطوى
وكيف خلاص الصب وهي بلا ارعوا
إذا أبصرت قلباً خليـا من الهوى
تقول له كن مغرمـا فيكون

فقال رحمه الله تعالى مشطراً لهما :

عيون من السحر الحـلال تبين بهن المواضي والجفون جفون
تريش سهاماً من لحاظ وإنمـا لها عند تحريك الجفون سكون
إذا أبصرت قلباً خليا من الهوى عليه قضت : إن الصبابة دين
وكل لبيب في الهوى طوع أمرها تقول له كن مغرمـا فيكون

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إني أقول فخذ مقـال مجرب ليس الصدوق الثقف كالمرتاب

مافي المصائب والذي فلق النوى رزء يوازن فرقة الأحباب
أواه واحراه من فقد امرىء وفق المنى ونهاية التطلاب

* * *

أقول: ولما اشتهر بين الأدباء بيتا جرير في الغزل ، وأنهما أغزل ماقيل في الغزل ، أحب الوالدأن يشطرهما ، ففعل ،وجاء تشطيرهما مطابقا لأصلهمافي الرقة والجزالة ، وهذا أصلها ، قالا :

إن العيون التي في طرفها حور هن الشقاء لقلب بالهوى دانا
تلك الصحاح المراض الفاتنات لقد قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به بنظرة تدع الخريت حيرانا
يا للرجال يقدن الأسد راغمة وهن أضعف خلق الله أركانا

* * *

أقول : وقد اقترح عليه أيضاً تشطير هذين البيتين ، فقال مشطراً لهما فتأمل ،فقال:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر به يهتدي السارون حيث تضيع
ورم خلقا في الحسن كالبدر إذيرى على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه وليس به للانتفاع نزوع
وذو الكبر نكس كالبعوض إذا علا
على صفحات الجو وهو وضيع

* * *

وفي سنة ١٢٥٣ وردالوالدالبصرة ، واجتمع بواليها ووالي بغداد علي باشا بعد فتحه المحمرة، فرفع منزلة الوالد عند لقائه ، ولم يزل ذلك دأبه معه من الوقار والكرامة ،وحسن الالتفات إليه وأمضى له جميع مطالبه ، من إزالة ما على بعض أملاكه من الخراجات

وسائر التعديات ، وطولب الوالد بامتداح الباشا ، وتهنئته بذلك الفتح ، وألح عليه في ذلك ،ولصدور هذا الاكرام وحسن المعاملة له بأتم الاحتشام ، أنشد فيه هذه القصيدة مادحـــاً ومهنئاً :

بشرى بفتح مبين نير المـدد ... به أضاءت نواحي الملك بالرشد
فتح به ساد أرجاء العراق على ... كل النواحي وأبدى بهجة البلد
أضحت به السنة الغراء مشرقة ... بنور نصرتها كالعين عن رمد
سقى العداة كؤوس الذل مترعة ... فلم يزالوا سكارى الويل والكمد
وهز عطف الموالي نيل بغيته ... فاختـــال بالعز في أثوابه الجدد
فتح لنا قربت أيدي الكماة جنى ... ثماره وبعون الواحد الأحد
والعز ما اقتطفت أبهى أزاهره ... من بين شوك القنا بيض الظبابيد
وهكذا المجد مـا أعلت دعائمه ... أنامل السمر إذ مدت بـلا أود
من رام يشتار شهد العزّ عن ثقة ... فـلا يمد له إلا يد الجلد
فالعز سامي الذرى وعرٌ مسالكه ... محط غـايته في جبهة الأسد
بالحزم والهمة العليـاء فاز به ... ليث الكفاح علي البأس ذو المدد
هو الوزير الذي تـأبى مناقبه ... عن أن يحيط بها الحسّاب بالعدد
تجمعت فيه من حسن الشمائل ما ... تلقاه في حوزها من حيز منفرد
فناسك فاتك قد رقّ حاشية ... قاس على من أتى بالجور والحسد
وأقرب الناس منه منزلاً وعلى ... أهل التقى والحجى والعلم والرشد

وحبه لبني الزهراء قاطبة طبعا كحب أب بالطبع للولد

وقد أضاف إلى هذا رعاية ما في «لست أسألكم أجراً» ولم أرد

ما زال براً شفيقا راحماً بهم يرى قبول رجاهم أوثق العدد

في مسلك القوم أهل الله صح له تمسكٌ بعراهم محكم الزرد

حيث احتسى فانتشى من صفو خمرتهم

كأساً تدوم بها الأفراح للأبد

فلو رآه الجنيد البر سرّ به حيث اقتفى إثره عن قصد مجتهد

تلقى بناديه أهل الفضل محدقة إحداق هالة بدر منه متقد

يرتاح ان عطر الآداب ناديه بكل معنى يحلّي السمع متحد

من كل نادرة راقت مصادرها أو ورد شاهد فضل قبل لم يرد

وكم له من مزايا قد أناف بها على الأكارم أهل المدن والعمد

هذا الوزير الذي أعيت مكارمه

عن دركها من الى نهج السباق هدي

هذا الجواد الذي قدعم نائله من أخلص الود من دانٍ ومبتعد

عن غيره بنداه الوفد نال غنى والوارد العد لايحتاج للثمد

إن كف نوء وليٍّ سحب وابله أولم تكن دجلة تجري إلى أمد

أغنى بمسبل جدوى كفه ذهباً عن واكف القطر أوعن ربة الزبد

فكم فقير أزال العدم عنه بما أسدى إليه بلامنّ ولانكد

له مواقف ليث دون غابته يزيغ فيها فؤاد الباسل الجلد
لايرهب الموت يوم الروع إذ سعرت
نار الوغى برماح الخط عن قصد
يلقى المعادي بصدر منه منشرح كأنه لم يشاهد صولة الأسد
رأت خزاعة من إقدامه عجباً فاختارت الهرب المفضي إلى البعد
لم يثنه زمر الأعداء عن أمل ولا منيع حصون الليث ذي اللبد
يارب شامخ حصن ليس يبلغه الط رف السوي ولم يخضع إلى أحد
رمى إليه سهام النار صاعقة فأحرقته وكان الفتح منه بدي
عن عزمه سل حصون الكرد كيف غدت
أخصاص سعف وقد جلت فلم تعد
وعنه سل أهل راوندوز حيث رأوا
من فتكه فعل قرم باسل حرد
لدوق عفا عن مسيئهم بقدرة فعاد كل إلى مرضاته فهدي
وآب عنهم بفتح قد أقيم له عز يديم يد الجاني على الكبد
وعندما اشتاق بغداد لرؤيته شوق النبات لغيث فيه مطرد
فازت به وسروج الخيل مابرحت على غواربها مبرومة العقد
مدوا على البصرة الفيحاء بغيهم لما رأوها خلت من وافر العدد
لذا تمطى لهم ليث القراع أخو ال بأس الشديد على القدر وذو الصفد

فجرّ جيشين من روم ومن عرب كالبحر ماء يجرّي السيل عن صعد

قاسى بهم خوض أنهار الجزيرة مع جداول ليس يحصيها أخو العدد

على المذاكي العراب القب كل فتىً يرى له في التلاقي حملة الأسد

في كل ندب سريا معرق وله آباء صدق إباء عند مضطهد

هم الحماة الكماة الصيد من عرب شم الأنوف كرام الأصل والولد

ومن سلالة عثمان المليك فهم بنو الحروب بها يغدون في المهد

وفي خلال جموع المسلمين سعت مدافع لعذاب الضد في صعد

للنقع سحب ولمع البيض بارقها وللمدافع رعد فاطر الكبد

وللقنابل فيهم سوء صاعقة وللبنادق فيهم صيب البرد

وقد أتى دار أهل الضد عن ثقة بالله ناصره والنصر بالمدد

وقد تحصن أهلوها وقد جزموا أن الحصون لهم تغني مع العدد

من كل أوب أتت امدادهم عجم ومن قبائل عرب باذخي العمد

فمذ تبدى لهم جيش الوزير ضحى سالت لهم غارة شعواء عن جرد

فطاعنوهم جنود الحق فانكشفوا عن ضرب صيد يزيل الهام عن حسد

وبعدما أشرقت شمس الفتوح على ظهر البسيطة ضاءت غرة البلد

فعاد للبصرة الفيحاء مالكها صدر الوزارة حامي الملك كالعضد

فسر كل أهاليها بطلعته ونصره ولعز واسع الأمد

فيا مليكا له دان القبائل من بني معدّ ومن قحطان ذي العدد

يامن إذا نزل العاني بساحته يلقى مناه بلا كد ولا نكد

يهنيك فتح ونصر لايفارقه عز مديد وتأييد من الصمد

فاشكر لمولى حباك النصر يانعة ثماره مشتهى الجاني بلا كمد

والشكر منك بساط العدل تنشره

على الرعية كي يفضوا إلى رغد

في حالهم كن كما ترجو الهك أن يكون منك بحال وافر المدد

فالمرء يجزى بما يأتيه صح بذا كما تدين تدان اليوم أو بعد

وحاذِرنْ دعوة المظلوم إن لها مسرى إلى الله تأتيه بلا بعد

وأنظر فهذي البلاد اليوم قدفنيت أخنى عليها الذي أخنى على لبد

فاستبق منك بها آثار محمدة تخلد الذكر فيها سائر الأبد

وأهلها مضمحل حالهم عدماً فليس من سبد فيهم ولا لبد

فكف عنهم أكف الظلم مرحمة وكن شفيقاً عليهم راحماً وجد

هذي النصيحة لله العلي أتت

من خالص الود لايرجو سوى الأحد

وهاك مني رداحاً كاعباً فضلت أترابها برشيق القد والميد

تنمى إلى فرع أبناء البتول بلا مين وفخر ولادعوى بلا سند

تأبى لغيرك أن تهدي محاسنها وأنت كفءٌ لها ياخير ملتحد

لازلت ذا رتبة عليا ولا برحت ‏ ‏ لك المسرة في عز وفي رشد
ما أضحك الروض هامي ودق غادية ‏ ‏ وقام في زهره من طائر غرد

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرحلة المسماة بنزهة الجليس :

قال الفقير المذنب الجاني الأقل ‏ ‏ عبد الجليل ذو الخطايا والزلل
هو ابن ياسين سليل الهادي ‏ ‏ مستمنحا مواهب الجواد
الحمد لله الكريم المنعم ‏ ‏ من ذكره أنس الحنيف المسلم
ثم الصلاة مع سلام دائم ‏ ‏ على النبي المصطفى من هاشم
والآل والأصحاب والأتباع ‏ ‏ ما لذت النزهة في الطباع
وبعده فخير لذات الدنا ‏ ‏ طيب اجتماع بالكرام الفطنا
لاسيما في منتزهٍ رضي ‏ ‏ يفصح كل فيه ما قد يقتضي
من كل معنى في الحديث مبتكر ‏ ‏ كأنه زهر الرياض في البكر
تجني ثمار الجد في فنون ‏ ‏ طوراً وطوراً ملح المجون
فذاك لاريب أهنى مكتسب ‏ ‏ لايرتوي منه الظريف ذو الأدب
كذا أبو الوليد عبد الملك ‏ ‏ قد صح عنه أن ذا عنه حكي
من قوله شبعت مما أشتهي ‏ ‏ إلا أحاديث الرجال النبه

وكان مما يسر الرب الحفي ... أنا خرجنا نقصد النزهة في
صبح الخميس النصف من شهر رجب ... في خامس الحوت وذا فصل يحب
من سنة في ضبطها أرخنا ... عنيَ للنزهة قل خرجنا
في رفقة غر الوجوه كمل ... ما منهم إلا فصيح المقول
قوم كرام من كرام تنمى ... ممن زكى خالاً وطاب عما
قد ملكوا محاسن الأخلاق ... من كل قرم للعلى سبّاق
باعوا الخلاف واشتروا وفاقا ... فالكل في حسن الطباع فاقا
قد أوثقوا العهد على صدق الإخا ... في حالة الشدة أو حال الرخا
من طبعهم إيثار ماتشاء ... لهم بذلك اليد البيضاء
أنعمْ بهم من معشر أكارم ... قد ارتقَوا إلى ذرى المكارم
جزاهم الله بخير ما جزى ... لصالح الإخوان في يوم الجزا
وقد أزاح الله عنا الثقلا ... فلا ترى إلا ظرافا نبلا
غلماننا كل خفيف الروح لا ... ينفك في بشر وطبع سهلا
لايعبسون في صعوبات الخدم ... يخشون أن يقال فيهم مايذم
من كل سباق إلى المراد به ... كلٌّ أبى سبقاً يرى لصاحبه
سلاحنا الأسياف والبنادق ... وبالرماية الجميع حاذق
وقد صحبنا معنا أسفارا ... نقطف من أسطارها أزهارا

من نكتة نادرة لطيفه تختار للسمع بها تشنيفه
أو بيت شعر ذي معان حاليه أو قصة عن القرون الخاليه
كذلك الفقه لدينا منه مالم يكن لنا غناء عنه
كذا من الحديث سفر كافي وهو لداء الجهل خير شافي
قد امتطينا قاربين حفا بحسن تيسير الإله لطفا
قد أحكما صناعة وعده أسرعُ من طرف تطيل مده
أرفه مركوب وفي خير مقر تضمنا ضم الصناديق البدر
لا كالجوار المنشآت في العظم إذا رأيتها حسبتها علم
بل إنما هما لطيفا جرم ليجريا في البحر إذ لم يطم
لما ركبنا كانت الريح لها تحركٌ مطابق للمشتهى
سرنا على اسم الله في مجراهما كذاك باسمه لدى مرساهما
حتى قدمنا باعتجال ستره والله مسبل علينا ستره
ترى بها النخيل باسقات من كل نوع لذ للجنات
فيها ينابيع المياه قد جرت في برها وبحرها تفجرت
فمذ نزلناها ضحى النهار في دار بخاخ بلا استقرار
أقبل دعبل بما نحتاج له من حطب النخل وذاك ناقله
من ذلك الأكار أكار السري مبارك الاسم كريم العنصر
نجل الهمام الباسل المغوار إذا علت غياهب الغبار

وخف قلب البطل الكرار — تلقاه عند الروع مثل الضاري
يخضب متن الصارم البتار — من هامة القرم الجريّ الواري
عنيت عبد الله نجل أحمد — سامي الذرى رب العلى والسودد
الماجد الندب الجواب العبقري — كهف العفاة غيث محل مغبر
أمّ الوفود نحوه أفواجا — لرفده قد قطعوا الفجاجا
يعرف كل باغض حسود — بأنه الوفيُّ بالعهود
عاش به الجار على الوقار — في منعة وعزة الجوار
من معشر شم تعاقدوا على — حسن السجايا واكتسابٍ للعلى
آل خليفة عظام المفخر — من كل قرم ماجد غضنفر
ومذ غنمنا نزهة الجزيره — سرنا إلى جو بحسن سيره
المنزل الذي عفت رسومه — مذ أفلت من أفقه نجومه
من بعد ما كان محط الرحل — يلقى بها الطارق خير أهل
ومعقل الوفود والضيوف — ومأمن الطريد والمخوف
يزينه غرَّبه سكان — هم الحماة الصيد والشجعان
من كل فاضل نقيٍّ العرض — أشم غطريف جواد مرضي
دار لربات الحجال الخرّد — من كل هيفاء بقد أميد
ذات اللمى المعسول والثغر الشنب — وعقرب الصدغ لمضناها تدب
ترسل من شعورها أفاعيا — تنهش قلب الصب وهي ماهيا

فأصبحت أطلالهـا تسائل أين الدمى وهاتك الخلاخل
قضى عليها الدهر بالخراب حتى غدت مساكن الضباب
وذاك أمر الله حيث أحكمه بدا بأهلهـا اختلاف الكلمة
واحتوشت أرجاء أهليها العدى جند سعود والذي به اعتدى
ظلماً فجاءها بكل مصلت وقد أمدهمْ إمام مسكت
وبعض أهليهـا نحى الخيانة بغيـاً بلا جرم ولا امتهـانه
بل قادهم لذلك الرجيم ومن يخون غـادر ذميم
فاختارت الأشياخ منها الرحلة من قبل أن تلحقهم مذلَّة
فعادت الدار طلولا خـاوية فلايجيب الربع منهـا داعية
سوى فريق حل منها ناحية وكلهم في الصيد هـاد داهية
مميز الأجناس والأنواع في سرد أسماهـا طويل الباع
لايجهل الحيتـان فرداً فردا يعرف بدء صيدهـا والحدا
من حاذق في صيدها منعوت شباكه آفة كل حوت
يقول هذا النوع فصله دخل يرى غداً وسط الشباك قد حصل
وفصل ذا قد انتهى من أمس فلم يرد بعد غد في حدسي
فبادرونا منه بالغض الطري من خير موجود بزعم المخبر
وكل جرجور طويل السيف فأكثروا منه بغير حيف
وقد وردنا منهـلا مستصفى فيها مريئا سكَّرياً أصفى

بتنـا ثلاثـاً فيه بالتوالي لعبرة بهالك الأطلال
ثم ارتحلنـا الصبح للجنوب فزاد فينا الريح بالهبوب
حتى تجاوزنا ضحى حد الجمل هنـاك أرسينا بمنزل يمل
في قفرة ليس بهـا أنيس إلا اليعـافير وإلا العيس
ثم قطعنـا منتهى البحرين صبحاً وجري الريح بالهوين
حتى نزلنا الرأس للعياش من غير إزعاج ولا انكماش
بتنا بأرض خير ما فيها الحطب لكن من الشمس أتى بعض التعب
مـا شأنهـا إلا مخاض طالا لبعده قد أتعب الرجـالا
وأصبح الضباب كالنساج برداً يمده على الفجـاج
وقد تركنـا ذلك المكانا وغيره نحتثـه قـاربانا
وذلك اليوم الهوى عنا ركد بقدر ما ينسج في البحر زرد
حتى تجـاوزنا إلى دوباس في ربوة بتنـا شمال الراس
ياحسنه من بندر مقـارب حبل الخباء عند حبل القارب
أرض بهـا تنشرح الصدور عنها تقول الصحب لانسير
في رملة كأنهـا الدهنـاء طيبة لذّبهـا الثواء
رياضهـا تحفّهـا كثبان ينبت فيهـا الشيح والحوذان
كذلك الطرفاء والثمام والمرخ والأرطاة والرمرام
فيهـا كثيب زان بارتفـاع تنظر منه غالب البقـاع

يا طيب ليلتين قد بتناها   في هاتك الربوة ما أهناها

فيها أتانا ابن هلال جمعه   إذ مازج اللؤم عياناً طبعه

لايحسن القول ولا استماعه   يحسبنا نغصبه متاعه

نقول بعنا بعض ذي الحيتان   بها ترى من أحسن الأثمان

بحكمك الجائر نحن نرضى   فاحكم وخذ وأدِّ هذا البعضا

وهو يصيح إنكم نهابة   ولم يزل بهذه المثابة

قلت دعوه ودعوا جرابه   هذا من القبح حشا إهابه

لاخير في غالب جلابي السمك   طباعهم للؤم تغني عن شرك

ثم ارتحلنا الصبح للشمال   نطوي قرى الساحل بالتوالي

نقول ذي الزلاق قلعةٌ صدد   ننظرها من سبد ومن لبد

لم يكن الساحل ذا ابتعاد   ملاحنا يجيب نجوى الحادي

وذلك النهار قلنا في العقا   ريّة المقيل فيها لم يطق

فيها البعوض صائل والساحل   في النتن ذاك مستراح سائل

تظلنا عرش بها وخيمة   ياقبحها منازلا ذميمة

مبيتنا كان برمل سلس   بخير موضع لطيف سلس

أنزه سبسب من الصحاري   في قرب جدول زلال جاري

فيها بشير جاء بالمطعوم   كل لذيذ ساغ في الحلقوم

وأم نعسانْ نحوها عبرنا   ومذ رأينا وضعها اعتبرنا

شاطئها غرباً به كهف جبل بطوله يقطر ماءً للنهل
يجري إلى البحر وينبت القصب بينهما وذاك من أوفى العجب
فالموج يرقى لايميت الوجه وكل صنع الله جل أحكمه
في الكهف حوض فيه صب البارداً
منه ارتواء من يمر وارداً
وإن في أثنائها أوفى جبل دكدك بعضه وباقيه قلل
وفيه كم مغارة مظلة ليست على الداخل بالمضلة
وبعضها يشبه نحت العمل وموضع الباب مع القفل جلي
حوض مربع أتى في ذروته مجرى السيول قاصد لوجهته
وبعض عشب مزهر في سفحه تستنشق الطيب يشم نفحه
فيها مراعي شملت أكنافها تغني ولو لم تبلغن أطرافها
وقد أتانا العصر إبراهيم فيها هو ابن أحمد النديم
يغنيك عن سميه ونجله الموصليين بحسن فضله
فن الموسيقى غدا أستاده مع حفظ مانطلبه إنشاده
من آل برمك نشا في البصرة له بها قبيلة وأسرة
وقد رأى الصحب بها كم حية ميتة فيها وكم من حية
لما تركناها أتى المسير بين جزائر بها الطيور
ما بين واقع بها أو طائر قاطنة بهاتك الجزائر

ترتاع من شدة جري المـاء لضيق مجرى هاتك الأرجـاء

حتى نزلنـا في فنـاء القلعه والنخل حولهـا أبان طلعه

فجاءنا ريحان فيهـا عازمـا وابن رضيٍّ عازماً منادماً

مرّبنـا في عـامر النخيل راقت ولو بظلهـا الظليل

أشجارهـا تنوعت أزهارهـا غنى على أفنانها هزارها

كأنما الأترج في الأوراق شب في خيمة خضرا قناديل ذهب

وزهره في قمه كأنمله من فضة زمرداً مكالله

والورد فيها قد زها احمرارُه كم سكرت بظله أطيـاره

وخوخهـا معطّر الأفيـاء وزهره كالقبة الحمراء

والماء جارٍ قد صفت جداوله واستعذبت لوارد مناهله

منظر هذي القلعة العظيمة تعرف منهـا أنهـا قديمة

أركانهـا محكمة البنـاء بطرفهـا تشير للسماء

صخورها منحوتة مربعة عظيمة السمك بطول وسعة

فسيحة بديعة التفصيل يقصر عنها الوصف بالتطويل

حاط بهـا سوران ثم الخندق يعجب راءٍ عرضه والعمق

قصورها نأت عن التقصير وقد زهت بزخرف التعمير

ترى بها عجائب المبـاني دلت على علوِّ شـأن البـاني

من شادها مراده التخليد إذ مـا على أحكامها مزيد

وقد قضى الله بنفي الخلد   وطالب الخلاف غير مهدي
فانكشفت لذاك خيبة الأمل   إذ رجعت تلك المقاصير طلل
بها اعتبار لذوي الأبصار   دل على نفاذ حكم الباري
فيها أتانا ناصر ابن زين   فنعم صاحب وخير خدن
أفادنا بسائر الأسعار   وما طرا من حادث الأخبار
وبعدما ملنا إلى الرجوع   للأهل قبل آخر الأسبوع
هبَّ علينا عاصف الشمال   فلم نجد وجهاً للارتحال
ثم توجهنا إلى البلاد   بخير حال مقتضى المراد
في ضحوة الخميس منتهى رجب   جئنا إلى المكان إذ نلنا الأرب
به انتهت رحلتنا الميمونة   بطالع السعد أتت مقرونة
سميتها بنزهة الجليس   حيث بدت بديعة التأسيس
وبعد ذا أستغفر الله الذي   لم نر غير عفوه من منقذ
يا مالك الملك ويا رباه   يا سامع العبد إذا دعاه
يا واجب الوجود يا ألله   يا موئل العاني وملتجاه
يا راحماً ليس لنا سواه   أدعوك يا غوثاه يا غوثاه
أغث عُبيداً خاف ماجناه   إذ لم يخالف لحظة هواه
فارحم مقراً بالذنوب تائباً   باك ذليلا ذا افتقار شائبا
وامح إلهي صحف الخطايا   فضلًا فأنت موجد العطايا

وجودك الواسع لن يضقيا بنـا فقل يا عبد كن عتيقا
من العذاب والحساب المتعب إذا جثا الخلق غداً للركب
والطف بنـا في كل ماتقدّرِ وعافنـا من كل أمر يحذر
واعف عن الآباء والجيران وعم بالعفو ذوي الإيمـان
واغفر لأهلي وكذا أولادي كذاك أصحـابي مع الأستاد
وابعث إلهي نفحة ذكية من عـاطر الصلاة والتحية
على الحبيب الهاشميّ الهـادي لمهيع النجـاة والرشـاد
سيدنا محمد وآله وصحبه ومن على منواله
ما أضحك الروض بكاء المزن أو كشّف البدر خمار الدجن

* * *

وفي شعبان من سنة ١٢٠٤ التمس منه بعض الفقراء من أبناء السبيل أن ينظم له أبياتاً يرتزق بها ممن يحب فعل الجميل ، فيجعلها وسيلة لتحصيل مقصوده ، ويستمري بهـا ممن يفد بها عليه واكف جوده ، فأنف أولاً من موافقته على مراده ، فرده مع كثرة ترداده ، ثم ظهر له من حاله لوائح الانكسار ، فعز عليه أن يذهب ولم يتسبب لكسره بالإجبار فنظم له هذه الأبيات ، وجعلها صالحة لكل مشهور بجزيل الهبات ، غير مخصوصة بعين من الأعيان ، ليرفعها إلى كل من يصادفه من ذوي الإحسان ، فقال على لسان حـاله ، مفصحاً بوجه آماله :

يا ماجداً سادعن فضل وعن كرم وهمة بلغت هام السماك عُلى
يا كاسب الحمد طبعاً والمكارم عن آباء صدق كرام قادة نبلا
يا من إذا قصد الراجي مكارمه نال الأماني وبرا وافراً عجلا

أنست عطاياك أخبار ابن زائدة　　هذا نوالك أضحى للورى مثلا

إنا قصدناك والآمال واثقة　　بأن جودك ينفي فقر من نزلا

جئنا ظماءً وحسن الظن أوردنا　　إلى معاليك لانبغي بها بدلا

لقد أضرّبنا جور الولاة وما　　أودى بنا الدهر يابؤس الذي فعلا

عسر وغربة دار ثم مسكنة　　وذلة وفراق قاتل وبلا

نشكو إلى الله هذا الحال ثم إلى　　ندب جواد يفيد القاصد الأملا

عسى نصادف من حسناك مرحمة　　تكون رفداً لنا إذ نقطع السبلا

فاطرح بفضلك عنا حمل فاقتنا　　إنا غريبان لامالا ولا نزلا

واغنم بذلك منّاخير أدعية　　يزفها قلب عافٍ بات مبتهلا

ونشر حسن ثناء فاح عاطره　　عليك يامن غدا بالفضل مشتملا

لازلت تولي جميلا كل ذي أمل　　في رفعة ونعيم دام متصلا

ما أضحك المزن أزهار الرياض وما

غنى بمدحك شاد قدّم الغزلا

* * *

قال سيدي رحمه الله تعالى : أقول: قد وقفت على قصيدة صدرت من محمد بن علي الفارسي نزيل مكة ، زادها الله تشريفاً ، ومهابة وتكريماً ، يمتدح بها عبد الرحمن ابن فوزان المهيدب ، فأشركني بمدحها في أبيات منها ، وذلك ليخادعني في أمانتي التي خانني فيها حيث قبضها من خمس سنوات ، وامتنع عن تسليمها ، وسمع أني وكلت من يخاصمه في حقي ، فالتجأ إلى امتداحي ، لعلي أعرض عن المرافعة معه ، وذلك مكر منه وخديعة ، فأجبته على وزن قصيدته ورويها مجيباً عن معناها الذي عول عليه ،رجاء

أن أميل إليه ، فكتبت مشيراً إلى وجه الدعوى ، مفصحاً عما منينا به من البلوى ، فقلت في ذلك ، وبالله التوفيق :

يا فاضلا ملك القريض بطبعه وغدا على حسن النثار مؤمرا
إني وقفت على نظامك فانجلى عندي به صبح البلاغة مسفرا
يزهيه طبع فارسيٌّ راق في عربي سلك حاد عند الشنفرى
ولقد جنى طرفي بهار رياضه ورأيت ذكري جاء فيها مزهرا
فجزاك ربك خير ما جازى به عبداً يبادر للجميل مبكرا
وعلمت سؤلك أن أرى متغاضياً عن بعض حقي إذ أتى مستكثرا
فعجبت منك وقد طلبت تغاضياً مني وكل الصيد في جوف الفرا
أو ليس مالي كله قد حزته عني وقد عوضتني عنه المرا
فبم التغاضي هل تريد زيادة مني على ما في يديك ليكثرا
ولقد أتيت معي بكل عجيبة متقلباً في كل أمر يزدرى
أوليس مالي في يديك أمانة ومن الشقاء البيع فيها والشرا
فجحدته طوراً بزعمك ضاع في مصر وشام أو منازل قيصرا
وجحدت طوراً قيمة المبتاع لي منه وطوراً قلت دعه أشطرا
وتقول بعنيه بأبخس قيمة طوراً وساومني وكيل الإشترا
ورجعت في طلب التغاضي بعدما أمضيت في هذا التقلب أعصرا
هذي خطوطك شاهدات بالذي حررته ما قلت إفكاً مفترى

كم حـالة من حـاله حاولتني في قطع مالي عامداً متهورا

إني ائتمنتك محسناً ظني بكم

إذ كنت أحسبك النجيب الأطهرا

فدفعتني عنه بمحض خيـانة ولها وثبت وثوب آساد الشرى

فبأي شيىء ساغ منع أمانتي من غير جرم لاولا سبب جرى

هل كان حسن الظن فيك ضلالة والذنب فيه موبق لن يغفرا

أم أنني أخطـأت في تحسينه بك حيث كنت بسوء ظن أجدرا

أم ذا جزاؤك للمجدّ بسعيه لك كي تنال بذاك ربحاً أوفرا

ويرد مالك سالمـاً عن مربح جم مبادرة فأحسن مصدرا

أم لاتفرق في أداء أمانة وخيانة فيهـا فتأتي المنكرا

أم هل تَساوى عنده العرض النقي وكل فعل قد أتى مستقذرا

إذ همك الدنيا وجمع حطامهـا من أي وجه كان سهلا أوعرا

وبأي وجه أنت تلقى الله من هذي الوجوه فكن بها متخيرا

كم قلت لي مل عن مقالك أولاً لأكون مثلك في التقلب والمرا

والله يأبى ذاك لي ورسوله والدين والشيم التي علت الذرى

وأقول مالي غير قول واحد ما كنت عمـا قلته متأخرا

أعط الأمانة ربهـا بتمامهـا إن كنت تخشى عارها والإزدرا

وجميع مالك خذه بعد أدائها أصلًا وربحاً كاملًا مستوفرا

هـذا مقـالي أولاً وعقيبه ... وبه أدين وغير هـذا يمترى
فانظر فأي مقالتينـا ترتضى ... عند التحاكم إن أتينا محضرا
حاولت بالنثر اقتطاع أمانتي ... متقلباً في كل وجه أغبرا
ثم انثنيت إلى النظام مخادعـاً ... فوقعت في شرك فرم لك مظهرا
إني سأبعثهـا نوازع شرّداً ... تسم اللئيم بكل فاضحة ترى
تطوي بها الركبان كل تنوفة ... وبها تخوض السفن منا الأبحرا
أوليس أشعاري بهـا تسعى إلى ... أقصى الديار فسل بها من قد درى
هنداً عمـانا والحجاز ونجدهم ... يمناً وشاماً والعراق «وتسترا»[1]
فذوو الكمال إذا احتسوا أقداحهـا ... مادوا كأنهم تعـاطوا مسكرا
وبها العذارى في الخدور ترنمت ... وبها منادمة السمير ومن سرى
وإذا أردت سلامة من لذعها ... ويعود وجه الود فيـنا نيرا
فابعث إليّ جميع حقي كامـلًا ... كي لا يراك الله فيه مقصرا
والله لايخفى على مولاك مـا ... قد أبطن المملوك أو ما أظهرا
وأخو المروءة والديانة والتقى ... من صان ديناً واتقى ما يزدرى
لاخير في مـال تعاب به وإن ... تبعث ندمت إذا أتيت المحشرا
لم يبق مـال بالوقاحة جمعه ... أو بالخيـانة والدناءة والمرا

(١) تستر : مدينة في ايران .

فاحفظ لعرضك ذمة مرعية ومن الوجوب لها بأن لاتخفرا
ما اعتاض ذو مال أضاع لكسبه
ديناً وعرضا ما الثريا كالثرى
والمال إما حادث أو وارث يأتي عليه فلا أجدك الأخسرا
واختر لكسب المال وجهاً طيباً واغنم بمالك حسن ذكر في الورى
واعلم بأنك ميت فمحاسب فاعدد جواباً في الحساب لتعذرا
وإليك مني نصح حر صادق ومن التجارب لم يزل مستبصرا
فاقبل نصيحته تقدك إلى الهدى وتنل بها عزا وربحاً أوفرا
والله مولى الصالحين ومن يكن مولاه حاز سعادة لن تحصرا
وإلى إمام المتقين نبينا أهدي صلاتي والسلام الأعطرا
والآل والاصحاب طراً ماحلا صدق المقال وخاب رب الإفترا

* * *

وقد وقفت على بيتين للامام الشافعي ، فالتمست من سيدي الوالد تشطيرهما وتذييل التشطير ، فقال ذلك في اليوم السابع عشر من ذي الحجة الحرام سنة ١٢٥٤ هـ :

أرى نفسي تتوق إلى أمور بهن بلوغ غايات المعالي
ولكن الرزيّة في مساع يقصّر دون مبلغهن مالي
فنفسي لاتطاوعني ببخل فإن البخل منقصة الرجال
ولا يرضى بأدنى المجد عزمي ومالي لايبلّغني فعالي
وإني بين ذلك للمعنى وذا دأب الكرام فلا أبالي

فكم من منية في نفس حر   يبيت لها بحرّ الوجد صالي
ولو أن الغنى بالفضل يؤتى   لعاش الأكثرون بسوء حال

* * *

ومن إنشائه ، ما كتبه إلى عبد الباقي أفندي العمري الموصلي ، نزيل بغداد ، وذلك أن الوالد اجتمع به في البصرة سنة ١٢٥٣ هـ ، وكان ملازماً صحبة والي بغداد علي باشا ، وهو أجل منادميه ، وكان غالب اجتماعات الوالد به في مجلس الباشا المذكور ، في خلوة وجلوة ، فانعقدت بينهما صحبة اقتضت المكاتبة ، فكتب إليه الوالد بهذه الرسالة البديعة الأنيقة ، التي أغصان بلاغتها وريقة ، المشتملة على نكت أدبيه ولطائف بديعية ، يعرفها من له إلمـــام في الأدب ، فتأخذه لذلك نشوة الطرب ، وهي هذه :

لك الحمد يامن جمع بالألفة أرواحاً متنائية الاجسام ، وألزمها رعاية عهود الإخاء كما أوجب حفظ الذمام ، وجعل علامة صدق المودة لاتنفك متزايدة ، وحيث أقامت شقة النوى حجاباً يمنع المشاهدة ، دعاني باعث الشوق لرفع شكاية الحال ، رجاء تخفيف عبء الوله الذي أكابده إذ بعد المنال :

فيا دارها بالخيف إن مزارها   قريب ولكن دون ذلك أهوال

فإني لم أكن سليمان تمسي بي الريح سارية ، وما كل من رام تبليغ مـــا به عمر وسارية ، فرأيت أنه :

إذا لم يكن تمر فماء مطهر   ومن فقد المـــاء الطهور تيمما

فاعتياض المخاطبة بألسنة الأقلام ، يقال به رشح لغليل الأوام ، ومـا كل قول بالقبول يزان ، ولا كل صوت أذان ، إلا أن يكون القنوع بالطـــل عن واكف وبل الرباب ، والرضى من الغنيمة بالاياب ، وأنى تقوم المكاتبة بلذاذة تلك المخاطبة ، ومتى نابت الغيبة من الحضور ، أم هل تستوي الظلمات والنور ، نعم ذكري سعى القلم على رأسه ، والشيء يذكر بأجناسه ، ما كنت أسعى اليه من اكتساب المحامد والأدب ، بمزاحمة كريم الجرشى شريف النسب ، وبمشاهدة تلك الطلعة البهية والتفيء بظل فرع الدوحة

العمرية ، دوحة المجد التي رست في مركز المكارم والفضل ، وجرى نيل سقياهـــا ببطاقة التوحيد والعدل ، فأثمرت بك زهرة الدنيا الأنيقة ، وعادت بك على بعد مجناها زاهية وريقة ، كيف لا وأنت الآخذ بمجامع الفضائل ، والحائز من الشرف ما قصرت عنه يد المتطاول ، فحيازة المحامد شنشنة عرفتهـــا من أخزم ، وجبلة لازمتك كالعضو أو ألزم . أما الظرف «فجذيله المحكك ، وعذيقه المرجب» والادب فيك اليوم يعرف وإليك ينسب ، ولقد تركت بلاغتك ياابن عمر الشيخ أبا بكر ابن حجة ، ولم تقم له في معارضتك ـ وإن أحسن التوجيه ـ حجة ،و لو واردك الصفي ، ما عد مورد انسجامه بالصفي ، ولو أجرى الصفدي خيل استطراده في حلبة تعاطيك ، لم يقل :أنا ابن أبيك ، ولو علم ابن نباتة أنك في تأخرك سبقته إلى غاية التورية ، لمشى حبواً ، وجزم أن قطره النباتي لم يكن حلواً ، ولم يجد لجمعه خبز الشعير زهوا ، ولو عاصرك الوداعي لوقف دون معانيه المبتكرة على ثنية الوداع ، ولم يجرقلم الوراق بالاستخدام في هاتيك الرقاع ، ومن أين لابن سكرة حلاوة لطائفك المبتكرة ، ولم يزن لؤلؤ القيراطي في جنب فرائدك حبة، وضاقت حوصلة ابن عصفور عن الوقوع على مثل منثورك ، فلم يلتقط حبة ، وعاد الغلامي بحضرتك عن الانشاء مفطوم ،ولم يجرابن الآزري لديكفضل إزاره خيلاء بنسجه المنظوم، وصالحك التميمي على الاعلام بكيفية أكل الضب عن المفاخرة بحسن التوسل ، وصام عمر بعد رمضان حياء منك فلم يذق طعم القريض بذلك التنزل ، فأنت واسطة عقدي الادب والظرف ، وعميد دست المكارم والشرف ،ولهذا عشقت تقديم نشر حسن الثناء عليك ، فأشغلني عن تأدية عاطرالسلام اليك ، وحيث تفرغت إلى نشر أعلام فضلك وأدبك ، قد صار شغلي عنك بك ، فأهدي زاهر سلام أطربمن غنج الغواني المائسات الملاح . وأطيب من وصل رداحبعد طول الجماح ، وأعذب من ريق الغوادي في ثغور الأقاح ، يعم كالغيث الربى والبطاح ، وعاطر ثناء تتملى أجياد الأمجاد بمفصلات عقوده ، وتتباهى بضافي موشيات بروده، إلى جناب كريم الأحساب ، لازال قرير العين بكل محبوب ، راقيامن السعادة ذروة المطلوب ، آمين .

وبعد ، فالداعي لتحرير ذريعة الوداد ، ووشم وجنة طرسها بمسك المداد ، هو التفقد عن صحة تلك الذات التي هي مطلع شموس الكمالات ، وإعلام الجناب أن من الاجتماع ، ما يثبت في القلوب رسوم الالتياع ، لاسيما إذا كانت الفرقة له تالية ، ولم يقض الفؤاد من اللقاء أمانيه ، كالظمآن رأى الماء ثم قيل له : الحق ، والعرج لاتباري الذود المرتوي المطلق ، وشاهد حالي قاض لهذا العقد بصحته ، حيث لقيت حبيبنا ولم أفز بطويل رؤيته ، فبقيت إلى لقياك أعطش من ثعاله ، أحن إليك حنين غريب تذكر آله ، فلم أزل بنار الشوق أتقلى ، ولم أجد مابه أتسلى .

يا من يعزُّ علينا أن نفارقَهم وجداننا كلُّ شيء بعدكم عدم

وإن تسلَّى محب بعض آونة فما التبدل والسلوان لي شيم

لا أتخذ غير ذكراك مسامر ، ولا أرغب بمنادمة الحليف والمجاور :

شوقاً لأيام مررن حواليـاً اليوم بعدك عطلت تعطيلا

أيام دهري بالأحبة جامـع شملي وظل السعد كان ظليلا

* * *

لهف نفسي على ليال مضت لي بلقاكم سريعة الانصرام

في عراص الفيحاء لابزرود وبظل الخيام لابالبشام

ولم أبرح محافظاً على عهود الإخـا ، في حالتي الشدة والرخا ، لايلم بي التغيير بدواعي البعاد ، عارفاً بلزوم حقوق الألفة والوداد ، وقد كشف النقاب عن وجه حالي ، ماتضمنه صحيح مقالي :

أنا الوفيُّ بعهد الحب من قِدَم فليس قلبي عن الأحباب ينقلب

أنفقت شرخ شبابي في الهوى يقظاً فكدت أعلم مـا يؤتى ويجتنب

أقمت مني لكم حكم الصبيّ على أهليه ياسادتي من بعض ما يجب
وقلت للمدعي في حبكم شغفي لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وأرجو الله تعالى كما جمعنا على صدق المودة وألف ، أن يصون أحبابنا من مقالة العباس بن الأحنف :

أفدي الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمت منتصباً بثقل مـا حملوني منهم قعدوا

وأستمنح الله تعالى أن يطوي شقة البين ، وأن يبدل الأين بالعين ، وأن يجمعنا على طاعته في أحب البقاع اليه ، وهو أكرم مجيب لمن تضرع بين يديه ، ولأجل الإفادة بما انطوى عليه الضمير ، ديجت صحيفة الود الذي لايعتريه تغيير ، فالمأمول بعد فوزهـا بطالعة الجناب الخطير ، أن لاتخرجنا من الخاطر المنير ، مع الاشارة لما يعن من جليل وحقير ،وأقدم جزيل التحيات،مشفوعة بأعظم البركات ، إلى ساحة الحضرة العلية ، والسدة الباذخة السنية ، الوزير المعظم ، والمشير المفخم ، قرن الله طالعه بأنجم السعادة ، وبلغه من العز منتهى الارادة ، ثم الأولاد الكرام ، نتيجة النبلاء الفخام ،وإلى حضرة السادة الأمـاجد ، من ملكوا أزمة المحـامد ، أحبابنـا : السيد محمود المفتي ، والسيد محمود النقيب ، لازال كل منهما بالفضل رطيب ، ولا زلت بحفظ الله محروساً ، وربعك بالخيرات مأنوسا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد مدة من ورودهذه الرسالة إلى عبدالباقي أفندي المخاطب بها، صدر منه الجواب إلى سيدي الوالد،وهي ماتضمنته الرسالة الآتي ذكرها،وهي هذه .قال الأفندي المذكور:

ومنك أخذنا القول فيك دلالة وما طاب ماء الورد إلا من الورد

حمداً لمن قسم الأرواح قسمين ، ورزقنا منهما ائتلاف ذات البين ، ومنحنا بالقدح المعلى والرقيب ، وجعل لنا من الألفة أوفى سهم وأوفر نصيب .

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

وحيث جعل المراسلة كما قيل:نصف المواصلة ، وصير بريد الأسفار ، بين أهل الحب سمار ، دعاني داعي الغرام فلبيته ، وحدا بي حادي الهيام فحييته :

وفي الحي مطوي الضلوع على جوى

متى يدعه داعي الغرام يلبه

وجرى القلم بما هو كائن ، من تحريك الشوق الساكن ،وإن كان لايكتفى بالأثر عن العين ، وأين حلاوة القرب من مرارة الأين ، وهل السراب كالشراب ، والآل كالزلال ، ماء كصداء،ومرعى ولا كالسعدان ،ومع ذلك فالأحباب تتشبث بذيل الصبا لتبليغ ما بها من الالتياع ، وتارة بتسويد بياض الطروس وتحرير الرقاع .

حمِّلوا ريح الصبا نشركم قبل أن تحمل شيحاً وخزامى

وإذا حالت بها الحال لبعد الوصال وفقد الاتصال تستمنح طيف الخيال .

وابعثوا أشباحكم لي في الكرى إن إذنتم لجفوني أن تناما

فأحرر من الشوق ما يعجز عبء حمله الثقلين ، وأتمسك بأذيال الصبا لعلي أبلغ مجمع البحرين ، وأهدي درر دعوات أخرجها غواص الوداد من أعماق الفؤاد ، وغرر تسليمات أشرقت نجومها في جباه المحبة والاتحاد ، ومزيد أشواق هيجها لاعج الحب، وأججها نار الحبيب إذ لاحت على البعد والقرب .

غرام على يأس الهوى ورجائه وشوق على بعد المزار وقربه

لايطفى زفيرها ولا يخمد سعيرها ، قد نشرت لها صحائف التذكار ، ما طوته يد البين من قرب المزار ، صادرة عن قلب محب كلما تذكر وطال في وادي المودة ولوعه وهيامه تذكر والذكرى تشوق ، وذو الهوى يتوق ، ومن يعلق به الحب يصبه إلى

درة البحرين ولؤلؤة صدف الخافقين ، ونور سنا النيرين ، الذي سامت قدره فرق الفرقدين، محط رجال الفضائل ، ومسقط ذلك الطل والوابل ، البليغ الذي مضغ البلاغة بلحييه ، فلم يزل يخرج منها اللؤلؤ والمرجان ، والبحر الذي مرج البحرين بين شفتيه يلتقيان ، فلو سمع الفراء فصاحة ألفاظه ، لرجع مع تقدمه القهقرى ، وأنشد بفصيح لسانه : كل الصيد في جوف الفرا ، ولو شهد الثعالبي عقد صناعته لشهد أنه يتيمة الدهر ،واكتفى بذكر محاسنه عن محاسن أهل العصر ، ولو رآه جرير لجر على وجهه ذيل الخجل ، وترك المفاخرة وأصبح منه على وجل ، ولو شام أدبه الحويزي لما حاز في ميدان الفصاحة قصب السبق من قصب فارس،واستغنى عن السلافة برشف هذا المدام،ولها عن الشغف بحب الظباء الأوانس، ولو نشق المحيـــا نفحة عرائس أفكاره لأصبح وهو مأنوس ، وعرف أن لاعطر بعد عروس ، ولو بيعت درره على الصادق الفحام لما ضيع منها واحدة ، وعلم أن تجارته وإن راج سوق عكاظها كاسدة ، ولو لمحه النحوي لانصرف نحو آدابه ، وأعجب ببديع بيانه وتجلبب بفضل جلبابه ،ولو حدثه ابن سند،لأسند حديث الفضل القديم إليه ، وما وسعه أن يعول في الرواية إلا عليه ، كيف لا وهو الساحب ذيل الفضل على سحبان وائل ، والآتي وإن تأخر زمانه بما لم تستطعه الأوائل ، نسيج وحده ، وطراز كم الزمان وبرده فرع الشجرة التي أصلها عرو العلا ، وشأوها في روضة الأنساب علا ،المثمرة بالفتوة ، بل بالرسالة والنبوة ، الراشفة من ندى ساقي الحوض والكوثر ،الراضعة أغصانها من سائغ ذلك الدر،الباسقة في حديقة مدينة العلم وبابها ، المظلة بظلها الضافي على آل يعرب وأنسابها .

نسب تحسب العلى بحـلاه   قلدتهـا نجومـها الجوزاء

طيب الأرومة ، زاكي الجرثومة ، سليل الأعاظم ،شبل الجحاجحة الخضارم ، فحييت يا ابن السراة الهداة،ومن شرفوا السرج والمنبر ، أحدي الدهر ماجاد ، ومع المشوق يخجل العارض المطر الاجل الافضل الأشيم، السند المحترم لازال فلك فضله المنشآت في البحر كالأعلام ، ولا برح فلك مجده لايقبل الخرق والالتئام .

أما بعد ، فبينما الداعي عائم في بحار الأفكار ، هائم في بيداء المحبة والادكار ،

منتقل من غور إلى نجد ، ومن سهل إلى وهد ، مترصد لطلوع شمس الأخبار بعد غروبها في عين حمئة ، مترقب لطلوع هاتيك الآثار التي هي عن الأحباب منبئة ، إذ في أبوك ساعة مزهرة ، وأشرف آونة مقمرة :

هبطتْ إلي من المحل الأرفع ورقـاء ذات تفنن وتفجع

فقلت :

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي فأنت بمرأىً من سعاد ومسمع

ولما تلت حسن أسجاعها ، وقرع الأسماع طيب سماعها ، كادت الأرواح بالأقفاص إليها تطير ، كأنما هي لداود مزامير ، ورقاء قد أخذت فنون النوح عن يعقوب والألحان عن اسحاق ، قد ردت بترجيعها ذكر الأحباب ، وردت علي بورودهـا شرخ الشباب

أحمـامة الوادي بشرقي الغضى إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

وذكرتني تلك الأيام الخالية ، والليالي التي كانت أجيادها بنجوم الفرح حالية .

لله أيام مضت مع جيرة كانت ليالينا بهم أفراحـا

فلم أزل أترنم بتلاوة قراءتها ، وأتعجب بترتيل آياتهـا ، ولاجرم فقد حـازت شطري الفصاحة والبلاغة ، وبلغ كلامهـا حد الإعجاز ، فلم يبلغ كلم بلاغه

قد كدت أو قن أن الوحي أنزلها لو كان يبعث من بعد النبي نبي

ولا أحسب ذلك إلا معجزة ظهرت على يد واحد من الأمة ، أو مفخرة ظهرت من خفايا الامكان في هذه الأزمان لحكمة ، فما رسالة ابن زيدون إلا لمحة من تلميحاتها ، وما مقامات الحريري إلا شعبة من نـكاتها ، فلو تليت جوامع كلمها على سيف الدولة لما طابت نفسه بذكر أبي الطيب المتنبي ، واكتفى عن منظومه بمنثور ألفاظها التي هي كاللؤلؤ المنثور ، وقال : إنهـا حسبي ، ولو رأت منظومها حالية العذارى ، المست جانب العقد النظيم ، وودت لو أنها

قلدت بسمط لآ ليها التي أزرت بالثغر البسيم ، أخرجت من بحري ذكاء وفصاحة درراً جعلت نظامها سمطين ، والدرة الغواص لايرجى لها مستخرج إلا من البحرين ، فلله درك قد علا جيد الفضائل درك ، أيها الناقد البصير ولا فخر وما كل ناقد ببصير .

بك روض الزمان عـاد أريضاً ذا غدير يروي الظماء نمير

ورقيق القريض أضحى رقيقـاً لك لاينتهي إلى تحرير

وبعلم اللغات فقت كثيراً من ذويها فضلًا عن ابن كثير

والتهـامي راح يتهم النفـ ـس بدعوى التبريز في التجبير

والسلامي لم يعد بسلام بعد تعرفه من التنكير

وغدا ابن النبيه غير نبيه وتحامى البصيرة البوصيري

لك خلق الرياض دبجها الطـ ـلُّ بند فعبرت عن عبير

ومزايا لورمت إحصاء ما أوليـ ـت منها لم أحص عشر العشير

فقليلي ولو حرصت سواء حين أسمو لعدهـا وكثيري

عالمـاً أنني وإن طـال مدحي وثنائي عليك ذو تقصير

غير أني أقول لايسقط الـ ـميسور فيما يراد بالمعسور

وايم الله إني كلما حاولت بيد الحزم تناول ثريا دراري شامخ عبارتهـــا ، قصرني السكوت عن منال ذلك المرام ، وكيفما جشمت جياد العزم خطة مجاراتها قهقهني الإمساك عن مناضلة قداح هاتيك السهـــام ، وأين لمثلي بلوغ ذلك المحل الرفيع ، وأنى يدرك الضالع شأو الضليع ، ولولا علمي بأنك الفاضل المتفضل ، والباسل الذي ذيل عفوه على التقصير يسبل ، لما تجاسرت بتحرير هذه الكلمات ونسج هذه الأبيات ، التي هي من أوهن البيوت ، بل كنسج العنكبوت ، فالمرجو والمأمول ، والمتوقع والمسؤول ، من طيب أعراقك وطيب أخلاقك ، وشنشنة الأخزمية ونشنشتك الهاشمية ، أن لاتخرج الداعي من دائرة الضمير المنير ، مع الاغماض عن التقصير ، وسد الخلل والعفو عن

الزلل ، فستر العيب من كرمك بلا ريب ، وقد أعطيت مالم يعط خلق ، عليك صلاة ربك والسلام . وقـال سيدي بيتين في معنى طرأ في ضميره وهمـا :

دع الضراعة للمحتاج مثلك إذ ... مافي الخلائق طراً غير محتاج
واضرع إلى سيد تغني مواهبه ... عن غيره وهو كنز القاصد الراجي

ثم شطرهما رحمه الله تعالى فقال :

دع الضراعة للمحتاج مثلك إذ ... ما كل ما خلتَ من مزن بثجاج
وكيف ترجو سوى المولى وأنت ترى ... مـا في البرية طراً غـير محتـاج
فالجـأ إلى سيد تغني مواهبه ... وظل كهف علاه عصمة اللاجي
إن السعادة في إعراض ذي أمل ... عن غيره وهو كنز القاصد الراجي

وله أيضاً رحمه الله مشطراً لهذين البيتين :

حامي الظعينة حيث تاهت في الفلا ... أنت الضياء لمن يخاف التيهـا
بك طالما هجعت عيون أرهبت ... إذ كل من يرخ السرى حاديها
حاميت عنّـا ثم لو أسلمتنـا ... لوجدتنا غرقى طمي واديهـا
تأبى علاك بأن نراك كمن به ... قالوا الرعية خانهـا حاميهـا

وله أيضاً رحمه الله تعالى ملغزاً :

يا ذاع نصحاً داعيـاً للإهتدا ... هـذا الخنى ق ِ فعله لتحمـدا
دع للمنى في ذي المنافي للهدى ... واجف الذي يجفو سبيل السعدا

وله رحمه الله تعالى من قصيدة سماها بهداية الاكارم إلى سبيل المـكارم ، ينبغي

لكل أديب أريب ، الذي له في كسب الفضائل أوفى نصيب، أن يعتني بحفظها ، ويتأمل معانيها ، ويعرف مغزى مدلولها وحسن مبانيها ، فإنها ممـــا يبعث على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، ويدل على مناهج السؤدد ووجوه الكرم ، لاشتمالهـــا على نصائح وآداب وحكم ، وبالله التوفيق :

أحسنْ جنى الحمد تغنم لذة العمر وذاك في باهر الأخلاق والسير

همُّ الفتى الماجد الغطريف مكرمة يضوع نادي الملا من نشرها العطر

وحلية المرء في كسب المحامد لا في نظم عقد من العقيان والدرر

تكسو المحامد وجه المرء بهجتها كما اكتسى الزهو زهر الروض بالمطر

يخلد الذكرَ حمدٌ طاب منشؤه وليس يمحو المزايا سالف العصر

تميز الناس بالفضل المبين كما تميزوا بينهم في خلقة الصور

بقدر معرفة الإنسان قيمته وبالفضائل كان الفرق في البشر

ما الفضل في بزة تزهو برونقها وأي فضل لإبريز على مدر

وإنما الفضل في علم وفي أدب وفي مكارم تجلو صدق مفتخر

فلا تساوي بأخلاق مهذبة أخلاق سوءٍ أتت من سارح البقر

وخذ بمنهج من يعصي هواه وقد أطاع أهل الحجى في كل مؤتمر

إن الهوى يفسد العقل السليم ومن

يعص الهوى عاش في أمن من الضرر

وجاهد النفس في غيٍّ تلم به كيلا تماثل نذلا غير معتبر

وفي معاشرة الأنذال منقصة بها يعمُّ الصدا مرآة ذي فكر

وليس يبلغ كنه المجد غير فتى يرى اكتساب المعالي خير متجر

إن الكريم يرى حمل المشقة في نيل العلى من لذيذ العيش فاصطبر

فالصبر عون الفتى فيما تجشمه إن السيادة نهج ظاهر الوعر

وأفضل الصبر صبر عن مهيئة من المعاصي لخوف الله فانزجر

واصبر على نَصَب الطاعات تحظ بما أملته من عظيم الصفح مغتفر

نيف وسبعون من آي الكتاب أتت

في الصبر فاعمل بها طوبى لمصطبر

وعش محلى بأخلاق محاسنها تجلى على أوجه الأيام كالغرر

دِين به عصمة من كل فاحشة وكل ما اسطعت من بر فلا تذر

إن العفاف حمى للنسل صنه به إذا أضعت الحمى يرعاه كل جري

قد جاء : عفوا تعفنّ النساء وفي مثقال خير فشر أفصح النذر

ومن جمال الفتى صدق العفاف فكن

به محلى خليقا منتهى العمر

والزم فوائد تقوى الله تعلُ بها إني سأوردها عن محكم الزبر

فبالتقى مخرج من كل حادثة والحفظ من صولة الأعدا مع الظفر

والرزق في دعة بالحل مقترن وحسن عاقبة في خير مدخر

وجاء نوراً به تمشي ومغفرة من الذنوب ومنجاة من الحذر

به البشارة في الدنيا وضرتها به النجاة من الأهوال والشرر

ورحمة الله تغشى المتقي وله قبوله وله الإكرام فاعتبر

وبالتقى تغنم الإصلاح في عمل　　وتستفيد به علماً بلا سهر
ونفع ذلك لا يحصى له عدد　　ونص ذلك في آي الكتاب قُري
وخير ما يقتني الإنسان إن كرمت　　أخلاقه واستفادت رقة السحر
ومن مكارمها عشر عليك بها　　فإنها حِكَم تروى عن الأثر
صدق الحديث فلا تعدل به خلقا　　تبلغ من المجد أنهى باذخ السرر
وكن خليقا بصدق البأس يوم وغى
فشر عيب الفتى بالجبن والخور
أجب منادي العلا في خوض غمرتها　　فالعز تحت ظلال البيض والسمر
بالصبر يكتسب المقدام نصرته　　ويلبس الضد منه ثوب منذعر
لا يدنينّ لك الإقدام من أجل　　يكفي حراسته مستأخر القدر
واحرص على عمل المعروف مجتهدا　　فإنّ ذلك أرجى كل منتظر
وليس من حالة تبقى كهيئتها　　فاغنم زمان الصفا خوفاً من الكدر
ولا يضيع وإن طال الزمان به　　معروف مستبصر أنثى أو الذكر
إن لم تصادف له أهلا فأنت إذاً　　كن أهله واصطنعه غير مقتصر
أغث بإمكانك الملهوف حيث أتى　　بالكسر فالله يرعى حال منكسر
وكافئنّ ذوي المعروف ما صنعوا　　إن الصنائع بالأحرار كالمطر
فلا تكن سبخاً لم يجد ماطره　　وكن كروض أتى بالزهر والثمر
واذكر صنيعة حرّ حاز عنك غنى　　وقد تقاضيته في زي مفتقر

واحفظ ذمام صديق كنت تألفه　　وذمة الجار صنها عن يد الغير
واصل أخا رحم تكسب مودته　　وفي الخطوب تراه خير منتصر
ووصله قد يجر الوصل في عقب　　وقد يزاد به في مدة العمر
وجد على سائل وافى بذلته　　ولو بشيء قليل النفع محتقر
واحفظ أمانة من أبدى سريرته　　مالاً وحالاً لحسن الظن والنظر
واقر الضيوف وكن عبداً لخدمتهم　　وهش بش ولا تبحث عن السفر
وبادرنّ اليهم بالذي اقترحوا　　عن طيب نفس بلا من ولا كدر
وخض بهم في فنون يأنسون بها　　من كل ما طاب للأسماع في السمر
لكل قوم مقام في الخطاب فلا　　تجعل مفاوضة الأعراب كالحضر
واعرف حقوق ذوي الهيئات إذ وردوا　　وللصعاليك فاحذر حالة الضجر
والزم لدى الأكل آداباً سأوردها　　تعش حميد المساعي عند كل سري
كن أنت أول بادٍ بامتداد يد　　إلى الطعام وسم الله وابتدر
واشرع بأصفى حديث ذي مناسبة　　بالزاد أنسا وترغيباً بلا هذر
لاتأثرنّ بشيء لذ مطعمه　　نفسا ولا ولداً فالضيف فيه حري
وكن إذا قام كل القوم آخرهم　　وغض عن مدّ أيدي القوم بالبصر
ومن أقامك أهلا للضيافة قم　　بشكره واستزد إنعام مقتدر

ورأس ما ذكرناه الحياء فكن ... من الحياء بأوفى باهر الحبر

لادين إلا لمن كان الحيـاء له ... ألفي قرينا فيسمو كل مستتر

فاستحي من خالق يرعاك في ملأ ... وفي خلاءٍ وكن منه على حذر

والعاقل الشهم من يأبى الرذائل بل ... يختار من كل شيء طيب الخبر

بالعقل تدرك غايات الكمال كما ... به تميز بين النفع والضرر

لولاه لم نعرف الله الكريم ولا ... نمتاز يوما عن الأنعام في الفطر

فاستعمل العقل في كل الأمور ولا ... تكن كحاطب ليل أعمش البصر

دليل عقل الفتى بادي مروءته ... فمن تجنبها فالعقل منه بري

عاري المروءة نكس لاخلاق له ... وذو المروءة محبوب إلى البشر

أخو المروءة يأبى أن يرد ذوي الا ... آمال عن فضله في حال منكسر

والجود أشرف ماتسمو الرجال به ... وقد ينـال به مستجمع الفخر

وبالسخاء لحفظ النعمة اعتمدوا ... ياحبذا عمل بالحفظ صـار حري

لايصلح الدين إلا بالسخا وأتى ... إن السخاء من الإيمان فاعتبر

والجود من شجر الجنات فاحظ به ... وخذ بغصن أتى من ذلك الشجر

يحب مولاك حسن الخلق مقترنا ... بالجود لم يُبْقيا للذنب من أثر

إن السخي حبيب للإله له ... قرب من الله هذا جاء في الخبر

ولا ترح بلئيم سرح عـارضة ... ترد في ظمـأ من حافة النهر

ولا تغرنك منه طول مكنته ... حلفـاء عار بلا ظل ولاثمر

بذل النفيس على نفس الخسيس عنا ... فعل الجميل لديه موجب الضرر
ومن يؤم لئيماً عند حاجته ... يعض كفيه كالكسعي وسط قري
فاحذر طبائع أهل اللؤم إن لهم ... ذماً يدور مع الآصال والبكر
واسلك سبيل كرام أصفياء مضوا
بكل حمد على الآفاق منتشر
واغنم مكارم تبقيها مخلدةً ... في ألسن الناس من بدو ومن حضر
فخير فعل الفتى فعل يبلغه ... من المحامد ما يبقى على الأثر
فالمرء يفنى ويبقى الذكر من حسن ... ومن قبيح فخذ ما شئته وذر
وهذه حِكَم بالنصح كافلة ... بالنقل جاءت وعن مصقولة الفكر
حررتها لي وللأولاد منبئة ... بكل وصف حميد الذكر مدخر
خذها إليك ولا تنظر إلى عملي ... إني سأكشف عني وجه معتذر
بالله أحلف لا أخشى به حرجاً ... ومن تألى بغير الله في خطر
بأن لي نفس جحجاح تطالبني ... سبقا إلى شرف عال بلا أشر
وهمتي في المعالي فوق مقدرتي ... ولا أبالي بكون الباع في قصر
وإن أصعب ما يشقى الكرام به ... جهد المقل أنى في عزم مقتدر
والدهر في كل حر ذو مغايرة ... بالطل يقنعه عن واكف المطر
ما كنت ممن يراعي في العلا نشباً
ولست أخشى بمجد حال مفتقر

ولا اكتسبت من الدنيا لقصدغنى　　أسمو به لا ولا عن باعث البطر

وإنما جلُّ قصدي أن أقيم بها　　من المكارم مايخفي سنا القمر

ورثت ذلك عن صيد غطارفة　　آباء صدق كرام الورد والصدر

من كل ندب جواد فاضل يقظ　　حليف جود بعز واضح الغرر

فسل ربيعة سل كعبا ومنتفقا　　عنهم تجد فضلهم يسمو على الزهر

توارثوا المجد عن طه الرسول وعن　　أبي تراب وعن فهر وعن مضر

وإن لي أملًا بالله عن ثقة　　أن يسبل الستر فينا مدة العمر

وخير ما يتحف المهدى لسيدنا　　أزكى الورى صادق الأسرى وخير سري

جرثومة المجد ينبوع الفضائل من　　يتلى له المدح في الآيات والسور

محمد سيد الرسل الكرام ومن　　إليه كل فخار غير منحصر

أزكى صلاة وتسليم لنشرهما　　يفوح عرف ختام المندل العطر

والآل والصحب من جاءت مكارمهم　　تفوق عد الحيا والرمل والمدر

ماحن مشتاق مجد أو عشيق منى　　لربع جود بأهل الفضل معتمر

أو ما تألق برق في الحمى وهمى　　ودق على حاجر من كل منهمر

* * *

وقد اقترح أيضاً عليه حسن بن عبد الله آل خليفة تشطير أبيات ستة مدح بها أمية ابن أبي الصلت الثقفي -أحد فحول الشعراء في الجاهلية- عبد الله بن جدعان التيمي القرشي المشهور

بالكرم ، فشطرها وضمنت التشطير في قصيدة طنانة ، وامتزجت الأبيات بالقصيدة حيث لايتميز بينها ، بل ربما كلامه رحمه الله تعالى يفوق الأبيات الستة ، فقال :

ليالي الوصل حق بها الهناء وتلك مع الشباب هي المناء
تسامرني بها غنجاء رود كعاب للدلال بها ازدهاء
برشق لحاظها داء المعنى وفي ترشاف مبسمها الدواء
ومن سود الذوائب جن ليل ولي من نور غرتها الضياء
إذا ما الحلي زان به العذارى فحلْيتها الملاحة والبهاء
إذا سقط النصيف لمنكبيها تلقته ووراها الحياء
لهوتُ بها بلا حذر ورقبى خليعاً بالملاح ليَ اعتناء
فأرشف من ثناياها عقاراً بها سكري وراق بها الصفاء
نعمت بها على رغم الليالي وزال بوصلها عني الشقاء
ويعجبها اكتسابي للمعالي ولي في فضل آبائي اقتداء
يروّضها الصبا لي والتصابي وتجذبها النضارة والرواء
ومذ لاح المشيب ولان عودي لغامزه وبان به انحناء
نأت عني وقد صرمت حبالي كأن لم يجزَ وصل أولقاء
ودأب الغانيات جحود ودٍّ فلا عهد لهن ولا وفاء
لعمرك ما الليالي صادقات بما عهدت إليك ولا النساء
إليك فدع مطارحة الغواني ففي تطلابهن لك العناء

تذارف أدمع وسهـاد عين ... وذل وانزعاج وابتلاء
مواقف ريبة تسم الدنايا ... وليس لعرض آتيها وقـاء
أيختار الكريم أخو المعـالي ... مقـام الذل يعقبه ازدراء
إذا سمح الفتى بالعرض يومـاً ... فذلك والبهيمة قل سواء
وبئس العيش عيش فتى ذميم ... عليه من الخنا الداجي رداء
وأشرف مـا اقتناه الحر ذكر ... تقـاصر دون رياه الكباء[1]
عفـاف غيرة صدق وفاء ... رعاية منصب حزم إباء
وإقدام وجودٌ صدق وعد ... وعهد ليس يخفره البلاء
فتلك صفات من طلب المعالي ... وكان له إلى العليـا انتمـاء
ومن عشق الثنا هجر الدنايا ... ولم يلمم بساحته البذاء
تطلع للعلى والمجد دأباً ... وفي سبق الكرام له اعتناء
إذا جمع الكرام الصيد نـادٍ ... يضيىء له على العز اعتلاء
كما ضاءت فعال ذوي المعـالي ... هم القـادات غر أتقيـاء
لآل خليفة شيم تعالت ... عن الخلق الذميم فهم براء
وبالمعروف أمّـارون حقـاً ... وجاني المنكرات بهم هباء
أولو همم نوازع للتسامي ... على زحل يلوح لهـا علاء
سراع الغوث إن يدعَـوْا لعز ... وإن يدعَـوْا لمنقصة بطـاء

(١) الكباء ، ككساء : عود البخور .

أكفهم لدى الجدباء غيث . وكم رويت بها الأسل الظماء
لهم يوم الوغى وثبات أسد إذا أودى بأشبُلها العياء
يخوضون الكريهة لم يبالوا أحان الحين أم نزل القضاء
لقد سادوا فشادوا كل عز وطال بعزهم ذاك البناء
بهاليل وتقوى الله ركن به اعتصموا وبالتقوى وقاء
لهم حسن الجوار فلا الرزايا تصيب الجار فيهم والأذاء
تفرّع منهم ندب جواد كريم الطبع ديدنه العطاء
له خلق كزهر الروض يزهو عليه من الندى سحراً رداء
فيا ذا الفضل ياحسن السجايا كذا اسماً حيث حليتك العلاء
رأيتك للثنا تهتز طبعاً فجئت بما يقل له الجزاء
أأذكر حاجتي أم قد كفاني عن الافصاح حدسك والذكاء
بلى حسبي لآمالي شفيعاً حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت فرع لدوحة من بهم عرف الوفاء
وعن طرق الخنا واللوم يأبى لك الحسب المهذب والسناء
خليل لايغيره صباح يضيئ به وصال أو جفاء
وليس يحول ماكرت غداة عن الخلق الجميل ولا مساء
وأرضك كل مكرمة نبتها فعالك حيث ينقطع الرجاء
أتدرك شأو ربعك في التسامي بنوتيم وأنت لها سماء

إذا أثنى عليك المرء يوماً تصدقه المروءة والسخاء
وراجي فضلك الداني جفاه كفاه عن تعرضه الثناء
تباري الريح مكرمة ومجداً فتسبقها ولاح لك العلاء
ترى طلق المحيا ذا ازدهاء إذا ما الكلب أحجره الشتاء
ودونك سمط در لاقوافٍ بها يحلو التغني والحداء
نظمت بسلكها ما قيل قدماً فهل فرق بها أم ذا سواء
فسل من جاء من شرق وغرب أتأتي مثل نظمي الاذكياء
يحوز لي القوافي الغر فكري فأقطف من جناها ما أشاء
فسرّح طرف طرفك في رباها تجد روضا تغاديه السماء
أصون حماه عن فدم دنيء لديه المدح ساواه الهجاء
ودم في نعمة ورغيد عيش يلازمك المسرة والغناء
معاناً ماحدا حادٍ بقولي ليالي الوصل حق بها الهناء

★ ★ ★

وله أيضاً رحمه الله تعالى أبيات قالها لمناسبة جرت :

كن في الأمور اذا ماعن من أرب
بحسب مايقتضيه الحال في الآتي
فكم قويم يخلى لاستقامته إذ ليس يصلح إلا أعوج الذات

كالقوس لولا اعوجاج فيه ماانتفعت
عند النضال به أهل الرمايات

وله أيضاً رحمه الله تعالى أبيات وضمنها تاريخ لمركبنا السعد قال :

إله الخلق يامولاي يامن حلالي بالثناء عليه نطق
سألتك حفظ هذا الفلك مما تحاذره وكل عنى يشق
وكن باليمن قارنه دواماً فيبدو منه للخيرات سبق
وحقق خير فأل أرخوه يحف السعدَ تيسير ورزق

* * *

ومما قاله مشطراً الاربعة الأبيات الأولى المعزوة للشريف المرتضى ، وذيلها لأخيه الرضى، وهما البيتان الأخيران ، على أنه لم يتيقن صحة هذا العزو ، لنزول هذه الأبيات عن درجة نفسيهما ، ولولا مراعاة خاطر من سأله تشطيرهما لما فعل فقال :

سرى طيف سعدى طارقا فاستفزّني
هواها وطيش المستهام عتيد

بزورتها صادفت كل مسرة هويني وصحبي في الفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى إذا هو آل ما لديه ورود
من الخبل أن يرجو الوصال متيم إذا الدار قفر والمزار بعيد
أقول لعيني عاودي النوم واهجعي وهيهات نوم العاشقين شرود
ولم يقض لي دين الغرام مقالتي لعل خيالاً طارقا سيعود
فعادت وماعاد الخيال الذي سرى وما كل مرجوِّ النوال يفيد

وعـاودني هم ألم صبابة   وبت وكلتـا المقلتين تجود
فردت جواباً والدموع ذوارف   وللشوق في طي الضلوع وقود
أجيراننا والدار منعرج اللوى   أما آن للشمل الشتيت ردود
وهيهات من لقيا حبيب تعرضت   لدفع تـلاقيه حوادث سود
عسى نوب الأيام تجلى فتنطوي   لنا دون لقياه مهامه بيد

ثم قال رحمه الله : وقد خشيت من جاهل لايتصور ماقلته بأن الأبيات لم يكن فيها كبير معنى ولابليغه، ولاعربيه ، كثيرة الحشو بلاطائل ، فمعناها قليل وألفاظها كثير ، وذلك عين العي ، وهو ضد البلاغة كما قرره علماء المعاني في بابه ، فلوشاء ناظم أن يأتي بمعنى الستة الأبيات في ثلاثة وأقل ، فلايبعد ذلك ، فنظمت معناها في ثلاثة أبيات ارتجالا ، وهي هذه ، فتأمل ذلك على سبيل التمثيل ، وبيان وجه الدعوى ، بـلا إحكام لبناء الأبيات وبلا روية ليعلم ، صحة الدعوى :

سرى طيف سعدى طارقا فاستفزّني
ومذ لم أجده يقظة قلت عاودي
لنومك ياعيني فعادت ولم يعد   فجادت بدمع صار بعض الموارد
وقالت أما للشمل جمع فنلتقي   فأين التلاقي من بعيد المعاهد

☆ ☆ ☆

وفي هذا الأثناء وصلت أرجوزة من عبد الله بن أحمد بن عتيق الأحسائي ، طالبا من سيدي أن يجيزه إجازة عامة ، وهي هذه :

الحمد لله كفيل الآمل   ومن نهى عن انتهار السائل

ورافع المحسن في نيـاته ... صحيحة هجرته لذاتـه
أحمده حمـداً بطول الدهر ... ثوابه مدخّـر في الحشر
فهو الذي لي واصل المواهبـا ... وتابع الإنعام والرغائبـا
أعظم بمـا أنعم لي إذ أنقذا ... من ظلمة الجهل فلم أبق بـذا
سبحانه فمـا سواه حادث ... ووارث الخلق كذا والباعث
مكون الأكوان ربي ذو القِـدم ... وموجد الخلق جميعـاً من عدم
فلينظر اللبيب في آياته ... معتبراً ولا يكن في ذاته
يرى بهـا صنعاً عظيماً كالسما ... والأرض ما أنبت فيها من نما
ومن جبال راسيات فيها ... وشجر بعد القوى يحييهـا
ثم صلاة الله مولانا الصمد ... على نبي سـاد أولاد معد
محمـد كذا السلام الدائم ... مـا دامت الأفلاك والعوالم
والآل من حازوا بقربه الشرف ... وصحبه الغر فهم خير السلف
كـذا هداة الخلق أعني العلما ... ومن بمنهـاجهمُ قد وسمـا
خصهم الله بنقل السند ... عنعنة عن سيد عن سيد
ووصلوا بنظم تلك السلسله ... واسط عقد المرسلين المكمله
محمـد صلاة من قد أرسله ... تغشاه مـا مسترشد أخبر له
وبعد إني من خمول قدري ... وضعف جدي وجمود فكري
رمت التراقي لعزيز المرتقى ... وهمتي أحقرهـا أن تلحقا

لكنه أطمعني الرجاء … فالفضل يؤتي الله من يشاء

ثم استخرتُ الله قوّى عزمي … وحَسُنَ الظن فزال وهمي

سألته التوفيق للدراية … من فضله والفوز بالرواية

أسعد بجدي أبداً إن نالها … وأن أكون لاحقاً رجالها

أطلقت في هذا عنان فكري … فطاف طرفي إنْ لعد البحر

ترددا أين يكون الورد … وأين مني سند معتمد

أقصده لكي أفوز بالمنى … بما قصدت فيزول ذا العنا

فلم يصب حدسيَ في هذا الزمن … من متقن خرّيت هدي مؤتمن

غير التقي النقرس النحرير … صدر المحافل حق للتصدير[1]

كم فض من بكر من المعاني … فأصبحت تعد في الغواني

أعني به البحر الخضم العذبا … مسدد الرأي الرئيس الطبا

عبد الجليل السيد ابن السيد … ابن السيد ابن السيد ابن السيد

ضف هكذا إلى النبي المصطفى … ياحبذا سلسلة أهل الوفا

أهل الكسا وهم يسامون السما … سما لكيوانٍ عزيز المستما[2]

وبعده يا أيها المبرز … ومن لغايات العلوم محرز

عبد يحط بفناك الرحلا … أسعد به إن قلت أهلا أهلا

فإنني يا منتهى الإفادة … وغاية الفخار والسيادة

---

(١) النقرس : الدليل الحاذق الخريت .

(٢) الكيوان : زحل .

من عام مـا جزتم بنـا للحج … أهـابكم ولم أزل أرجـّي
متى نهضت نحوكـم أؤم … أقعدني الاحصار والتلعثم
لمـا أراه من وضيع قدري … ومن رفيع قدركـم وصغري
لكن تجرّأت ولم أرع الأدب … لمـا تيقنت بحسن المنقلب
لحسن ظني أيها المولى الأبر … أن لا يخيب السعي ورداً أو صدر
لأن مولانا الكريم جملك … بخلق مستحسن وجبلك
فإن على خُلْقك لن تضاها … فغير بدع إذ أبوك طه
بالباب عبد قبل الأعتـابا … قه العتـاب واقبل الجوابا
واصفح وسامح ما بدا من عيبه … وهبه لو أفرط في مطلوبه
وكـم أقلت عثرة لمثلي … أوليته صفحاً وعفواً كلي
فكم غفرت وسترت عورا … وكـم منحت فغمرت برا
وكم أعدت رسم دين عافي … وكـم أنلت من عديم عافي
وكـم أبنت من عزيز المعنى … لما خفى معناه واستكـنّـا
بطيب أنفـاسك يظهر الغنى … ويفهم البليد مـا عنه غنى
ويرزق الفتح من المنّـان … فيحرز السبق على الأقران[1]
جمعت جدا واجتهاداً وكـرم … فقت به من بين عرب وعجم
أبقاك مولاك لهذا الخلق … تولي الجميل وتقلْ بالحق
وتنشر الأحـكام والعلومـا … وتفهم المنطوق والمفهومـا

---

(١) هذا من غلو الشعراء في المديح والاطراء .

وتكسب السائل والمحروما وتصل المقطوع والمعدوما
ببابكم عبد ضعيف صادي اسقوه عذب سلسل الاسناد
إجازة من مسند لينتظم بسلك من بعقد إسناد نظم
في كل ما يروى عن الأشياخ من جهبذ مؤتمن مؤاخ
مما رويتم سادتي من أصل من كل فن من صحيح النقل
لاسيما الفقه ومتن السنة بوأك المولى علا في الجنة
وكل ما أجزت أو أجيز لك تجيزه لمن لنهجهم سلك
أجز وأنجز سيدي مارمته حقق رجائي فبقل أجزته
في كل ما رويته أن ينقله وأن يكون راويا مانقله
إن صح لي منكم سعد الأبد فأسعفوا عبيدكم ياسندي
ثم اغض عن ركة هذا النظم لما اقتضاه قصر باع فهم
هذا اجتهادي سيدي فإن أخل بأدب فهكذا جهد المقل
لكن من صفاتك الرفيعة ستراً لمن أخطل في الصنيعة
لازلت للوراد عذب المنهل يصدر مسروراً حقيق الأمل
وللوفود للقرى رحب الفنا إلى الرحيل والقرا فعن غنا
أحياك مولاك على السعادة وختم المولى على الشهادة
بحرمة النور المبين المصطفى والآل والصحب الهداة الحنفا
ما اشتاق من شط به المزار منتظراً أن تأته الأخبار

* * *

فأجابه سيدي الوالد رحمه الله تعالى لمـــا طلب ، بقوله: انظر وفقك الله مابين الأرجوزتين ، تجدهما سماء وأرضاً في العلو والانحطاط أوزيادة ، ولولا اقتضاء الحال ، لما أثبتها ليعلم فقال :

قال الفقير المذنب الجاني الأقل	عبد الجليل ذو الخطايا والزلل
هو ابن ياسين سليل الهادي	مستمنحاً مواهب الجواد
الحمـد لله الذي أجـاز من	يقرع باب فضله بغير من
كم وصل المنقطع الضعيفـا	إذا أتاه قانتـا حنيفـا
ويقبل الصحيح أو واهي العمل	ومن حديث النفس يغفر الزلل
آلاؤه جلت عن التعداد	ولم تـكن تختص بالآحاد
تواترت منه سوابغ النعم	في ظاهر الأمر وكل مكتتم
ثم الصلاة والتحيـات على	أزكى نبي جـاء منه مرسلا
يدعو إلى سبيل فتح الباري	باب سنا التوحيد والأسرار
محمد مشكاة هدي الله	من لم يكن عن ذكره باللاهي
والآل والصحب وكل تابعي	مـا قرطت أخبارهم مسامعي
وبعده فخير كل مدخر	حفظ حديث المصطفى الهادي الأبر
فـإنه بعد كتاب الله	للحجة البيضا بـلا اشتباه
به عن الزيغ يصان المعتقد	ويبلغ المرء به كنه الرشد
وإنّ بالاسناد أعلى منزله	لطالب الحديث حيث أوصله

إلى السراة السادة الحفاظ ... أهل التقى والعلم والايقاظ

أعني بهم أئمة الحديث ... في قادم الزمان والحديث

وكان ممن فيه جلت رغبته ... حيث علت في كل بحث همته

الشيخ عبد الله ذو التحقيق ... نسبته تعزى إلى عتيق

شب على كسب العلوم النافعة ... ولم يزل يبدي لها المسارعة

فحاز منها خير حظ وافر ... طال به مناكب الأكابر

وحيث كان منه بي ظن حسن ... أقامني في العلم في أعلى الفنن

فرام مني أن أجيزه بما ... أرويه عن بعض السراة العلما

ولم أكن لذا المرام أهلا ... فأين لي بأن أقول أهلا

ولا مددت للعلوم باعي ... من دون أن يرى لها انقطاعي

صدت بي الدنيا إلى الاضاعه ... وأحرمتني أشرف البضاعه

فاعتضت ما اعتاض أخو خزاعه ... والمخطىء الرأي له الشناعه

وكنت في عصر الشباب القادم ... نشرت للتحصيل من قوادمي

وعندما بلغت منها موقعا ... قيل فما سلَّم حتى ودعا

وإذ أتى الشيخ لربعي سائلا ... ما اخترت أن أرى بجهدي باخلا

وشأننا نقري الضيوف طبعا ... لذاك قلت طاعة وسمعا

لابن عتيق في الذي مني طلب ... من الإجازة التي تعلي الرتب

فقلت قد أجزت عبد الله في ... جميع ما أرويه من مصنف

من كل مـا تصح لي روايته　　أو انتهت لمخبري درايته
من كل علم قد أجزت فيه　　ومن كتاب عالم يحويه
فهرست شمس الفضل أعني المغرب　　محمد نجل سليمان الأبي
فهرسته يدعي بوصلة الخلف　　من كل موصول أتى عن السلف
فيـاله من جـامع قد شمـلا　　وقل من مؤلف منه خلا
ومـا حوته أسطر الامداد　　للبحر عبد الله ذي الامداد
من ألحق الأحفـاد بالأجـداد　　معمراً في طاعة الجواد
أعني بـذا البصري نجل سـالم　　حاوي التقى والعلم والمكارم
بحر العلوم شارح البخاري　　دامت عليه رحمة الغفار
وماحواه مسند النخليّ　　أحمـد رب المنصب العلي
هو المحدث الامـام الفاضل　　من غرفت من علمه الأفاضل
وكل مـا في ذا المجاميع التي　　ذكرتهـا أرويه بالتثبت
فليروه عنيَ عبد الله　　عن شيخنا المحرر الأواه
الجهبـذ المحقق العـلامة　　القدوة المدقق الفهـامة
محمـد هو ابن عبد الله　　من آل فيروز عظام الجـاه
إمـام أهل العلم في زمـانه　　لكونه فـاق على أقرانه
تلميذه يأتي على التحصيل　　بسرعة من غير مـا تطويل
أنفـاسه ميمونة مشتهره　　ما خاب قط طالب قد حضره

فكم ترى للشيخ من خريج　　في علمه ذي خلق بهيج
أسكنه الرحمن في الجنان　　ممتّعا بالحور والولدان
وشيخنا له شيوخ عدّه　　عنهم روى وكلهم أمده
فمنهم الندب الأمير الألمعي　　الشيخ عبد الله صافي المشرعي
نجل محمد ابن عابد اللطيف　　سليل أمجاد ذوي العلم المنيف
بوّأه الله ومن له سلف　　من جنة الفردوس في أعلى الغرف
ومنهم البر محمد سفر　　كلاهما يروي عن الشيخ الأغر
أعني به البصري نجل سالم　　السابق الذكر أخا المكارم
وقد حوى الامداد أشياخ التقي　　هذا وفيه كل حبر متقي
ومن شيوخ شيخنا أبو الحسن　　للسند يعزى المدني المؤتمن
وهو عن البحر محمد حياةْ　　السورتي ذي العلوم الباهراتْ
وهو عن البصري ذي الامداد　　أكرم به فخذ بذا الاسناد
ومن شيوخ شيخنا ابن غروقه　　سعد سقاه الله رحما مغدقه
عن الجبوري هو البغدادي　　سلطان ذي الفضل المبين البادي
وهو عن النخلي رب المسند　　أحمد شيخ المنتهي والمبتدي
وعن محمد وذاك المغربي　　إبن سليمان الإمام الأنجب
كذلك البصري عن ذا قد أخذ　　فطاب في الإمداد ذكره ولذ
والفقه للأربعة الأئمة　　أروي بذي السلسلة المهمة

والنحو والتصريف والمعـاني وكل علم رامه المعـاني
نرويه عن أربابه بالسند إجـازة عن شيخنـا محمد
هو ابن فيروز ربيع المجتدى لازال في كل الأمور منتدى
جزاهم الله بخير مـا جزى عن صالح الأعمال في يوم الجزا
إمدادهم فيه ووصلة الخلف جميع ما نروي إلى أعلى سلف
فنهما خذ سـائر الأسناد تصل به لغـاية المراد
هذا وإني مطلق الاجـازه لابن عتيق في الذي أجازه
لي شيخنـا رواية ونقلا عن الشيوخ السابقين فضلا
وكل نظم لي ونثر قد حـلا أجزته يرويه عني للملا
وكل ما ألّفت من رسالة لحسنهـا ترفل في غـلالة
مشترطـا عليه في جميع مـا يفتي به عن الثقات العلمـا
تـأخر الفتوى عن المراجعه إلا لحفظ سوّغ المسـارعه
كذلك أوصيه بتقوى الباري في كل إعلان وفي إسرار
وكفه عمـا نهى المولى وفي أوامر الرب بوسعه يفي
وإن يعين طالب العلم بمـا أمكن من تقريره ليفهمـا
وأن يكون صاحباً من صحبه بحسن صحبة ولن يؤنبه
وأن يغض عن معايبي البصر إذا بدت وليلف ممن اعتذر
ومنه أرجو صالح الدعـاء عند حضور القلب والنداء

بستر عيبي وصلاح حـالي ويقرن الفـلاح في مـآلي

وهذه إجـازة فيما أحب نظمتها إذ قلت هاك من رجب

تاريخهـا قـال لحسن سير إجـازة بدت بجوز خير

١٢٥٦ ﻫ

ثم الصلاة والسلام الوافي على الحبيب نخبة الأشراف

محمد أزكى الأنام الهـادي إلى طريق الحق والرشاد

وآله وصحبه والتابعي من مهدوا للدين كل لامع

ما حسنت للطالب الاجازة فنالهـا بأحسن الوجـازة

* * *

وطلب بعضهم من سيدي رحمه الله تعالى تذييل أبيات منسوبات للقاضي عياض المالـكي رحمه الله تعالى ، وقد التزم القاضي الجناس في أبياته ، فذيلها بالبيتين كذلك ، وهذه أبيات الأصل وهي ثلاثة ، ثم يليها الذيل ، وهما بيتان :

يامن تحمّل عني غير مكترث لـكنه للضنا والسقم أوصى بي

تركتني مستهام القلب ذا حرق أهلّ دمعاً على الخدين أوصابي

وما وجدت لذيذ النوم بعدكم إلا جنى حنظل في الطعم أو صاب

هل عودة يا أهيل الحي تنجدني فبعدكم بعد طول العز أوصابي

رفقاً بصب ولوع مغرم بكم ما راح منحرفا للغير أوصابي

ثم ان سيدي نظم الأبيات الآتية ، وكلها من قافية واحدة ، وذلك من الجناس الملقب بالتام ، ولو أراد الزيادة ، لنظم واحداً وعشرين بيتاً من قافية واحدة ، وهي من الجناس التام ، فقال رحمه الله تعالى مجانساً في جميع القوافي كما تراه :

أطعت حكم الهوى فيما قضاه فما رعى فؤاد معنًى فيه بئس ولي

ماخامر الحب قلباً فاستراح به ولا صحا طالح قد ذاقه وولي

أصبحت في الحب مابين الورى مثلا

تروى أحاديثه عني عليّ ولي

قيس مضى وعهود الحب باقية وليس غيري لذاك العهد صح ولي

جار الحبيب على حكم الهوى فقضى بالبعد عني وإن أمسيت منه ولي

ويل المشوق المعنى عاش في نصب ولم يجد راحماً من منجد وولي

سوى زفير علا في الصدر من حرق وصوب دمع هو الوسميّ ثم ولي

وما أطعت نصوحاً في الهوى وأرى أن النصيح عذول فيه غير ولي

* * *

ومما قاله سيدي أيضاً رحمه الله تعالى مجيباً الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عثمان الأحسائي ، ومحمد بن علي البعلي عن مناظيم وردت إليه منهما ، فلم يسعه إلا مجاوبتهما نفياً لتهمة الاستنكاف ، وارتكاب طريقة أهل الكبر والاعتساف ، فأرسل لكل منهما نسخة منها ، وفي آخرها رسالة تخصه ، وقد أتى رحمه الله تعالى فيها ، أي في الرسالتين الآتيتين ، على أثر القصيدة بمارق وراق ، مماتستلذه الأذواق ، وضمنها من الأمثال البديعة ، والاشارات إلى لمع من النكت العجيبة المريعة ، فمن تأملها عرف مااحتويا عليه من ذلك ، وسأذكرهما في ذيل القصيدة هنالك ، فقال :

إلى طيب ملهى العذارى وملعب يحن فؤاد المستهام المعذب

وأصبو إلى عصر تقضى على الصفا وبرق الأماني والرضى غير خلب

أطيع الهوى فيما يشاء صبابة وأعصي نصيحي في الهوى ومؤنبي

لعز الهوى أذللت جامحة الصبا كما ارتاض بالالجام صهوة أصعب
وما زال لي في الحب أبعد مطمع تقصر عن أدناه أطماع أشعب
ليالي لاواشٍ أحاذر بغيه ولا أتقي عين الرقيب المرتب
أسير الهوى طلق العنان خليعهُ أسير به في كل وجه ومذهب
لياليَ الصبا مرت علينا كأنها خيال الكرى أو خلسة المتريب
تواصلني فيها الرباب وزينب ويا طيب عيشي بالرباب وزينب
ليالي إذ أدت عزيزة بيننا رسائل شوق هيجت كل مختبي
وإذ أنشقتني من عصابة منيتي
شذا المسك تغذي للصديغ المعقرب
وأملتْ أحاديث الهوى دونها الصبا
سحيراً وقد مرت بأزهار معشب
فأسكرني ذاك الحديث وطيبه وتذكاره لليوم أسكر مطرب
وموقف ذل قد وقفت لنظرة أسارقها من ذات حسن محجب
فأبلغ طوراً ما أردت وتارة أرى دونها حد الحسام المشطب
ولست بناس إذ مررت فأومأت إليّ بأطراف البنان المخضب
علقت هواها وهي طفل غريرة وكنت وإياها بأنزه مكتب
تصد وتبدي لي أسيلًا كأنه صبيحة بدر ضاء في جنح غيهب

ويا ليتنا لليوم في المكتب الذي حوانا ولم تحدث دواعي التجنب

لقد صرمت أيدي النوى سبب اللقـا

وطـار تلاقينـا بعنقـاء مغرب

وما زال بي من حبها كل لاعج يزيد وقود الوجد أيٌ تلهب

إذا خطرت في القلب هام صبابة وناديت واشوقاه يا أخت جندب

ولست بساليهـا ولست بناقض

عهود الهوى مـا دام أركان كبكب

ورب الهوى العذريّ لم يدر سلوة وإن كان مغموراً بحلّة أشيب

رعى الله أوقاتا نعمنا بطيبهـا وغادى ربوع الأنس من كل صيّب

وأروى عراص الروضتين التي بها تغازلني ألحـاظ ريم وربرب

مغاني الغواني المائسات ومن حلا لها التيه عن لطف الدلال المحبب

وحيى ربوعاً حول ساحة جسرها بها نلت آمالي وغـايات مطلبي

ونادمت فيها كل ثقف عطود حميد المساعي ماجد الخال والأب

تدار كؤوس الفضل فينا فنحتسي

شراب طلا الآداب أعذب مشرب

فمن مبحث في العلم طاب اجتذابه ومن شاهد رقت معانيه أعذب

ونادرة تستنشق الروح عطرها يشنف منها سمع كل مهذب

مغاني كرام ليس يخذل جارهم ولا مجتدي إحسانهم بالمخيب

يصادف منهم ضيفهم كل بغية ... ببشر وتوقير و«أهلًا» ومرحب

ويرجع منهم والهاً مغرماً بهم ... لحسن مواساة وإن كان أجنبي

هم بهجة النادي نجوم سمائه ... مكارمهم تنسيك آل المهلب

أولائك أخداني وقومي وجيرتي ... فمن مثلهم من منجب وابن منجب

عليهم قضت أيدي الرزايا فلم تزل ... تساقط منهم كوكبا إثر كوكب

وأضحت مغانيهم قفاراً من الدمى ... ومن كل غطريف جواد مدرب

كأن لم يكن فيها أنيس مسامر ... ولا حل فيها للقرى بعض لغب

ومن بعدهم أقوت معاهد جودهم

فيا ضيف خذ في حفظ زادك واعزب

فيالك من دهر تحكم ريبه ... وأودى بأقيال لهم نخوة الأب

ولا عوض عنهم يزاح به الأسى ... وفاقدهم أضحى كأجذم أعضب

وهل ساغ أن يعتاض عنهم بجاهل ... من النُّوك أو فدم عديم التأدب

عريّ من الآداب والفضل باقل ... تراه إذا طارحته يشبه الصبي

ألذ وأحلى كل شيء لديه ما ... إذا شام برقاً لاح في أفق مكسب

إذا دار في النادي لطيف نوادر ... وشعر يرى المثقل كالمتجنب

ولم ألف ذا فهم ونفس شريفة ... فيرتاح للآداب عن طيب مشرب

ولم يبق مما يستطاب سوى الذي ... تضمنه الأسفار من كل معرب

وما راق ننشئه القرائح حادثاً ... طريا أتى من نحو شرق ومغرب

كمثل نظام جاءني فاق نشره ... على الروض جادته الغوادي بصيب

به يتحلى جيد هيفاء غـادة ... فيدرك منها الحسن أبعد مطلب

تنظمه عقداً أنامل مـاجد ... له في مقام الفضل أرفع منصب

تبيه نبيل ذو صفات حميدة ... تميزه في النبل في كل موكب

حريص على كسب الفضائل مذ نشا

وقد يسبق الأقران فضل التكسب

لقد عرفت منه الظرافة شيمة ... ورب ظريف للقلوب محبب

كريم إخاء جامع حسن عشرة ... تقيم بعيداً كالحميم المقرب

سليقيٌّ منظوم ونثر كأنه ... كفاه سليم الطبع عن نحو «قطرب»

هو الشيخ عبد الله نجل محمد ... سليل كرام كل أنجب أغلب

جهابذة علماً فحلوه بالتقى ... إلى ورع صاف الموارد أعذب

وبالفرض حازوا العلم لاعن كلالة ... فمن كابر عن كابر كالتعصب

تقصّد عبد الله قصد سبيلهم ... ففاز بفضل نابه الذكر معجب

ففـاق بنظم لايباريه شاعر ... سوى ما أتى من نظم واف مهذب

كسمط من العقيان والدرّ فصلت ... فرائده من كل غال مثقب

نظـام فريد في القريض مبرز ... فلم يرض من بكر المعاني بثيب

وثيق عهود الود مذ كان يافعاً ... ومازال حلفاً للإخاء المحبب

ذكي به علم العقاقير نيّـر ... فأصبح جالينوس في جنبه غبي

هو ابن علي ذو الوفـاء محمد ... محب لآل المرتضى عترة النبي
غدا نظمه وشي الربيع وكاولا ... بصدق وداد بالولاء مطنب
فقابله مني القبول مع الرضى ... وأعددته للأنس ألطف مطرب
فيامن أنافا في القريض تسامياً ... إلى كاهل الإحسان بالحسن قدحبي
خذا لكما مني جواباً منقحاً ... يفوق على أشعار بكر وتغلب
أتيت به والفكر مرتهن الصدى ... وقرضاً به قد كل عن كل مضرب
ولست إلى نهج البلاغة ناظراً ... يحجبها عني شواغل حدن بي
ولو لم أحاذر نسبة الكبر لم أفه ... بما قلت كالعشواء تخبط محتبي
ولا زلتما في نعمة ومسرة ... دواماً وعش بالمعافاة طيب
سعيدين مالاحت بوارق مزنة ... وما فاح مسكيُّ الختام المطيب

☆ ✱ ☆

وأتبع رحمه الله تعالى القصيدة بنثر ، وأرسل لكل واحد نسخة ، وهذه رسالة لمحمد بن علي إثر نسخته :

إن ألطف ما اكتحلت به الأحداق ، رسائل الأشواق ، إذا تكفلت بمـا رق وراق ، بما تتحلى به الأوراق ، كرسالة وردت إلينا آنفاً ، غدوت منهـا لأنوار الربيع قاطفاً ، رسالة من نسجت البلاغة مطارف نظامه ، وتقاطرت شآبيب البراعة من شق أقلامه ، صاحبنا صادق الود الجلي محمد بن علي ، لازال ربيع الآداب آهلا عامراً ، يقتطف من أفنان فنونه ثمرات أفكار الأكابر . آمين . وبعد اهداء عاطر السلام اليك ، فلا يخفى عليك أن جواب منظومك واصل إليك ، فاشدد به يديك ، وقد عقدت الشركة بينك وبين عبد الله في تحفة هذه المدحة ، لكونه السابق في حلبة التعريض على قصيدتنا

المنحة ، ولم أتقدم لمجاراته في مضمار المجاوبة ، فخشيت أن يعد ذلك نوعاً من المجانبة ، فنظمت خطابكما في سلك واحد على نمط ، تلافياً لما فرط ، وأعطيت كل ذي حق حقه، وملأت من إطرائه حقه ،ولما رأيتك أخرت النسيب المقدم ، وأبرزت مدحتك عارية من بردها المعلم ، مع أنه مما ترتاح به النفوس ، بل لاعطر بعد عروس ، أحببت أن أقوم عنك وعني على عادتي من أداء حقوق النسيب ، وأن أقرط بشنوف ما يجري بين المحب والحبيب ، فطال ذيله بكل طائل ، ومال نيله عن يد المتناول ، ومزجت جزالته برقة الغزل ،فتجاوزت به ما وقف دونه الأول ، وأعقبت ذلك بمدح تنقطع دونه أعناق المطامع، وأردفته بالرثاء المستدعي ،لتسكاب جامد المدامع والمرثي،المعنى في بطن الشاعر ، وقد تقع عليه حوائم الخواطر على عينك يا تاجر، ثم أوضحت الشكوى من حال المجاور في الرثاثة، لعلي أظفر بواحد من الثلاثة،وإذ أقبل من أخي الفلوات شكوى حين لم يجد إلا اليعافير والعيس ، فلا عتب على من اشتكى فقد الجليس النفيس ، وعند انتهاء جري أدهم اليراع الى الغاية من حسن هذا التوقيع ، حبيت عنانه عن التجاوز إلى مالا يستطيع .

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ماتستطيع

ودم في عافية غير عافية ، ونعمة واقية ضافية ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وهذه صورة رسالة الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد التي في إثر نسخته المرسلة اليه ، المشار إليهـــا .

قال رحمه الله تعالى :

ما وشمت وجنات الأرقـــام ، بأنامل الأقلام ، بأحسن من سلام تنشق أريجه معاطس ذوي الوداد على تنائي البلاد ، يهدى إلى أيد طاب خيمه ، ونبت على الفضل أديمه، رضي الأخلاق، كريم لأعراق، الشاب الظريف ، فما ابن العفيف ؟! الشيخ عبدالله ابن محمد بن أحمد ، بلغه الله المقام الأحمد، وأناله كل سؤل ومقصد ، آمين . عب الدعاء فالباعث لتحرير الكتاب،هو إعلامك أن تقريظك على النفحة قد عطر هذه الرحاب ، وقد

اطردت العادة أن التقريظ لايكـى حلة الجواب ، فلذلك أعرضت عن رسمه اجراء لحكمه لاالظامه ،ولما مد محمد بن علي إلى روضة الأدب باعه ، وأدلى دلوه في عينه النباعة ، وملأ من اغتراف المدح مراده ، وقدم إلي من ذلك زاده ، ورأيته لم يحتقب إلي من أبياته إلا بزاد الراكب ، فملئت حقيبته بأسنى المطالب ، وأخذت أسحب رداء الغزل في ملاعب الغواني،ونسجته على منوال الرقة وراء رقة المعاني ،فأتيت منه بما يلزم الشيب نعي الشباب، ويقضي بتذراف المقل بواكف الرباب ، لتذكار زمان تلعاب زينب والرباب، وذلك أني رأيت مدحته عارية من ذلك المطرف المفوف ، وتركه في غمار النكرة التي لاتتعرف في موسم المعرف ، فجلبت في سوق عـكاظ الغزل الرقيق ، وطرزت حاشية جوابه من مدحتك ماقصر مادح أبي عتيق ، تلافياً لما فات ، وجمعـاً لذلك الشتات ، وقد جعلت له نصيباً من قسمة هذه البضاعة المزجاة ، لئلا يعود أحدكما من جوابنـا فارغ المخلاة،وأفردت لكل منكما نسخة أبت إلا رفع المعارض نسخه ، ولم تطل الا بتعلقها بأفنان فنون ، وتعمقهـا بشعاب فنون الجنون ، وهذه نسخة من القصيدة الفريدة ، موجهة إلى حضرتك السعيدة ، فبعد رفولها بحليها وحللها في ساحتك ، وجلائهـا على المنصة بين أيدي أودائك وصحابتك ، أجل لي مرآة مدحها ، وأ.ط عني نقاب قدحها ، وأعلمني بما يقوله أهل الجرح والتعديل ، وأعدل بنا في ذلك عن سبيل الاجمـال إلى التفصيل ، ففي ذلك أتم فائدة ، وهي للناظم عائدة ، ليعلم كيف يضع يديه فماسينتظم لديه ، وعطر أندية ساداتنا المشايخ عمومـاً بفائح غالية التحية ، وخصوصاً أخاك ذا النفس الزكية ، وجميع من حضر ناديك ومن لبى مناديك ، ودم في مسرات متواصلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

ومما قاله رحمه الله تعالى مادحاً السلطان الأعظم ، السلطان ابن السلطان ، السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد ، ومهنئاً على نصرته ، واسترجاع الممالك الحجازية والشامية وغيرهما مما كان خارجاً عنه،وعودها إليه،وذلك في سنة ١٢٥٦ هـ ، وقد بعث القصيدة وما معهـا من المنثور في ٢ ربيع أول من سنة ١٢٥٧هـ ،

وقد صدرها بهذه الخطبة ، وأبان مطلوبه في آخرها ، فقال رحمه الله تعالى :

الحمد لله الذي أمد الدولة العثمانية ببسطة التأييد، وجعل النصر من مقدمات جيوشها ، وأظفرهـا على كل جان عنيد ، ونشر ألوية سعودها على مفارق الأيام بمقتضى التخليد ، وقضى لمعاديها بذل الخيبة بما يريد ، وقيل له عند اذاقة الهوان (هذا ما كنت منه تحيد) .

أحمده وأمجده سبحانه ، وهو أهل التحميد والتمجيد ، حيث أنار هـذه الدولة بشموس التهاني، لبلوغها غاية الأمر الرشيد ، حمد عبد قائم بحق العبودية ، معترف بأنه عبد المجيد الحميد ، وأشكره على أن قرن الدولة بطالع التوفيق والتسديد، شكر محمود في حسن معاملة باريه ، فقضى له من العز بالمزيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الذي أمدها ـ للعناية بها ـ في كل عصر بخلق جديد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بلغت بمتابعة هديه فوق ما تريد ، وكان لها إلى الخيرات منه سائق وشهيد ، صلى الله وسلم عليه ، وأكرم نزله لديه ، فإنه المبعوث إلى العالمين رحمة ، الذي شهد القرآن لأمته ببركته بأنها خير أمة، القائل : « ان من البيان لسحراً وان من الشعر لحكمة » أفصح من نطق بالضاد ، بين العرب العرباء الذي أنزل الله عليه (قل لاأسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) صلاة وسلاماً يدومان ما كر الجديدان، وما شملت الأفراح قلوب أهل الايمان للبشارة بنصرة آل عثمان .

أما بعد ، فإن الدولة العثمانية لم تزل بحمد الله تعالى منصورة واسهمها من قسمة السعادة موفورة، وقلوب أعوانها بالظهور مسرورة ، قامعة لشوكة المعاندين لايضيرها خيانة المعتدين، وذلك لقيام عمودها بالشرع الشريف ، وعملها بالحق في القوي والضعيف، وروعها لكل جائر يحيف، فلم تزل ملحوظة بعين العناية الربانية، مؤيدة بالأمداد الصمدانية ، وشاهد الحال قاض بتحقيق هذا المقال ، فإن الأيام المصرية قد شب لها في الحروب ضرام ، واضطربت لشدة صولتها أفئدة الخاص والعام، ومذ قابلها الطالع السعيد السلطاني ولت على أعقابها مدحورة الأماني ، وذلك بإقبال سعادة سلطاننا الأعظم، القمقام الخلاحل الأقوم ، الهمام الذي أعطى الرياسة حقها من العدل والإقدام والجود ، مولانا السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود ، ظل الله الظليل

في الأرض،القائم به منار السنة والفرض ، الذي اكتحلت بانتباهه عيون الرعايا بلذة الغمض ، وارتفعت برأفته شؤون أبناء الرسول ، بعد الانحطاط والخفض ، المرتقب بشفقته عليهم حسن الجزاء يوم العرض ، الملك الذي ملك أزمة المآثر ، وجمع شتات المكارم والمفاخر كابراً عن كابر ، من كشف بآرائه دياجي الخطوب ، وقطع بمرهفات عزائمه أسباب الكروب ، وأقام بحسن سياسته من العدل مـا كان ساقطا للجنوب ، فانعطفت على مودته من الرعايا جميع القلوب ،وهبت بعشائرسيادته نسائم الشمال والجنوب، وبسطت ببقاء دولته أكف الأدعية في مظاهر الغيوب ، وعندمـا من المولى الكريم ، بتعطفات مدده الوافر الجسيم ، من تأييد الدولة المنصورة العثمانية ، وطلعت بدور إقبالها منيرة في هذه الأقطار العربية ، حركت البشائر بذلك دواعي الابتهاج ، وتخللت بالمسرات قلوب أهل الفجاج . ونشرت أعلام الافراح في أكناف البلاد ، وارتاحت لذلك نفيسات نفوس الحاضر والباد ، وقام بحمد المنعم بذلك وشكره جميع العباد ، وكنت قد استحكم مني الفرح بنصرة باذخ تلك الحضرة ، حتى لقد تميزت بذلك على من كان لي من أسره ، فأخذت بتهنئه مولانا فيما منحه الله تعالى من النصر والظفر ، وبما أفاض عليه من مواهب التوفيق وقضاء الوطر ، ولم أتمالك أن قمت بنشر فضائل مولانا صادحاً ، وأنشدت هذه الفريدة مهنئاً ومادحاً ، وقبل توجهها إلى الحضرة العلية السامية ، سارت بهـا الركبان الى كل ناحية ، لكونها نظمت من غرر مدائح مولانا كل فريدة مستجادة ، وجاءت في لبات الأعصر أبهى قلادة ، ولقد أفرغت في قالب المديح جهدي ، وأنفقت من ذلك نفيس ما عندي ، فإن وقعت من الحضرة العلية في محل القبول ، فذلك غاية المنى والسول، والقصيدة هي هذه حيث أقول :

بشّر بعز قد أضـاء مخلد شملت به الأفراح كل موحد

عزّ رسا كالطود لمـا أحكمت منه القواعد عن بنان مسدد

وبدا به بدر الرياسة طالعـاً في مركز الإقبال فوق الفرقد

ضاءت نواحي الملك بعد محاقها واستبدلت بعد العفا بتجدد
والدهر فاء إلى الوفاء بعهده بعد التماطل أمّ صدق الموعد
متنصلًا وقد استقال عثاره وأتى بكل مبرة لم تعهد
والنصر أقبل بالهنا متكملًا وبشامل الفتح القريب المسعد
والعيش طاب وأسفرت أيامه ببلوغ غايات المنى والمقصد
فليهننا العيش الرغيد وطالع الـ ـسعد المديد ونيل عزٍّ سرمد
لابدع إن الصبر يعقب نصرة وبه يفل العزم جمع المعتدي
وبه الفتى يقضي لبانته وإن بعدت وكم بلغ النهاية مبتدي
والحزم في كل الأمور مقارن للفوز في نيل المرام الأبعد
لاملك بالغفلات كالراعي إذا لم ينتبه فالذئب منه بمرصد
غفلت أمية فاستباح فناءها عبدٌ لها في الشرق غير مسود
وبنو عبيد إذ وهت عزماتها قام ابن أيوب وقال لها اقعد
وأتى هلاكو بالفوادح مذ رُئي أمر الخليفة للوزير الملحد
والله بارينا جرت عاداته في كل طاغ بالهلاك مقيد
فاعدد لأمرك حسن رأي مثلما تعتد في يوم اللقا بمهند
والرأي عند ذوي البصائر والتقى من جربوا بنصيحة المسترشد
لايبلغ الآمال إلا حازم يستوضح الإصدار قبل المورد
متيقظاً كالعادل الملك الذي تعنو الملوك لعزمه المتوقد

سلطاننا عبد المجيد ومن له ال	بأس الشديد وكل مجـد أتلد

حـامي الذمار غياث داعي الانتصـا

ر قرير عين الجـار والمستنجد

نجم الهدى بحر الندى لما بدا	أسقى العدى كأس الردى للموعد

مولى العطا زاكي الخطا وإذا سطا	محق الخطا من كل جان مفسد

ملك شأى كل الملوك بعزمه	وبمجده وبجوده والمحتد

ملك حليف مكارم لاتنتهي	ورضيعهـا من يوم بدء المولد

ملك تأهل للرياسة مذ نشـا	وأقام ركن علائهـا المتهدد

ملك له الملك الأتم وراثة	ورياسة ونجابة لم تجحد

ملك له الأملاك تبدو خضعاً	وإليه ألقى كل قيل باليد

ملك له الهمم التي لاتنتهي	عمـا يروم ولو بشق الأسود

ماردها عدد الجموع ولا الحصو	ن المانعات إذا نحاهـا المعتدي

وله عزائم كالسيوف بواتر	في غير هامات العدى لم تغمد

بصباه قد فاق الشيوخ برأيه	فكأنه دون التجارب يهتدي

كم مارق أخذ الغرور بضبعه	فأحله في مهيع المتصدد

بالبغي رام خفاء ماهو ظاهر	بالحق والعدل العميم المسعد

أبفيه يطفي شمس ملك أشرقت	بالشرع من ست المئين مؤيد

أو خان بغي عند جولة باطل	يعلو ويسفل بدر حق مسعد

والله يأبى ذاك ثم رسوله | والمؤمنون وكل ذي عقل هدي
والشمس يحجبها الغمام ونورها | باق به ظهر البسيطة يرتدي
وإذا سحاب الصيف أرهب رعده | يوماً مضى وكأنه لم يرعد
إن الغرور يذيق صاحبه الردى | والذل عاقبة الخيانة كالردي
فأقام مولانا له بأس امرىء | طب بأدواء الحوادث مهتدي
ولحربه قاد القياصرة الألى | ألفوا الوغى بغرار كل مهند
أجرى إليه السفن كالأعلام قد | قدت له متن الخضم المزبد
ملأى مقانب كل أروع باسل | ندب هزبر بالحروب معود
من حشوها الآلات كم دكت بها | شم الحصون وصم قاسي الجلمد
وإليه قد ملأ الفجاج حجىء فلا | من كل صنديد أغرّ عطود
فإذا أثارت من قساطلها ضحى | أبصرت عين الشمس عين الأربد
حتى إذا نزلت بساحات العدى | نكصوا على الأعقاب كل مشرد
راحوا بأثواب الندامة والأسى | أسفا على ما فاتهم من معهد
بالجد والجد العلي وبالظبى | فرّوا كجافلة الظباء الشرد
حانوا بطالع سعد مولانا الذي | أزرى بكل متوج ومسود
هذا الذي وفّى الإمارة حقها | بفعال شهم مستماح سيد
فله البسالة والثبات بموطن | فيه يرى أسد الشرى كالقعدد
وإذا دجا ليل الخطوب أناره | بصباح رأي بالصواب مشدد

وبه اكتسى الإسلام أفخر حلة ... وبه أعز الله حزب محمد
لولاه كان الدين منفصم العرى ... إذعاد من بعد الصقالة كالصدي
طمست معالمه وأسس ضدها ... إذ لم يكن لحماه من متعهد
نسجت عليه العنكبوت ثيابها ... فكأنه فيما مضى لم يعهد
حتى تداركه الإله بمن أتى ... في نصرة الإسلام أعظم منجد
فأعاد بهجته بأحسن رونق ... وعلت عليه نضارة المتجدد
وغدا به دين الرسول وحكمه ... يعلو على هام السهى والفرقد
وبه أقام الله شرع نبيه ... بعد الخمول لغفلة المتفقد
زالت به بدع وسود مناكر ... منها رأينا الدين كالمتهدد
وبه خوت أركان مرتكبي الخنا ... واشتد عضد أخي التقى المتهجد
هذا المليك ابن المليك ومن ترى ... ذكر اسمه يحلو بمنبر مسجد
كم أبرزت شفتاه من أجل ومن ... رزق يعم المعتدي والمجتدي
مولى ترفع كه في لثمه ... عن كل ملك لافقير يجتدي
غوث الصريخ غياث ملهوف به ... كم يستجار من الزمان الأنكد
بالعدل ساد فشاد أبنية الثنا ... والعدل داعية العلى والسؤدد
والعدل حصن الملك وهو عموده ... وبه استقام ودام كالمتأبد
فبعدله أمنت رعيته الأذى ... ونمت ونالت كل حظ أسعد
وبجوده الفياض قد عمّ الورى ... من كل دان أوقصيٍّ أبعد

إن كف واكف مزنة فبكفه | في المحل يروي كل ذي فقر صدي
بين الغمام وكفه فرق فذا | بالماء جاد وكفه بالعسجد
والبحر ليس له كفيض نواله | ماوارد ملحاً كعذب المورد
ياطالبي المعروف زوروا قصره | تجدوا هماماً بالمكارم مرتدي
ذا كعبة المعروف والجود الذي | ماشأنه منٌّ على المسترفد
من أم أبواب الكريم يفز بما | يرجوه من نيل وفوق المقصد
من آل عثمان الملوك الصيد من | عمروا الممالك بالتقى والسؤدد
العادلين الفاتكين الناسكين ال | واهبين الراكعين السجد
ورثوا الفضائل كابراً عن كابر | من سيد عن سيد كالمسند
وإذا سطوا كانوا ليوث عرينة | وإذا امتطوا يعلون كل مسود
وازّينت بهم المنابر والأسرّ | ة والسروج وكل ذروة مقعد
عرفوا المهيمن فابتغوا رضوانه | وبشكره جدوا كفعل المرشد
فحباهم مالم تكن عين رأت | من مد ملك بالفلاح موطد
منهم تفرع ذو العلى سلطاننا | فأتى بمثل فعالهم كالمقتدي
ياأيها القمقام والمولى الهما | م الماجد الضرغام ياريّ الصدي
ياخير ملك قد أتت أيامه | بعظيم يمن شامل متعدد
عم السرور به بني طه كما | زهت الصفا ومنى وركن المسجد
يهنيك ملك قد تحلى بالعلى | وبكل عز ثابت لم ينفد

فلك الهنا زال العنا وتواترت نعم الإله بكل عون مسعد
فاشكر إلهاً قد أمدك نصره والنصر بالمدد الالهي يبتدي
والشكر للنعماء حصن مانع صنهابه ما صان من لم يحمد
والله قد وعد المزيد بشكره ولأن شكرتم قال فاشكر تردد
ولكل جنس نوع شكر خصه ما شكر متجر كذي مستحصد
شكر الولاة بعدلهم وبرفقهم والحكم بالشرع الشريف الأحمد
وبأمر معروف ونهي مناكر في الله لايخشون لوم مفند
والإلتفات إلى الرعية كلها بتصفح الأحوال عن جور الردي
والجور عم وطم في أكنافنا ومن استغاث فلا مغيث مهتد
فاغنم رضا المولى بذاك تنل به عزاً وملكا لايزاحم سرمد
وإليك من أبكار فكري حرة فاقت على كل الحسان الخرد
صينت معاطفها فلم تَلِهايدٌ ليست لها كفء بسامي المحتد
بصرية المغنى نهاها والد يعزى إلى آل الرسول محمد
حسنيّ جد لقبوه طباطبا للعلم نسبتنا كما منا ابتدي
ونعد من أعيان بلدتنا لنا افتاؤها وطريقة المتعبد
نحبو الضيوف طلاقة وبشاشة وقرىً بنادينا عظيم الموقد
ونعد للأيتام خير كفالة ويرى بنا العافي كمنبسط اليد
كذلك الغرباء تأوي دورنا من كل قطر منهم أو منجد

هذي سجايانا ويشهد خالقي ما كنت في دعواي أفّاكاً ردي
جاءت إليك تجوب كل تنوفة وقرى ومدناً في مجاهل فدفد
قد ساقها وحدا بها شوق إلى مغناك مرتبع الغطارفة الندي
لتنوب عني بالتهاني عندما منّ الكريم بنصرك المتجدد
وأتتك تحمل من تحياتي شذا مسك يضوع برحب ذاك المشهد
وتقيم عذري حيث أقعدني العيا لمّا نهضت إلى لقائك سيدي
والشيب آفة قوة الندب الذي إن قام فيما رام قال له اقعد
ما مهرها إلا القبول ونظرة فيها مراحم سيدي للمجتدي
حتى يرى تجري له صدقاتكم بفكاك نخلي من مخالب معتد
وبذا جرت عاداتكم من سالف فعلته آباء المليك الأوحد
كم أطلقوا من ألف باسق نخلة من كل ميريٍّ معافى سرمدي
وبذا فرامين بأيدي قومنا ودفاتر السلطان سلها تشهد
لا بدع أن يأتم سلطان الورى بجدوده فهوه الإمام المقتدي
فامنن بفضلك سيدي إني امرؤ قد مسني ضر المظالم ذد جد
جد لي وأطلق أسر نخلي من أذى الـ ميرى معافىً فلم يزل كمُبْد
وكذلك الصدقات تجري دائما والله يجزي العبد عنها في غد
وعد الجزا سبحانه بكتابه وقد استحال عليه خلف الموعد
من خير ما ادخر الفتى بزمانه ظلم يزال ورحمة المسترفد

واسلم تعاطى بالتهاني دائماً ... وبمطلق الأفراح تمسي تغتدي
لازلت ياعينَ الزمان ممتعاً ... برواق عزّ بالسعود ممدد
تزهو بك الدنيا وتثمر بالهنا ... وتدوم في حلل السعادة ترتدي
يقضي بأمرك من تباعد أو دنا ... في رغد عيش بالنعيم مخلد
والسعد يخدم باب حضرتك التي ... هي مورد الأملاك والمستنجد
مالاح برق أو همى ودق وما ... بلّغتني فضلًا ومنًّا مقصد

وبعد انتهـــاء نظم هذه الفريدة الثمينة ، التي عز أن تزف في هيكلهـا ظعينة ، وهيهات أن تجاورها في بلاغتها من بنات العرب قرينة ، لكونها درجت من أهل بيت عليهم أنزل الوحي والسكينة ، وأهديت إلى حضرة قطب دائرة العدل من بسط للاحسان يمينه ، الجواد الذي مد عليه سرادق المجد وارتوى من الفضل معينه ، فأسأل الله رب كل شيء ومبديه ومبينه ،أن يكون ناصره ومعينه ، وأن يقمع معاديه ويذله ويهينه ، وأن يحفظ شريف مهجته في منيع كلاءته الحصينة ، فالمعروض بين يدي تلك الحضرة العظمى ، والمورد الذي وارده لايظما ، هو أني لما علمت أن بحر جود مولانا لاتكدره الدلاء ، وأنه للفياض كرماً فلا يفتقر إلى مد الرشاء ، طاب لي عند ذلك أن أرفع إلى المقام العالي ، لازال بدر سعوده على الآفـــاق نيراً متلالي : أن لمملوك إحسانكم أربعة آلاف نخلة متفرقة في أنهار البصرة ، وله دكان جزار في بعض أسواقها ، وقد استحوذ الميري على ما كان لذلك من غلة ومن أجرة ، فأرجو أن تلاحظني من مراحمكم أقل نظرة ، وأن يرشحني من فيض إحسانكم بعض قطرة ، فيصدر لي من رفيع شريف تلك الحضرة فرمـــان شريف يتضمن إسقاط الميري عن نخلي والدكان المذكور ، ليكون ذلك داخلاً في صنف المعارف الدائم على تعاقب العصور ، وليعود كسر قلبي من ظلم الجـــائرين مجبور ،

وباسقاط الميري عن بعض المستحقين ، لقد جرت عادات أسلافكم المحسنين ، ويشهد بذلك دفترخانة السلاطين الأقدمين ، وبامضاء تلك العادة تحيي سنة آبائك الطاهرين ، درت عليهم سحائب الغفران من أرحم الراحمين ، ويكون ذلك وصلة بينك وبين رب العالمين ، وتذكرة لعميم إحسانكم على توالي السنين. قال الله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) وكيف لاأفوز بنيل أملي منك حقاً وأنت الحري بالتعلق من مراضي الله بالعروة الوثقى ، وممن أيقن أن ما عند الله خير وأبقى، وممن يرى لآل الرسول في مال الله حقا ، بل قد أطمعني حسن ظني برب المكارم والشهامة ، أن تمطر ساحة أملي من غيث نوالكم أهمى غمامة ، وأن أتقلب بين قومي من محض إنعامكم في حلل الكرامة ، فأكون المعروف بغرس إحسانكم ولو لم أضع العمامة ، وكيف يخيب أملي وحقارة طلبتي في جنب معاليك كما قدت من ظفر قلامة ، لابل كإزالة القذى عن عين أسامة ، وإمضاء طلبتي لوجه الله من طريق حسن القرض ، المولى تعالى كريم يضاعف الجزاء يوم العرض ، فادخر ذلك ليوم تبدل الأرض غير الأرض ، وبه ينتشر عاطر في طول هذه الاقطار والعرض، وبه تعرف العامة أن مولانا أظهر بالعدل والاحسان زينة الملوك ، وأنه أبت مكارمه أن يخيب عنده أمل المتظلم القاصد الصعلوك ، وأنه أبقاه الله تعالى يراعي حرمة أبناء الرسول ، عملا بوصية جدهم صلى الله عليه وسلم فيهم كما صح في المنقول ، ومع ذلك فإنا من حملة العلم الشريف وطلابه المتوارثين له ، المتعلقين بأهدابه ، ومن ذوي البيوت القديمة ، التي لم تزل مأوى الضيوف المستديمة ومعقل الغرباء والعفاة العديمة ، وتلك من البيوت التي أذن الله أن ترفع ، لكونها من منازل الساجدين والركع ، فاغتنم ياسيدي بإنجاح طلبتي صالح الأدعية في مظان الإجابة ، فقد طالما رفعت إلى الله تعالى على معارج الاخبات والإنابة ، وإن رجائي من الجناب المحروس بكنف الله الحي القيوم ، إصدار الفرمان الشريف عن يد مبلغ هذا المرقوم ، وذلك بعد تحرير صورته في الدفترخانة ، لابرحت بعز شرف مولانا مصانة ، ولازال مولانا قرير العز والنصر والسيادة ، نائلا من الإقبال منتهى الإرادة ، ودامت ساحات فضلكم

للقاصدين رياضاً مرتادة ، ولابرحت بالغاً من الله أعلى مراتب الحسنى وزيادة :

آمين آمين لاأرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وهذه صورة الكتاب المرسول على يده هذا الفرمان في اسلامبول ، وهو من كبار النصارى فيها ، ومن له المام في أدب . قال رحمه الله تعالى : إن من أعلى مراتب شرف الفتى ونهاية الرفعة ، أن تتعلق به الآمال على بعد مسافة النجعة ، ولا يبلغ أهلية طيب الذكر وحسن السمعة ، إلا إذا أفرغ لآمليه جهده ، وبذل وسعه ، وأبرز في إدراك مأمولهم نفعه ، وفرق في تصديق حسن ظنونهم جمعه ، فهناك تنشر آيات الثناء على صفحات الأعصار ، ويفوح طيب شكره في محافل الأكابر والأبرار ، ويبعد صوت صيته على تنائي الديار :

من خير ما اكتسب الفتى بزمانه ذكر حميد عنه يوماً ينشر

وذلك مثل ما حازه الندب فتى الفتيان ، السابق الأقران ، بفضله في حلبة الرهان ، درة صدفة الفئة الكريكية ، ونور حديقة الملة المسيحية ، المتميز على كثيرين بالنفس الأبية ، وبالشيم المرضية الرضية ، وبالأخلاق التي تحكي بهجة الأزهار ، وهي مطلولة ، وتفاوح لطائف نسائم الأسحار وهي معلولة ، الذي همه شراء المحامد بغالية القيم ، ويرى رعاية الصداقة من وفاء الذمم ، الوفي الذي قام لصديقه بحمل أثقاله ، وصرف عظيم همته في في قضاء آماله ، ففاق بمروءته على أضرابه وأمثاله ، وتجاوز بحسن صنيعه غاية رجاله ، الذكي الذي أخذ من البلاغة بلاغه ، فأخمل ذكر الفرزدق وابن المراغة ، من ترعرع في حجر الكتابة ، فما عبد الحميد في جنب ترسله بحميد ، فلو عاينه الصاحب لعلم أن ابن العميد في دست الإنشاء غير عميد ؛ ولقد رد قول من قال : ما في السويداء رجال! كيف وهذا النجيب قد برز بكماله ، وعرف بجميل فعــاله ، وقد جمع إلى المكارم ظرافة الطبع ، وحاز من لطافة الأخلاق ما يشنف بذكره السمع ، وعلم أنه لاإنسان إلا من

عرف بالفضل والإحسان ، فجاد بما يقتنى به الثناء من كل لسان ، وألزم الأماثل مودته وإن تناءت الأوطان ، والاخلاق الحميدة معشوقة وهي لم تشاهد عيان ، ألا هو الشاب الظريف فما ابن العفيف ، حضرة من وفقه الله تعالى لصالح الأعمـــال ، وأناله من الخيرات منتهى الآمال ، ولا زال يقلد بالمنن أعناق الرجال ، فيقتطف من أفنان شكرهم زهرة الأقوال ، ومن صنوف أدعيتهم ما ترفعه أكف الابتهال ، آمين .

وبعد ، فالداعي لتحرير غيقة الوداد ، وتعطير طرسها بمسك المداد ، هو إعلامك سعدت أيامك ، أن صاحبنا وابن صاحبنا القديم المورد ، جناب الخوجة فتح الله بن نعمة الله يوسف عبود ، لما كانت صداقتنا معهم بطريق الوراثة ، التزم عهد المودة ونفى انتكاثه ، فمذ علم أن لنا حاجة تقتضي واسطة شفيق ، حازماً فيما يقوم به ماهراً فيه على التحقيق ، نظر فلم يجد أهـــلا لقضاء لوازم الأصحاب ، ولا من يعتمد عليه عند إناطة الأسباب ، إلا ظريف ذلك الجناب ، ولقد أحب التميز برفعة القدر على أبناء العصر ، ورام لكم انتشار الذكر في كل قطر ، فبمقتضى ذلك دلنا عليك ، في رفع الحاجة إليك ، ثقة بشريف ذاتك ، واعتمادا على علمه بحميد صفاتك ، وحاشاه أن يدلنا على من تخيب عنده الآمال ، وإن كانت من أثقل الأحمال ، فلما أعلمني صاحبنا المذكور بذاتك السعيدة ، وأفهمني بحسن صفاتك الحميدة ، وانك من ذوي الآراء السديدة ، والمزايا الفريدة ، لذ لي أن أحرر لجنابك حاجتي ، وأكشف لك وجه طلبتي ، وذلك هو أن لي نخلا في أنهار البصرة ، ودكان جزار في بعض أسواقها ، قد ضاق عن حمل الميري واسع نطاقها ، وقد أعقم الميري حاصلها ، فلم يكن لنا بعض نتاج ، ولم نجد لعلته نوعـــا من العلاج ، إلا الرجوع إلى مطالبة الدولة العلية ، بسالف العادات من الهبات السنية ، فإنه قد جرت العادة لأسلافنا الماضين ، من حضرة السلاطين المتقدمين ، أن يشملوهم بالتعطفات والمراحم ، فيطلقوا لهم نخيلهم من أسر الميري إلى حرية المعافى الدائم ، فانقطعت عنهم مادة الجور والمظالم ، حتى أن ما أطلقه السلاطين من المعافى ، قد بلغ جملة ، ودخل في رتبة الملوك من نخلة ، وطلبتي هذه بالنسبة إلى ما أطلقوه لا يبلغ وزن نملة ، وإني والله فرع عن بعض أولئك الذين أكرموا بتلك

الرعاية ، ومن ذوي البيوت التي استوجبوا تلك الصيانة والحماية ، وقد اخترت أن أجعل وسيلتي في تحصيل المرام ، نظم قصيدة لاتقول العرب مثلها في هذه الأعوام ، كما شهد لي بالسبق في حلبة المنثور والنظام ، بنيتهـا على التهنئة لمولانا السلطان ، بما منحه الله من رجوع ممـالكه اليه ونصرة الأعوان ، واشبعت من ايراد صنوف مدحه ، وقدمت الإشارة في صدرها إلى لطيف تنبيهه ونصحه ، وأتبعت النظم بالنثر الرائق ، وأوضحت فيهما الحقائق ، والقصيدة هي هذه واصلة اليك ، أسبغ الله نعمه عليك ، وهي صادرة اليك ، عن يد صاحبنا فتح الله المذكور أعلاه ، فالمرجو من ذلك الجناب الذي حمدت لنا سجاياه ، تبيلغها إلى حضرة سعادة الدولة العلية ، وإيضاح ما اشتملت عليه من المدائح والمقاصد السنية ، وبذل غـاية الجهد في تحصيل الجواب وبعثه على الفورية ، وأرجو من المولى الكريم تيسير طلبتنا فإنها جزئية ، بالنسبة إلى مكارم حضرة مولانا الآصفية ، فإن إنعامه كأسلافه يلزم أن يعم الرعية ، وحاشاه أن يقصر جوده عن الفقير الداعي ، بل آمل أن تخصب بتعطفاته لي المراعي ، ويظهر لي من الإنعام مـا تشرق به رباعي ، وبرفع هذا العرض المزري بعقود الجمان ، أحببت أن تحيا في هذه الأزمان جميل عادة مولانا السلطان ، ويعلم ببسط كرمه كل قاص ودان ، وينتشر له عاطر الثنـاء بكل لسان ، ويعظم جسيم شكره في قصي الأوطان ، وذلك هو خير ما يستفيده كل ملك عظيم الشان ، هذا وعلمك محيط أن النفس الكريمة الأبية ، والشيم الرضية العلية ، لاتبالي بكلفة الاهتمام ، في تحصيل المفاخر الجسام .

إذا اعتاد الفتى خوضَ المنايا فأهون مـا يمرُّ به الوحول

ومن طلب المعـالي لايبـالي أصـادفه وعور أم سهول

ولولا الصبر على مشقة الغياصة في قعر البحار ، لما قلدت نحور الحور بالدرر الكبار ، وإن تقليد المنن في أعناق الأحرار ، لاتبلغ عنده ولا عشر معشار ، والشهم يحتقر عظيم المال عند شهرة الاعتبار .

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام

على أني أرجو من كرم المولى سبحانه ، أن يلاحظك بعين المساعدة والاعانة ، فيحصل المطلوب على أيسر الوجوه ، فإنه تعالى كريم لايخيب من يرجوه ، فإذا من الله تعالى بحصول المراد ، فابعث الفرمان الشريف على يد محب الجميع فتح الله في بغداد، وتحرير صورة الفرمان في الدفترخانة هو عين السداد ، وتوضع في ظهره رسوم بعض وجوه الدولة كما هو المعتاد ، وذلك لايخفى على ذلك الجناب ، لازال محروساً من جميع الأوصاب ، موفقاً في جميع أموره لإصابة كبد الصواب ، معانا في جميع المقاصد والأسباب ، بالغا من العيش ما راق ولذ وطاب ، ولكم منا بذل الدعاء ، ونشر الثناء، على الدوام ، وذلك هو خير بدء وختام .

ومما قاله أيضاً رحمه الله مجيبا السيد ياسين البغدادي ، المعروف بالخطيب ، عن أبيات وردت اليه منه ، وهذه صورة جوابه:

أورد وجنة رود بالحيا طلا ... إذ من خلال خباها شخصها طلا

أم نظم سمط جمان فصلته يد ... لماجدٍ في ذرى هام العلا حلا

الموسوي السري اللوذعي ومن ... بسورة المجد في أهل النهى صلّى

أتى ابن طه إلى الفيحاء بدر هدى ... إلى المكارم عن أخلاقه دلا

لازال في نعمة تنمو ومرتبة ... تسمو ونال من الخيرات منهلا

وما أحسن ما قاله رحمه الله تعالى لمناسبة وقعت فقال :

خير السجايا خذ لنفسك عادة ... طول الحياة فتلك أنفع باقي

حتى ترى فيك المكارم خلقة ... شهدت بأنك طيب الأعراق

لايبلغ الآمال من كنه الثنا ... إلا حليف مكارم الأخلاق

وقد اقترح عليه تشطير هذين البيتين ، فأسعفه بذلك :

خاطبت معسول الرضاب فقلت هل
لك في حياة النفس قبل فنائها

ظمئي إلى ذاك اللمى دائي أما ... من رشفة تشفي الحشا بشفائها
فأجابني والثغر منه باسم ... صدق المحبة أن تموت بدائها
لاتغترر بشعاع لامع مبسمي ... ماكل بارقة تجود بمائها

وقد نسب بعضهم إلى سيدي البيتين الأولين من هذه الابيات ، وزعم انه قالهما قديماً وكنبها عنه،ولم يكونا منه ببال ، ثم إن الزاعم طلب منه إجازتها ، فذيلها بالأبيات التي تليها ارتجالا فقال :

رأيت الانقباض أجل شيء ... وأدعى في الأمور إلى السلامه
وهذا الخلق سالمهم ودعهم ... فخلطتهم تقود إلى الندامه
وما فيهم أخو خلق رضي ... سجيته لزوم الاستقامه
فعش فيهم وحيداً أو فصبراً ... على أخلاقهم كرماً لئامه
ولست ببالغ أبداً رضاهم ... ولو كنت التقى أبا أمامه
فإما أن ترى فيهم أويساً ... وإما أن تكون أبا دلامه
لعلك إن تمش فيهم معافى ... وهل في العيش عافية مدامه
ومابك من غنى عنهم فحاذر ... بصحبتهم وقوعك في الملامه
وكن شهماً أبياً ذا اعتناء ... بفعل الخير محمود الإقامه
تنل عزاً لديهم واحتشاماً ... ومحمدة وتصحبك الكرامه

قال عبد الجليل يهنىء * فيصل بن تركي [1] بمجيئه من مصر :

لربِ العلى أهل الثنا وافرُ الحمد　　على أنعم جلت عن الحصر والعد [2]

لقد منَّ مولانا الكريم بفضله　　علينا من الاسعاف عوداً لما يبدي

---

* في ذي القعدة من سنة ١٢٥٩ هـ اقترح بعض الأصحاب على الشاعر أن ينظم له قصيدة على لسانه ، منسوبة إلى نسج بنانه ، صادرة من فيض بيانه ، ليقدمها أمام حاجته بين يدي من يأمل حسن التفاته ، وهو فيصل بن تركي بن سعود ، فأسعفه بالمقصود وأفرغها في قالب أراده ، رجاء أن ينال مراده ، فقال هذه القصيدة مهنئاً ومادحاً وأقام بلبل الثناء على فنن البلاغة صادحاً .

(١) هو فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود (٠٠٠ - ١٢٨٢ هـ) إمام شجاع حازم . كان ممن حمل الى مصر من أمراء نجد في أيام استيلاء جيش محمد علي باشا على كثير من بلاد العرب ، ثم فر من مصر هارباً سنة (١٢٤٣هـ) فعاد إلى نجد وأبوه في الرياض « أمير العارض وبعض البلاد المجاورة له » وقاد جيش أبيه لاسترداد البلاد الأخرى بضع سنين ، وبعد معارك بينه وبين خالد بن سعود ، انتهت بارجاعه الى مصر مرة أخرى ، فأقام معتقلا إلى سنة (١٢٥٩ هـ) واتصل ببعض أنصاره ، فهيؤوا له سبيل الفرار فعاد الى نجد ، ودانت له الأحساء والقصيم والعارض حتى أطراف الحجاز وعسير . وكف بصره في آخر عمره ، وتوفي بالرياض (١٢٨٢ هـ) .

(٢) وجدنا في مخطوطة لمجموع رسائل وقصائد محفوظة في خزانة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني هذه القصيدة ، وقد أثبتنا ما بين المطبوع والمخطوطة من اختلاف ، وبها يظهر ما في الطبعتين من تحريف .

أقامت لنا[١] طيب البشارة بهجة وبشراً وأفراحاً تنيف[٢] على الحد

ونلنا المنى من بعد مشكلة العنا وأحلى وصال ماأتى عقب الصد[٣]

نهنّي - بما أولى الإله - نفوسنا فيا طالما باتت على الغبن والكد[٤]

فنشكر مولىً أبدل الكدّ راحة

وبالخوف أمناً شامل الريع والوهد[٥]

وحف الهنا بالملك من كل جانب وأشرق وجه الكون عن طالع السعد[٦]

بغرّة[٧] من يشتاقه كل مؤمن كما اشتاق ظامٍ في الهجير الى الورد[٨]

---

(١) في المطبوع : بنا .

(٢) تنيف : تزيد ، وكل مازاد على العقد ، فهو نيف الى أن يبلغ العقد الثاني .

(٣) العنا : أصلها : العناء ، بمدود ، وهو النصب ، والتعب .

(٤) الغبن : يقال: غبنه في البيع : أي نقصه ، وغبن: بالبناء للمفعول ، فهو مغبون : أي : منقوص ، في الثمن وغيره .

(٥) في المخطوطة : شامل الربع ، وأثبتناهنا مافي المطبوع ، والريع : المرتفع من الأرض ، والوهد : المنخفض من الأرض .

(٦) السعد : اليمن

(٧) في المطبوع : بعزة .

(٨) ظام ، أصلها : ظامىء ، وسهلت الهمزة لضرورة الشعر ، والهجير : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر ، أومن عند زوالها إلى العصر ، لأن الناس يستكنون في بيوتهم ، كأنهم قد تهاجروا ، والهجير أيضاً : شدة الحر . والورد : الماء الذي يورد .

إمــام أتانا بالمسرة والهنـا ... وبالعز والعدل العميم وبالرشد

به شُدّ أزر الدين واستوثقت به ... عراه وقـام الحق في شدة العضد[1]

وعادت قضايا الشرع مخضرة الربى ... معاهدها مأهولة في حمى ضهد[2]

هو النور بين الرشد والغي فيصل ... بهدي ابن تركي ذا الأعاريب تستهدي

به الجـار من كل الحوادث آمن ... قرين سرور القلب والعيش في رغد

بـآرائه سودُ الفوادح تنجلي ... وبالرأي إدراك الفتى قبل ذي جد[3]

أخو همةٍ تدني له كل شـاسع ... ويرتاض من أعمالهـا كلُّ مشتد[4]

يُهـاب ويرجى حارباً ومسالمـاً ... ففي الحرب يسطو سطوة الأسد الورد[5]

وفي السلم بَـرٌّ أريحي مهذب ... وأخلاقه الأزهـار مطلولة البرد[6]

له راحة في الجود تغني عن الحيا ... إذا بخلت أيدي الكرام عن الرفد[7]

---

(١) الأزر : الظهر يقال : شدبه أزره ، أي : ظهره ، وهو هنا على الاستعارة.

(٢) في المطبوع : صهد . والضهد : الغلبة والقهر . والمعهد : المكان المعهود فيه الشيء ، والمكان الذي لايزال القوم يرجعون اليه .

(٣) فوادح الدهر : خطوبه ، وأفدح الأمر واستفدحه : وجده فادحاً ، أي : مثقلا صعباً ، والفادحة : النازلة ، يعني: بآرائه تنجلي الأمور الصعبة، وخطوب الدهر.

(٤) الشاسع : البعيد . يرتاض : يذلل . يقـال : راض المهر : ذلله وطوعه ، وهو هنا على الاستعارة .

(٥) الورد ، بفتح الواو: من أسماء الأسد، وهو ما يكون لونه بين الكميت والأشقر .

(٦) مطلولة : أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف ، أو الندى .

(٧) الحيا : المطر ، لاحيائه الأرض والناس . والرفد : العطاء .

نفى العُدم عن سوح الموالين بذلـه ... فما حلّ في أرجائهم عارض الجهد

معوّدة بسطاً سوى قبضها على ... أعنة قب الأعوجيات والجرد[1]

كذا قبضها يومـاً بقائم عضبه[2] ... إذا اسودّ ليل النقع وابيض ذو حد[3]

يكرُّ به يوم الوغى كرَّ عـاشق ... وقدبات من وصل الغواني على وعد[4]

له حملات والظبـا تقطر الدِّمـا ... فما ردّه دون الطُّلا قطُّ في غمد[5]

صبور على اللأواء غير مؤفف ... ولا جازع إن قيل : يا أزْمة اشتدي[6]

يقارع خطب الدهر عن بأس ماجد ... فيرخص غالي الروح في مطلب الحمد

فسل «مصر» عنه هل رأت غير حازم ... أبيٍّ على حمل العنا صابر جلد[7]

---

(١) الخيل القب : الضوامر . والأعوجيات : الخيل المنسوبة إلى (أعوج) وهو فرس كان لبني هلال تنسب اليه الأعوجيات ، وبنات أعوج . قال ابو عبيدة : وليس في العرب فحل أشهر ولا أكثر نسلاً منه . والجرد . قال الجوهري : وفرس أجرد : إذا رقت شعرته وقصرت ، وذلك مدح فيه . والجمع جرد .

(٢) في المخطوطة : يوماً على قائم عضبه ، وما أثبتناه من المطبوع .

(٣) العضب : السيف القاطع . النقع : الغبار المثار في أرض المعركة .

(٤) كر الفارس على العدو ، يكر : انقض وحمل عليه . والوغى: الحرب .

(٥) الظبا : جمع ظبة ، بالضم والتخفيف : حد السيف والسنان ونحوهما ، والطلاء: بضم الطاء : قشرة الدم .

(٦) اللأواء :الشدة والمحنة .

(٧) في المخطوطة : ان رأت غير راغب .

أتاها وفي إتيانهـا غير راغب ولا متق عن ناب مفترس الأسد

وأسلمه[1] من عمهم بنواله وعاملهم بالرفق في كل مايبدي

ففوض لله المهيمن أمره وعاذ برب الناس من شرِ ذي حقد

فأغنـاه لطف الله عن حزبه الذي يواسيه من كل الأقارب والجند[2]

أعد التقى حصنـاً فردَّ به العدى وحسن طويّات الفتى خير معتد[3]

وعـاد بحمد الله غير مدافع عن الأمر ميمون النقيبة والقصد[4]

ودان له مَنْ شطَّ عنه ومن دنا على رغبة بالماجد الحـازم الفرد

فعـاملهم بالصفح عن كل مجرم وعـاد إلى إحسانه الوافر المدّ

فأدى لشكـر الله فيما أناله من العز والتمكين بالملك والضد[5]

وبرهان عقل المرء إعلان شكره يصون به النعماء عن طارق يردي

فيـا ملكاً بالإرث ساد وبالتقى وبالحكم بالشرع الشريف عن المهدي

---

(١) في المخطوطة . وأسلمهم .

(٢) هذا البيت ساقط من المخطوطة ، واستدركناه من المطبوع .

(٣) طويات : جمع طوية ، وهي الضمير والنية ، ومايطوي عليه الانسان نفسه

(٤) ميمون النقيبة : محمود المختبر .

(٥) في المطبوع : أدى لشكر الله ، ولا يصح وزناً .

وبالعدل والإحسان والفتك بالعدى وبالسمهريِ اللدن والصارم الهندي[1]
وبالجود ما كعب بن مامة حازه وبالصدق في الأقوال والعهد والوعد[2]
لقد طابت البشرى بمقدمك الذي به زانت[3] الدنيا لكل أخي ودِّ
وعمت بها الأفراح من قد رعيته ومن لم يكن يدري بنائلك العد
وقام بنا داعي المسرة والهنا على كل نادٍ بالثنا الفائح النَّد[4]
وخفّت لدى نطق البشير مقالتي سلام على نجد ومن حل في نجد
ولذّ لنا طي الدجنّة بالسُّرى وقطع الفيافي بالرسيم وبالوخد[5]
لأحظى بتبليغ[6] السلام مشافهاً وأدفع ما بي من ولوع ومن وجد
فأعملت بذل اليعملات مهنئاً بما قد حباك الله من تالد المجد[7]
وأنهي إليك الحال مذغبت غالنا بغيبتك الدهر العبوس على عمد

---

(١) السمهري : الرمح الصلب القناة . يقال : هو منسوب إلى سمهر ، وهو اسم رجل كان يقوم الرماح . والصارم : القاطع ، يريد السيف . والهندي: المنسوب إلى الهند .

(٢) هـذا البيت ساقط من المخطوطة ، واستدركناه من المطبوع . وكعب ابن مامة ، ابن عمرو بن ثعلبة الايادي : كريم جاهلي ، يضرب به المثل في حسن الجوار فيقال : « أجود من كعب بن مامة » . وهو صاحب القصة المشهورة في الايثار : «اسق أخاك النمري».

(٣) كذا في المطبوع والمخطوطة ، ولعلها : ازدانت .

(٤) الند : عود يتبخر به .

(٥) طي الدجنة : قطعها . الرسيم : من سير الابل : فوق الذميل . ووخد البعير : أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام .

(٦) في المخطوطة : لتبليغ ، وما أثبتناه من المطبوع .

(٧) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة .

حوادث جاءتنا بكل ملمة ‏ ‏ ‏ وأيسرها يُلهي الودودَ عن الولد[١]

جلاء وتنكيد وغرمٌ وذلة ‏ ‏ ‏ ولا ناصرٌ للحق ذو نخوة يجدي[٢]

وقد أوحشت منا الديار ونالنا ‏ ‏ ‏ من البؤس مالا يلتقي اللحم بالجلد

وحسبك مانلقاه من ألم الأذى ‏ ‏ ‏ مفارقة الأوطان والأهل عن قصد

وأرجو بك الرحمن يبدل مامضى ‏ ‏ ‏ بحال يريح القلب عن وصمة الكد

فيعلن بالأفراح كل موحد ‏ ‏ ‏ وتزهو بك الأيام ياخير مستهدي

وهاك إمام العصر مني فريدة ‏ ‏ ‏ يفوح لها عطر الثناء بما تبدي[٣]

إلى مثلها يرتاح كل معظم ‏ ‏ ‏ ويصبو إلى إنشادها كل ذي مجد[٤]

دعاني الى ماقلت صدق مودة ‏ ‏ ‏ فرحت أجيد المدح منتظم العقد

---

(١) الملمة : النازلة الشديدة من نوازل الدنيا والودود : يريد بها : الأم التي تحنو على أولادها وتحبهم .

(٢) النخوة : الحماسة ، والمروءة .

(٣) الفريدة : الجوهرة النفسية ، يقال : أتى بالفرائد : أي . بألفاظ تدل على عظم فصاحته ، وجزالة منطقه ، وأصالة عربيته . ويريدبها هنا : هذه القصيدة التي يمدحه بها .

(٤) يصبو : يميل ، من : صبا يصبو صبواً : إذا مال الى الصبوة ، أي : جهلة الصبيان ، أو : جهلة الفتوة .

ولا زلتَ ياعين الزمــان موفقاً　　لـكل مساعي الخير مستوجب الحمد
تروق بك الدنيا وتشمر بالصفـا　　وتـكبو بك الأعداء عن منهج الرشد
معاناً مطاع الأمر مالاح بارق　　وما جلب الوسمي ميّادة الرند [١]

* * *

(١) لاح البرق : أومض . والبارق : سحاب ذو برق . والوسمي : اول مطر الربيع ، سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والمياد . الكثيرة التمايل والاهتزاز . والرند : شجرة صغيرة طيبة الريح ، من فصيلة الغاريات ، أوراقها بيضية الشكل وصالحة للتزيين ، وأزهارها صغيرة بيضاء .

ومما قاله رحمه الله مشطراً للبيتين المذكورين ضمن تشطيرهما وهو قوله :

لو قيل لي ما تمنى قلت في عجل　　عيشاً رغيداً وعزاً عالي الشان
وأن ألازم في الدنيا على ثقة　　أخاً صدوقا أميناً غير خوان
إذا فعلت جميلًا ظل يشكرني　　شكر النبات لها مي المزن هتان
يعينني في اقتنائي كل مكرمة　　وإن أسأت تلقاني بغفراني

ومما قاله أيضا مؤرخاً ميلاد طه ، نجل محمد ابن السيد حامد ابن عمي السيد اسماعيل في ١٧ ربيع اول سنه ١٢٦٠ ه :

بارك الله بمولود أتى　　لابن حر في المعالي لايضاها
قد جاء حسن الفأل في ميلاده　　أرخن دام قرير العين طه

وله أيضاً رحمه الله تعالى مخاطباً بعض الأصحاب ، وذلك في ١١ ربيع أول سنة ١٢٦٠ ه

قل للمهذب خالد الذكر الذي　　بالود يؤثره كرام الأنفس
يامن تحلى بالوفاق وفاق أخلاق الرفاق لطيب خيم أنفس
قد أيقن الأقوام أن محلكم　　روض وأنك زهر أنس المجلس

وله أيضاً رحمه الله أبيات في ضمن كتاب أرسله للشريف محمد بن عون ، مستعيناً على الفارسي :

أيا كهف لاج يشتكي فقد ماجد　　يرد يد الباغي عن الظلم أو يبقي
أغثني وأدركني ولما أمزق　　فإني بغوث منك أرجو وأتقي
لقد حدثتني النفس أنك ناصري　　بحقٍ وأن الحذق منك مصدق
فيممت آمالي إليك صوادياً　　عساها إذا فازت بفيضك تستقي
وليس لنا في الناس غيرك مأمل　　وجاهك حسب العاجز المتعلق

فكن لي كظني مسعفاً لي ببغيتي ولا زلت في كسب المحامد ترتقي

* * *

ومما قال سيدي الوالد رحمه الله تعالى تشطير هذين البيتين المنسوبين لابراهيم بن المهدي العباسي ، كما نقله ابن خلكان فقال :

قالت نظرتَ إلى غيري فقلتُ لها إني وعينيك يا ميـاء معذور
صبابتي غادرتني فيك مطرحاً وسائل الدمع من عينيّ محدور
نفسي فداؤك طرف العين مشترك والمرء في لحظه بالعين مجبور
فكيف يثلم ودي نظرة عرضت والقلب مني عليك الدهرَ مقصور

ولما فهم الوالد اقتراح بعض أصحابنا تشطير هذه الأبيات المنسوبات ليزيد ابن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما ، أجابه إلى المراد فقـال : وعدد أبيات الأصل خمسة ، فقال مشطراً :

إذا رمت من ليلى على البعد نظرة أتى دونها وقع المواضي اللوامع
وما في الهوى العذري للصب راحة تطفي جوى بين الحشا والأضالع
تقول نساء الحي تطمع أن ترى وجوه الأماني كاشفات البراقع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها فرائد عقد في ترائب بارع
وعينك تقذى مذ دعتك لأحور سواهـا وما طهرتهـا بالمدامع
وتلتذ منها بالحديث وقد جرى لطيفك إصفاء لعذل المخادع
أجلك يا ليلى عن العين إنمـا جمالك مشهود بكلي فراجع
فأنت لروحي كعبة الحسن لم أزل أراك بقلب خاشع لك خاضع

* * *

وفي ربيع أول من سنة ١٢٦١ هـ ورد إلى الوالد كتاب من أمير الحساء أحمد ابن محمد بن سليمان الشهير بالسديري يتضمن خلوص المودة لاغير، وصدره بهذه الأبيات الزائية الأربعة ، وبقية الكتاب من الرسائل المبتذلة ، فما أحببنا إيرادها هنا فأجابه الوالد رحمه الله تعالى بهذه الرسالة الآتي ذكرها ، وصدرها بالأبيات الآتية على الوزن والقافية، وهذه الأربعة الأبيات ، قال السديري في كتابه :

سلامي عليكم والديار بعيدة — سلام محب أتعبته المفاوز

عزمت إلى المسرى لنحو جنابكم — وإني عن المسرى إليكم لعاجز

فهذا كتابي نائباً عن زيارتي — فإن حلّ في ساحاتكم فهو فائز

فأرسلته لما عجزت مبلغاً — ومع عدم الماء التيمم جائز

فأجابه سيدي الوالد رحمه الله تعالى بقوله :

بحمد إله يجمع الشمل عطفُه — وأيدي النوى عما يرام تحاجز

أتاني سلام ضاع بالند نشره — وفاحت به عطراً إلينا المفاوز

به رُدَّ لي عهد الشبيبة والهوى — وما الشيب لي عن ذلك العهد حاجز

سلام كعقد الدر في جيد غادة — بضمن كتاب أبدعته العزائز

كتاب به سرُّ البلاغة واضح — وكل بليغ عن مجاريه عاجز

غدت نبلاء العصر مذعنة له — وما كل مقدام جريء يبارز

ولله طرس قد أعاد لي الهوى — وأبدى من الأشواق ما أنا كانز

فشوقي حكى شوق المتيم خانه — سلوّ وصبر والمحجب ناشز

كتاب حبيب حالف الجود كفه — وها هو في نوع المروءة فائز

حبيب كريم الذات والأصل ماجد ‏ ‏ ‏ ‏ له في أثيل المجد قدماً مراكز
فريد المزايا أحمد الذكر باسل ‏ ‏ ‏ ‏ نجيب لغايات الثنا متجاوز
أبيٌّ يفي طبعاً عهود إخائه ‏ ‏ ‏ ‏ ولكن به يشقى العدوّ المبارز
له خلق كالروض كلله الندى ‏ ‏ ‏ ‏ سحيراً وغاداه النسيم المجاوز
بودي لكم أبدي القريض مهذباً ‏ ‏ ‏ ‏ وليس كمدح زخرفته الجوائز
يرى النزر من شعري كأنفس حلية ‏ ‏ ‏ ‏ وبالطل عن وبل تسد العوائز

إن كتاباً أوتي منشئه من البلاغة بلاغه ، ووقف دونه ابن العميد وابن المراغة ، وقال عنده الصائغ :مالي ولهذه الصياغة ، لجدير أن يتخذه الظرفاء سلوة الغريب ، وأن يقال فيه: هـذا نصر من الله وفتح قريب ، فلله أنامل ثقف طرزت حواشي بروده ، وأفرغت في قوالب الاحسان مفصلات عقوده ، فإن همته لاترضى من الدر إلا كباره، ولا تفترع من الفخر إلا أبكاره ، وهو الأبي الذي لاتحوم طوارق الهوان حول حماه، ولا تلحق سوابق اللؤم غبار مرتماه ، من كرمت أخلاقه وزكت أعراقه ، المكرم الأسعد ، الأخ أحمد بن محمد ، لازال قرين الرشد في جميع مساعيه ، نائلاً من مراتب العز أعلى أمانيه ، آمين . فأهدي إليه من السلام ما تقصرعنه الإحاطة ، ومن الثناء مايأخذ السمع منه شنوفه وأقراطه ، وأنهي الى ذلك الجناب ورود كتابه المستطاب ، واتضح للمحب ما تضمنته سطوره ، وظهر للعيان حبوره بكونه أعرب عن صحة تلك الذات الكريمة ، والثبات على عهود المودة القويمة ، لا زلت آخذاً بأزمة الوفاء ، لجميع إخوان الصفاء ، وقد أحطت بما أطلقت به عنان القلم ، من ذكر تعطفات الماجد الذي فضائله كنار على علم ، الإمام الذي جمع إلى حسن السيرة صفاء السريرة ، وقطع مادة الجور بشامل عدله ، ونشر على أرجاء المملكة مطارف فضله، وقمع شوكة المعتدين بشهاب نصله، وأفاض على الموالين غوادق بره وإحسانه، واستحكمت به للدين محكمات قواعده وأركانه،

أعز الله بالتأييد أعوانه وأنصاره ، وبسط على الملك بيمن طالعه بهجة ونضارة ، آمين .
ثم إن اختلج في الضمير نوع من السؤال ، فإني أحمد الله تعالى بخير حـــال ، وقد ألقيت عصا الترحال ، وذلك بعد ما أوقع الله بين ولاة البحرين ، وصاروا صنفين في صفين ، وفارقها من هو بصدق الاخاء والوفاء بطين ، وفر منها كل هجان وهجين ، اخترت منها النقلة وإن كانت مثلة ، وأعملت سفينة الرحالة ، فمنعني ولاتها عن الارتحال ، ولم أفلت منهم إلا بنوع من الاحتيال ، حرصاً على إقامتي فيهم فأواخيهم ، ثم إني اتخذت الكويت دار إقامة ، وأسأل الله حسن العاقبة بلا ندامة ، وقد قابلني واليها بأتم وقار ، وعاملني بالكرامة وحسن الجوار ، هذا ولم يتجدد في هذه الأقطار شيء من غرائب الأخبار ، وناحيتنا بحمد الله آمنة والحركات فيها ساكنة ، ومنذ أيام أظلتنا سحابة صيف ، فانقشعت قبل إرعاد البنادق وبارقة السيف ، وأما حال قطر العراق ، فقد حسمت منه دواعي الشقاق ، حيث إن لواليها في أرجائها جولة ، وله في الأمور أناة ثم يعقبهـــا صولة ، وربما أغنت الآراء عن كثرة الجيش ، وأرغمت معاطس أرباب النخوة والطيش . وفي هذه الأثنـــاء وردت أوامر حميدة سلطانية ، إلى كافة الوزراء والرعية ، بمنع القتل الا فيما تقتضيه حدود الشريعة ، وبرفع المغـــارم في بعض القضايا الشنيعة ، إلى غير ذلك من الاعلام بعميم الإنعـــام ، الداخل في حيز النقض والإبرام ، هذا وإني متعطش إلى ورود كتاب أستوضح إعلامه ، بما يقتضيه نظر ولي الامامة ، لابرحت أحكامه محفوفة بالاستقامة ، من خصوص مادة أهل البحرين وبما ينتهي عزمه مع الفئتين ، وكمال الفائدة مقرون ببسط العبارة ، لابمطلق الإشارة ، ولا شك أن ذلك سيتضح لكم ويبين « وعند جهينة الخبر اليقين » .

وهذا جواب الأبيات المتقدمة ، التي أرسلها الوالد السيد عبد الجليل إلى السديري ، قالها الشيخ أحمد بن علي المشرف على لسان السديري ، وأرسلهـا إلى الوالد ، فقال :

أنظم بديع هذبته الغرائز أم الدر من أصداف بحرك بارز

أم الروض حاكت أدمع المزن وشيه

فعطر من ذاك النسيم المجاوز

أأبكار فكر قد نظمن لئالئاً من القول لا مانظمته العجائز

نعم در ألفاظ القريض أتى بها بليغ بأنواع الفصاحة حائز

إلى العلويين الكرام قد انتمى ففي هاشم أعراقه والمراكز

أجال بميدان البلاغة خيله فصار بها يدعى الكمي المناجز

لقد أحجمت فرسانه عن لقائه فكل بليغ عن مراميه عاجز

حوى النحو مع علم المعاني فتارة يبين لنا المعنى وحيناً يلاغز

وقد جاء في علم البيان قريضه بنوع من السحر الذي هو جائز

وأصبح في علم البديع ابن حجة ومن ذا له في كل فن يبارز

تجاوز حد الشعر حتى كأنما قصائده للمنكرين معاجز

إذا قال قولاً أنشد الناس شعره وغنى به باد وحادٍ وراجز

وما أنشدت يوم عرائس شعره على مقعد إلا مشى وهو ناشز

ودبت به روح الصبابة فاستوى ولو كان محمولاً حوته الجنائز

لأن بلغتنا عنك يا ابن طباطبا نسيم الصَّبا شوقاً لحد يجاوز

فإن بنا من لاعج الشوق فوق ما بثثت وأضعاف الذي أنت كانز

فإن حكمت أيدي النوى بافتراقنا
وصار لنا من شقة البين حاجز

فإن لأرواح المحبين مجمع وإن بعدت بين الجسوم المفاوز
ودونك من جهد المقل خريدة من الشعر أهدتها إليك الغرائز
أتتك من الأحساء تطلب كفأها وما مهرها إلا الرضى والتجاوز
عليك بحسن المدح أثنت مودة وماقصد كل الوافدين الجوائز
وخير ختام أن أصلي مسلماً على المصطفى من أيدته المعاجز
وأصحابه ماجالت الخيل بالقنا وما حركت للدارعين الهزاهز

* * *

وقال مؤرخاً للوقعة التي جرت في البحرين بين آل خليفة ، وذلك في إحدى وعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ١٢٥٨ هـ من هجرة المصطفى ﷺ :

لفرقة القوم جرى القتال وعم في الناس لها وبال
شق عصا قبيلة يضيرها لاضرر كمثله يقال
وعثرة الرِجل لها إقالة وعثرة الرأي فلا تقال
انظر إلى البحرين إذ فيها جرى من فتنةٍ هدت بها أوال
في الفئتين أهرقت دماء ليس لها في أمرهم مجال
واستبدلت قوم بفقرهم غنى وفرقة حل بها النّكال
بالذل والجلاء باءت فرقة وعصبة بعزها تختال

من بعد ما كانوا جميعاً لايرى لعزهم صدع به احتيال
في نعمة ورغد عيش صالح وطود عزّ لم يكن ينال
ومن فساد الرأي قد تفرقوا واختلفوا لذاك ساء حال
ببعض ماجرى أتى تأريخه بوقعة البحرين ذاب مال

وقال رحمه الله تعالى لمعنى خطر له :

ذهب الشباب بما أحب فهل معي من مسعد يرثي لحالي الموجع
لعب الهوى بي كيف شاء بقوة وأنا الذي إن قمت قمت بأربع

☆ ☆ ☆

وقال رحمه الله تعالى على لسان بعض أصحابه حيث أزعجه داعي الشوق عند تذكر أحبابه فأجابه إلى قتراحه ، وأدار عليه كأس غبوقه الماضي واصطباحه ، فقال سنة ١٢٦١ه:

لساني بأسباب الغرام مترجم وقلبي بما تجني الصبابة مفعم
ولي بالهوى العذري أقوم أسوة فإني بمن أهوى معنّى متيم
رضيع الهوى حلف الصبابة شيّق وما كنت من تلك الرضاعة أفطم
نأيت بجسمي لا بقلبي فإنه بربع أحبابي مقيم مخيم
أحن إليهم كلما لاح بارق بدا ليَ من نحو الفريق فألجم
وما شاقني طيب العراق وأهله وحسن مغانيه التي فيه تحكم
ولا لذّ لي ماء الفرات وجريه ولا السفن في حافاته تتقدم
وتذكي الصّبا عرف الحدائق غدوة
ولا الطير في أفنانها تترنم

ولا صدني عنهم نضارة زهرها　　وشوقي إلى تلك المعاهد أقدم
ذكرت أويقاتاً على الحقُل انقضت　　وصفح الشراع الغض إذ فيه ننعم
ومجمعنا يوماً على أم سبعة　　فهمت وقد نام الخلي المنعم
ولي عند ذكراها أنين وزفرة　　تكاد الحشا من حرها تتضرم
ونذر الأماقي ودق هاطل مزنة　　ويوشك بعد الدمع أن يجريَ الدم
مواطن لذاتي وأنسي وراحتي　　على مثلها حق الأسى والتندم
معاهد خلاني الذين عهدتهم　　وبعض سجاياهم حياء تكرم
وبي من فراق ابني بتير وفاضل　　كآبة مهجور يبيح ويكتم
وخالي حميد الذكر أحمد من له　　سوابق إفضال بها الفضل يعلم
له تالد المجد الأثيل وراثة　　بنفس لها في المكرمات تقدم
وخذني عليٌّ صاحبي مؤنسي إذا
دجا الخطب وازورَّت من الليل أنجم
أولئك إخوان الصفاء أعدهم　　حصوناً تقيني الهم والخطب مظلم
عليهم سلام الله ما حنّ واله　　إلى هجر واشتاق للصحب مغرم

* * *

ومما قاله سيدي الوالد رحمه الله مادحاً ، وبنشر الفضائل صادحاً ، وأهداها للحسيب النسيب الأديب الأريب ، عبد الباقي افندي العمري الموصلي ثم البغدادي ، وذلك في ٥ ربيع الثاني سنة ١٢٦٢ هـ :

من الحب ما أضنى المشوق المتيما　　وأذهله حتى أضاع المحتما

به شغل قلب المستهام ولبه
وما انفك مصروع الخراعب مغرما
وإني بأدواء الغرام وطبه خبير فخذ عنّي لجرحك مرهما
بنصح يزيل الغيَّ عن مستقره
ويدعو إلى الرشد الذي يكشف العمى
أخا الود إن الحب لايرتقي له سوى من أقام الصبر للوصل سلما
سبيل الهوى وعر المسالك حالك ومن أمه للري أورده الظما
وإن قصاراه سهاد ولوعة ووجد وتبريح كذا مدمع همى
وهل يستطاب العيش منك على الجفا
مع الصد لو زرت الديار مسلما
ومن لك في دفع العناء وقد عتا رقيب وواش منبع الشر منهما
وإن أشرعت لدن القدود لك القنا وفوقت الألحاظ نحوك أسهما
ودبت من الأصداغ سود عقارب لتمنع في حر الهوى مورد اللمى
ومست أفاعي مرسلات غدائر
فؤادك إن أفضى بك الشوق للحمى
وماحال مشغوف يرى غرّ أوجه أبى حسنها للتيه أن تتلثما
أيثبت لب والثغور بواسم تساقط لليـاقوت درّاً منظما
فهل لك من حسن اصطبارك جنة تقيك إذا ماعامل الحب أقدما

أمافي سيوف الغنج للصبر قاطع إذا ما امتطى صيب من الليل أدهما

عهود الغواني كالليالي كواذب وإن صدر الميثاق منهن مبرما

يماطلن بل يخلفن بالوعد عادة ويملكن حراً بالملاحة مغرما

ويذللنه عمداً وإن عزّ جانبا ويحسب منهن الهوان تكرما

على أنني لبيت داعية الهوى مطيعاً وأمضيت الليالي متيما

وأعطتني الأيام فضل زمامها خليعاً وقد خالفت في الحب لوّما

وكابدت لوعات الهوى وشجونه وكم ذقت شهداً منه حيناً وعلقما

فما اخترت لي غير الصبابة مذهباً وحسبك علمي بالغرام فكن كما

ولا تطع الأيام في غير صالح وخير فعال المرء ما طاب مغنما

وعاشر ذوي الآداب والعلم والنهى

ولا تصحب الفدم الدنيء المذمما

وحافظ على أكرومة تستزيدها فتلفى على حسن الثناء معظما

وكن ذا وفاء في الإخاء كما وفت سجايا الهمام العبقري الذي سما

هو الألمعي الماجد الباسل الذي على صهوات المجد قدماً تسنما

له السبق للغايات في مكسب الثنا كريم يرى غر المناقب أنعما

شأى بالمزايا الغر كل مسود وما كل مقدام يطارح ضيغما

أتى مثريا من كل فضل ومفخر ولكن بدا من باعث اللؤم معدما

له همة تدني له كل سؤدد ولو كان في تطلابه يبلغ السما

رضيع المعالي وارث المجد عن أب ... فجدٍ فجد طاب فرعاً ومنتمى
وما همه إلا اكتساب فضائل ... بها شاد أركان المحامد مذ نما
لقد ضل من يسعى ليدرك شأوه ... وهل كل ساع جد يبلغ أنجما
أما العُمَريُّ الندبِ فارس حلبة ... رأى الفخر فيها جاء نهباً مقسما
فأوفى على سرح المكارم فاصطفى ... كرائمها بالعز إذ بان معلما
وأحكم ما قد شاد آباؤه له ... تقىً وعلا علماً وجوداً ميمما
فبيت بني الخطاب أصبح زاهياً ... بطلعته كالروض فاح منمنما
بآرائه تنجاب كل ملمة ... من الخطب إن البدر يكشف مظلما
يقيم اعوجاج الأمر صائب رأيه ... فلا بدع لو يدعى بذاك المقوما
وما زال يرقى للمفاخر عزمه ... قد اتخذ الإفضال والفضل سلما
أخو خلق فاق النسيم لطافة ... سحيراً إذا بالزهر مرَّ تبسما
لرقته ينقاد أشوس عابس ... ويضحي به عيش الحميم منعما
وما شئت من أخلاقه خذ فكاهة ... ولو جد تلقى منه جيشا عرمرما
بدا عابد الباقي ربيب مكارم ... أبت أن ترى للثقف في ذاك توأما
يفي لحليف الود عهداً وإن نأى ... ويرعى له حق الوداد إذا انتمى
فيبذل فيما سره كل وسعه ... ويدفع عنه ما يسيىء تكرما
وليس يبالي لو يخوض به الوغى ... ويركب متن الوعر فيما تجشما
وذا دأب أرباب المروءات والعلى ... وهم دونه ذاتا وطبعاً ومنتمى

شجى في مساغ الضد قد فلّ عرشه بحزم وإقدام ورأي تحكما

فيا ابن الأولى جادوا فسادوا وارهفوا

لحفظ العلى عزماً وعضباً مصمما

وأعلوا منار الدين بالعلم والتقى وبذل النفوس الساميات على الدما

لقد صنت ما شادوه من كل مفخر وعز ومجد أن يعود مهدما

وأنت خليق إن قفوت فعالهم ولا غرو فالضرغام ينتج ضيغما

حبيبيَ إن لم تحظ عيني بنظرة إليك ففي قلبي خيالك خيما

أحن إذا مامر ذكراك للقا وأنى به من عاجز قد تلعثما

وأذكر في الفيحاء عصراً قطعته بمرآك فارفضت دموعي عندما

وأرجو إله العرش يجمع شملنا على الأنس مابين الحطيم وزمزما

وهاك حليف الجود مني فريدة كاطراب غنج الغانيات من الدمى

عقيلة قوم جاء حتماً ودادهم به قربة تدني من الله مسلما

أبت أن يمس النذل فضل ردائها وليس هجين كالهجان معظما

ولولا صفاء الود صينت بخدرها جلالاً وكبراً عن مماثلة الإما

وما برزت إلا لكفء مهذب عريق يرى حق النسيب المقدما

وما هي ممن باع بالمهر حسنها أتعتاض بالدينار للغبن درهما

فما مهرها إلا القبول وإنها تصادف من علياك عطفا لتغنما

وستراً على تقصير ناسج بردها فكم ناسج برداً وليس مسهما

لقد طال عهدي بالقريض لأنه غريب بهذا الصقع والغربة العمى
ولولا بقايا في الشباب ادخرتها لما سغت إكليلا وعقدا منظما
ولا زلت يارب الكمال ممتعاً بعز وإسعاد يقارن أنعما
تلازمك الأفراح ما اشتاق واله إلى خله أو واصل الحب مغرما

* * *

وهذا النثر الذي أرسله مع القصيدة ، قال رحمه الله تعالى : إن الأدب روضة تبتهج بنضارتها النفوس الأريحية ، وتتنشق من أزهارها كل شمامة عنبرية ، وتحتسي منهـا السلافة في أنزه حانة ، وتغتني بنفحتها عن كل ريحانة ، وهي الذخيرة عند حيرة الافـكار ، والملهية بأنواعها عن الأوتار ، لما تبسمت به من أقاحي مدائح الكرام ، المتطين من غرر المـكارم ذروة السنام ، كالشهم الأبي الفاضل النبيل ، المتميز في أخذه بمجامع كل خلق حميد جميل ، صدر محافل الأعاظم الأقيال ، والمشار إليه إذا قيل : أي الرجال ، الماجد الذي أخمل ذكر ابن العميد عند اطراء الوزارة ، وأخر ابن عباد عن الصحبة حيث تقدم عليه بالامارة ، ورسب زبد بن الفرات لما فاض عليه البحر بدرره ، وأغنى ضوء فضله عن مصباح ابن الزيات المسرج بعجره وبجره ، من أمنت الزوراء باستقامته من الاعوجاج ، واتضح بهديه منهاج الحج لأرباب الاحتياج ، وضاءت دائرة هالتها باشراق بدر فلاحه ، حين أجرى على ذهب أصلها لجين صباحه ، فحق لها إذا طلعت في صدرهـا مثله ، أن يتخذها ذوو الآمال قبلة ، وقدماً استقام أود الحدباء بآبائه الصيد الخضارم ، وانتشر بهم لبني عبد الجليل صيت المـكارم والمغانم ، المالك أزمة الفضل ، مولانا الأفندي عبد الباقي العمري الأصل ، لازالت الأقدار جارية معه طبق الارادة ، فائزاً من الله ببلوغ المنى وزيادة ، آمين . فأهدي إلى ذلك السوح الرحيب الكريم ، شرائف التحيات ولطائف التسليم ، وأنهي إلى تلك المسامع الشريفة ، أنه لمـا طال عهدي بورود رقعة من تلك الحضرة المنيفة ، هاج بي الشوق الوافر الـكامل الطويل ، فأربى على شغف قيس أو جميل ،

فلجأت إلى نظم بعض الصفات الكريمة ، أستجلب بإيرادهـــا الأنس عند وحشة الليالي البهيمة ، واتخذتها سلوة الغريب لنفسي ، ونزهة لمجالس أنسي ، فأسعدني النطق بحسن الثنا ، حيث وقف بي الغنا عن إهداء الخيل والقنا ، فقدمت مـا هو خير المقتنى في كل عصر وفنا ، لتخصصه بلزوم البقاء وانحياز غيره للفنـا ، وإذا أنفق ذو سعة من سعته ، فلينفق الآخر حسب مقدرته ، مع أن بذل الموجود هو غاية الجود ، ومن وقف عند حده أفلح ، وكل إناء بالذي فيه ينضح ، فأبرزت ما وعته مخلاة الفكر ، يختـــال بملأه ما أملته علي صفات تلك الحضرة وأصحبته أخانا الشيخ أحمد بن عبد المحسن لكونه الامين على ما استؤمن ، وغاية الرجاء والسول ملاحظة مزجاة بضاعتي بعين القبول ، ثم إتحافي بالإعلام عن تشرفها بالوصول ، كما هو مقتضى المأمول ، ولا زالت أيامكم باسمة الثغور ، محوطة بعنايتـكم جميع الأوداء والثغور ، آمين . والســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته . حرر في ٥ ربيع الثاني سنة ١٢٦٣ هـ

ومـــا قاله رحمه الله تعالى ، وقد اقترح عليه بعض أصحابنـــا ، وهو الاخ في الله والمحب لوجه الله ، الحسيب النسيب ، عبد الله بن عثمان بن غريب ، أن يقول على لسانه ، مخاطباً بعض إخوانه ، وهم وجوه أهل الحسا ، حيث أداروا عليه كؤوس الأنس فاحتسى ، فأتحفه بمنائه وأبرز شوقه لأودائه ، فقال وبالله التوفيق :

ليالي الحمى جاءت بهنّ البشائر ... بصادق فجر الأنس والليل كافر

وأيامها الأعياد كافلة الهنا ... ولسنا من الأكدار فيها نحاذر

ونلنا المنى فيها على البشر والصفا ... وليست عوادي الدهر فيها تضاير

وكم لي على جرعاء عين برابر ... مقاعد أنس أبرزتها برابر

وما هي إلا عين كل مسرة ... وفي سفحها ما تشتهي النفس حاضر

على صفحات النهر منها بواسق ... بها الطلع منضود وما ثم حاسر

حدائقها فيها الثمار يوانع ... لداني جناها تشرئب الخواطر
ومدت علينا من سجوف غصونها ... ظلالاً له برد النعيم يبادر
وأفنانها سكرى تثنت وصفقت ... وريح الصبا للعود منهن واتر
وجدولها الساقي بصرف معربد ... وكم رجع الألحان فيهن طائر
فأطرب مرآها القلوب نضارة ... وفاحت علينا من رباها الأزاهر
ومن جاءها ظن الجنان تزينت ... وطاب بها عيشا مقيم وزائر
دع الكرش تصلى بالسموم سباخه
وليس ... أبو زيدان ممن يكابر
وما للعذارى في عذاري وفي الرحى ... مقام إذا لاحت لهن برابر
لقد زانها صيد بحافاتها انتدوا ... كرام لهم في المكرمات مظاهر
بهاليل حازوا كل فضل سجية ... نمتهم إلى العليا تميم وعامر
هم الشوس يحمون الذمار أماجد ... مواردهم محمودة والمصادر
إذا عقدوا عهد الإخاء وفوا به ... فما لعهود الود في القوم غادر
فمنهم إمام في العلوم مهذب ... بتقريره علم الشريعة زاهر
فعبد اللطيف الشيخ نجل مبارك الـ ... ـقيبة معقود عليه الخناصر
ومن أصله الأنصار شيخي محمد ... هو البحر علماً بالفضائل زاخر
فصاحته أودت بسحبان وائل ... عكاظ به في المعربين تفاخر
وأحمد من زان الأمارة عدله ... وجدواه إن الجود بالطبع قاهر

منيع الحمى ما ضيم يوماً نزيله ومعقل لاج زاحمته البواتر
سرور الموالي عند منقطع الرجا ومردي الأعادي والقنا منشاجر
كذلك عبد الله نجل أماثل كأولهم في المجد والجود آخر
عنيت ابن موسى من تحلى به العلا همـام به ربع المكارم عامر
كذلك عجليٌ النجـار ابن سالم حسيب إلى بيت المروءه صائر
كذا عابد الرحمن للسرب مانع وغوث صديق قد تجافاه ناصر
بشاشته تجلو الهموم عن الذي يلم به طبعاً ولله شاكر
سلامة يحيى للمكارم والتقى وحسن إخاء لم تحله الدوائر
ونعم الفتى صعب العريكة في الوفا لفوزان يعزى وهو للفوز صائر
ومنهم سليمان الفهيد أخو الحجى صديقي إذا قل الصديق المؤازر
ومنهم كريم الطبع والذات صالح هو العائدي الأصل والفرع طاهر
كذلك عبد الله نجل محمـد خليفة من تعزى إليه المفـاخر
وأحمد محمود السجايا ابن ماجد نجيب له في الصالحات مـآثر
وسائر أصحـابي الذين ألفتهم بهم راقت الأحساء والفضل ظاهر
أولئك قوم للمعـالي ارتيادهم صدور إذا التفت عليهم محاضر
عليهم سلام الله مـا لاح بارق على ربعهم أو سال بالغيث حاجر
حننت إليهم ما ذكرت فعالهم حنين غريب أبعدته المقـادر
وأشتاق هاتيك المغاني وأهلها كما شاق ظمآن الهواجر ماطر

وما زلت صبّاً والهاً كلفا بهم	وما أنا عن لقيا الأُحبباب صابر
ولست بساليهم وإن كنت فارهاً	ولم يلهني عنهم نديم مسامر
وكيف سلوّي عن كرام أعزة	بهم أخصب العافي وعزّ المجاور
ألاهل لييلات الهفوف رواجع	علينا وكأس الأنس بالصحب دائر
فينعم مشتاق وتقضى لبانة	وتجمد من بعد الهمول المحاجر

☆ ☆ ☆

لايخفى أن للشعر لطائف أنيقة ، ونكتا دقيقة ، لايعرفها كل واحد على الحقيقة، بل يختص بادراكها من سلك في فنون الادب كل طريقة ، إذ ليس السابح يعلم ماتضمر اللجة ، وما كل سالك يهتدي إلى المحجة ، واختصاص ذلك بمن استوضح الاعلام بالبرهان وواضح الحجة ، ومن ذلك مـاوقع في البيتين المتضمنين لذكر بعض عيون البحرين ، وهما قوله : « دع الكرش » إلى آخره ..والبيت الذي يليه،فإن فيهما معنى النوع البديعي المسمى «بالمواربة » ،المحتمل للتمويه ،ولا شك أن أهل الحسـا سيرونهما ذكراً لتفضيل عين برابر ، وأهل البحرين سيرون ذم عيونهم هو الظاهر ، وكلا الفريقين حينئذ يكون فهمه قاصراً عمـا تضمناه من لطافة التنكيت ، وقد يقف عن إدراك ذلك فهم ابن السكيت ، وبيان ذلك : هو أن قول الناظم : دع الكرش،إلى آخر الشطر الأول ...، قد أُفهم ذلك أن في أرض الكرش سباخاً ، وفي هوائهـا سموماً ، والأمر كذلك ، ولا ينكره منصف ، والسموم في الحسا أوضح وأشهر ، والسباخ في أرض برابر موجودة لاتنكر ، فإذا لم تختص أرض الكرش بذلك ، فلا فضل ولا مزية لبرابر لوجود المشاركة بينها وبين الكرش في الوصفين المذكورين ، وهما السباخ والسموم ، والحال واضح في المكانين ، ولم يتعرض الناظم لذكر عين الكرش نفسها مطلقاً قصداً ، وذكر ماحولها لنكتة ، والمفاضلة إنما هي في العيون لافي الأراضي والأهوية ، وحيث تغافل الناظم عن ذكر نفس العين ، فلا مدح ولا ذم ، لعدم ذكرها بالتنصيص، فتأمل ذلك ، وأما قوله :

وليس أبو زيدان ممن يكابر ، فأتى بـ« من » دون « ما » في قوله : «ممن يكابر » ولم يقل «مما يكابر » وذلك لنكتة أيضاً ، فإن « من » تختص بمن يعقل ، كما في قوله تعالى : (ولله يسجد من في السموات ومن في الارض) الرعد : ١٥ فإن السجود مختص بمن يعقل من الانس والجن والمكلائة دون غيرهم ، فانتفت المكابرة عن أبي زيدان لوجود المانع له، وهو كونه لايعقل لانه بين مائع وهو الماء ، وجامد وهو الحجارة ، ولا يتصور من العنصرين وجود التلفظ بالمكابرة، أي : فلو كان يعقل وينطق لما وقف عن التلفظ بالمكابرة في المفاخرة ، فالمانع له عن ذلك عدم أهليته للنطق والابانة عما في نفسه من إظهار فخره على نظرائه ، ولهذه النكته عدل الناظم عن الاتيان بـ« ما » لشمولها لمن يعقل ولمن لايعقل ، كما جاء في قوله تعالى : (لله ما في السموات وما في الأرض) الآية البقرة : ٢٨٤ . فلذلك عدل عنها، وأتى بـ« من » وعلى هذا فلا مفاضلة في الشطر ، بل فيه واضح العذر لأبي زيدان في صموته عن المكابرة ، فلولا العذر المانع عن النطق بالمكابرة لكابر وفاخر ، فتنبه لدقائق الشعر ، وهذا من قبيل ما قيل في المثل العامي «حلاوي مسوس مايعرف المال إلا أهله »وفي المثل الفصيح قوله : « صاحب البيت أدرى بالذي فيه » وبالله التوفيق . وأما البيت الثاني ، وهو قوله :

وما للعذارى في عذارى وفي الرحا مقام إذا لاحت لهن برابر

لاشك أن البيت مما يحصل بظاهره رضا ساكن الحسا، وقد يسخط أهل البحرين وليس في البيت من الحالتين شيء أصلًا لمن تأمله بعين المعرفة والعلم بهذه الفنون ، وإيضاح ذلك : هو أن برابر لاتلوح للعذارى إلا إذا كن حولها وفي ناحيتها ، فإذا كن هناك ، فمن المستحيل أن يكون لهن مقام في عذارى وفي الرحا ، لكون الانسان لايتجزأ ، فلا يتصور أن يكون انسان واحد وهو في الحسا، وفي البحرين فيختار في عيون البلدين ليقيم فيما يختار منهن ، فلما لم يكن الحال كذلك، فلا مفاضلة بين العيون مطلقا ، لأن الناظم قيد عدم مقام العذارى في عذارى بقوله : إذا لاحت لهن برابر ، وهي لاتلوح لهن إلا إذا كن حولها ، فجعل ذلك شرطاً ، لعدم مقامهن في عذارى ، ولولا هذا الشرط ، لتوجهت المفاضلة، فلما لم يطلق

العبارة ، بل قيدها بهذا القيد المستحيل وقوعه ، انتفت المفاضلة بين عذارى وبرابر رأساً ، ولهذا عدل الناظم إلى هذه العبارة المقيدة بالقيد الذي لاتنفك عنه ، تموِيهاً على من ليس له إدراك هذه الدقيقة ، وغالب أهل الحسا كذلك فاقتنص بها ما أرضاهم به ولا طائل تحته ، ولم يتعرض لما يسخط أهل البحرين ، لعدم وجود المفاضلة في البيت إن فطنوا لما قررناه ، مع أن الأمر جلي ظاهر لمن كان له أقل إلمام بهذا الشأن ، فيجزم أنه لامفاضلة أصلا البتة ، ولم يصدر هذا القيد إلا عن قصد من الناظم ، لأن حصوله بالغرض ، ليعلم ذلك وبالله التوفيق . انتهى .

ولما اقترح عليه بعض أصحابه أن ينشر وداده على لسانه لأحد أحبابه ، ويفصح عن ثباته على عهده في خطابه ، ويعتذر إليه عن عدم اقترابه ، والمقترح المشار إليه ابراهيم بن ربيع ، فأجابه الوالد رحمه الله تعالى :

على قدر ما تقضي الليالي بنا نجري ... وما لامرىءٍ فيما يحاول من أمر

ولو أن في وسع الفتى ما يرومه ... لما فات مجدوداً حميدٌ من الذكر

وفي طلب الأرزاق في واسع الفضا ... شواغل تقصي النسر عن مركز الوكر

ومن غير الأيام أني ببلدة ... ومالي بها زيد يعين على عمرو

وأترك داراً عق فيها تمائمي ... وأمضيت فيها بالهنا صفوة العمر

ولي في فناها كل قرم عملس ... حميد السجايا في المنافع والضر

أخلاء إخوان صحاب أقارب ... يواسونني في حالة العسر واليسر

كمثل عميد الدّست أحمد ماجد ... له من صفات الحمد ما يطرب المطري

أخو خلق أدنى له كل شاسع ... ينافح زهر الروض كلل بالقطر

به شاد أركان المكارم فاقتنى ... مودات أقوام بعاد عن الشكر

وأعلى منار المخلصين بوده ... وراشهم حتى غدوا بيضة القطر

كريم له في الجود عشق متيم ... بلا منة فاقتاد ناصية الأجر

أريب له الرأي المسدد عارف

بوجه انكشاف الخطب من ثاقب الفكر

وكم أرخص الدنيا لجلب مصالح ... تعم فحاز الشكر من ألسن الدهر

فيا من دعاني أن أذيع وداده ... بنظم امتداحي طيب أخلاقه الغر

وأنشر ما بين الورى عاطر الثنا ... عليه كعقد الدر في غادة بكر

أذعت وفي قلبي قديم مودة ... بنتها يد الاخلاص في سالف العصر

أودّ بأني لا أفارق نادياً ... تحلى بمرهوب أخي نجدة صقر

ولا شك عندي أن أرى متقلباً ... لديه بسربال النعيم وبالفخر

ولكنْ عوادي الدهر تأتي صروفها

بغير الذي نختار قهراً بلا عذر

وأرجو إله العرش يجمع شملنا ... بأصفى حياة لا تكدر بالخسر

فأجني ثمار الإجتماع يوانعاً ... بعز وإسعاف أقيما على البشر

ولا زلت يا كهف الطريد ممدحاً ... حميد المساعي فائزاً نافذ الأمر

قرين المعالي ماتألق بارق ... وماقيد الإحسان حراً على الشكر

☆ ☆ ☆

وقد اقترح أيضـا عليه صاحبه هذا ، فلم يجد عن اجابته عذراً ، وذلك في المعنى السالف المذكور ، فأسعفه بما أوجب له الشكر ، فقـال رحمه الله تعالى :

إليك أخي مني تحية وامق … معطرة كالزهر فـاح لناشق
تحية صب صادق الود ثابت … على العهد لايثنيه مس العوائق
أحن إليـكم والهوى يستفزني … حنين مشوق مستهام لشائق
فإن ودادي لايشاب بفرية … ولا أخلقته حادثات البوائق
إذا ذكرت أيام أسلافك التي
مضت ـ لي بهم ـ أزرت بكل الأصادق
وحرك مني لاعج الوجد والأسى
تذكر هـاتيك الليـالي السوابق
وأجرت أماقيّ الشؤون تلهفـاً … كما انهل ودق الهاميات الدوافق
لياليَ مر العيش فيها مقارن … لأنس وعز مشمخر الشواهق
بهن ننال السؤل متصل الهنا … ومـا للهنا فيهن وجه لرامق
لقد صرمت سود الليالي حبالها … وهدت مغانيها بأيدي الطوارق
فلله مـا أحلى زمانا قطعته … بغر بهاليل كرام الخلائق
غياث لملهوف وغيث لمرمل … وكم فرجوا من كربة في المضائق
لهم همم تعلو السماك ونخوة … تصون الموالي وهي داء المشاقق
تفرع منهم أريحي محمد … فنعم سليل القوم روض المصادق

إذا ساعد الرحمن يلحق شأوهم   أما الشبل للآساد طبعاً بلاحق
له خلق يحكي الرياض نضارة   يقود به للحسن رغماً لمائق
فلا زال ممدود الرواق منعما   بسعد وإقبال وعز معانق

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

وبديع حسن فرعه لك آية   قد أرسلت وحياته حيّاته
ولوى بقلبي مذ لوى أصداغه   وبها زهت من صدره لباته
ما بين داجي فرعه فرق بدا   كضياء فجر زحزحت ظلماته
أفتيت مسك فاح من شفتيه أم   برضابه عبقت لنا حباته
ضن الزمان بمثله ولربما   جادت علينا بالرضا غفلاته
فغدوت أختبط الخيام لنظرة   ممن رمتني بالهوى لحاته
فإذا بملتفت إلي فقلت ذا   ظبي الصريم وهذه لفتاته
من ذا سواه تخاله مهما مشى   كالخوط ماست بالصبا عذباته
من ذا سواه يزيد فينا غنجه   كأساً تعربد للغرام صحاته
ناديته بضعيف صوت خوف أن   تدري بما تجني عليه وشاته
فأقول يامن لايزال معذبي   بصدوده وبذا جرت عاداته
يامن تملك حسنه رقي وما   أنا مبتغ عتقاً له حسناته
يامالكي قدمت حسنك شافعي   والمرء أحمد جاهه زكواته

مولاي منْ بوقفة لي ساعة لأبث شوقاً لا تني حملاته
رفقا بصب مسه منك الضنى ومن النوى طالت به حسراته
أنسي بذكرك وهو أعظم شاغل تقضي به للمستهام صلاته
أنسيت عهدي والزمان مطاوعي حيث الشباب وريقة عذباته
إذ كنت لي ممن تعشق خلتي وأنا الذي حمدت لديك صفاته
أيام أندية السرور أواهل والدهر لاتقضي بنا تبعاته
أيام لانخشى الوشاة ولم يكن فينا رقيب تتقى وثباته
واذكر لييلات مضين بحاجر والأُنس مجتمع عليك شتاته
كم بت منك حليف شجو سادراً والصدر مني قد علت زفراته
فإلى متى هذا الصدود أما ترى دمعي عقيقاً قد همت عبراته
فأجابني متبسماً لي قائلا عجباً لمن لعبت به شهواته
غاب الحجى أتراه ضيّعه الهوى والجهل ما عرفت دواه أساته
خفض عليك فلست أول قانص خانته في صيد الظباء بزاته
أين الشباب ومن لنا بزمانه هيهات ترجع بيننا حالاته
قسماً بصبح العارضين به بدا إشراق فودك وانجلت ظلماته
وشحوب لونك بعد منصرف الصبا
وذبول جسمك إذ وهت عزماته
ما حلت عن ودي القديم وإنما ذا الشيب للطرف الكحيل قذاته
ولقد مضت أيام لهوك بالدما ومن المحال تعود فيه حياته

إذ عيشنا في القبلتين على الصفا والحي تمرح بالهنا فتياته
يزهو ببهجته ومجمع أنسه والنهر طام قد صفت جرياته
والجسر ممدود عليه رواقه تمطو على حافاته ظبياته
فغدت مغاني الحي بعد بدوره طللا بقفر فارقته سراته
لاتلممن بربع لهوك فالبلى قد عمه واستوحشت عرصاته
واقصر فمالك في التصابي والدمى وجه فقد سدت عليك جهاته
وبم التغزل بالغواني طالباً وصلًا ووصالك قد مضت أوقاته
وأراك تثبت في محبك جفوة كلا فحبك في الفؤاد نباته
لكن عوادي الدهر حالت بيننا والكل منا غيرت هيئاته
فاقبل معاذير المحب ونصحه فالنصح قد جبلت عليه ذاته
ثم انثنى عني وراح مودعاً ياليته تجري بذا عاداته

* * *

وعند بعض الخواطر التي تخطر للبال ، قال في بعض الأحوال رحمه الله تعالى :

ألا كل شيءٍ جاء من غير أهله قبيح وممقوت لدى كل عاقل
كخفة شيخ عاجز قام لاعباً كما يلعب الصبيان بين المحاول
فلا تضع الأشياء إلا بوقتها وكل محل للأفاعيل قابل

ومما قاله رحمه الله تعالى فيما عن له من الخواطر .

تأمل تجد في كل شيئ تفاوتاً وأعظمها فرق التفاوت في الهمم

فليس أخو النعماء يطلب راحة ... لكن قهر الأعداء بالسيف والقلم
وقيمة كل وزن همته أتت ... وعند اختلاف الجنس تختلف القيم

وله رحمه الله تعالى في معزى رآها ، والحال أنها سوداء حالك ، أحد رجليها بياض خالص ، :

سبحان من أبدع في صنعه ... يخلق ما شاء بوصف غريب
يارب معزى لونها حالك ... ورجلها ذات بياض عجيب
كأنها زنجية أدخلت ... رجلا بسروال بياض قشيب

وله أيضاً رحمه الله تعالى في معنى ناسب لنظم هذه الأبيات :

جمال الفتى صدق العفاف مجانباً ... هواه إذا وافاه معشوقه الأحوى
فذاك فتى الفتيان بل أشجع الورى ... وأشرفهم نفساً وأدعى إلى التقوى
فإن جهاد النفس في منعها الهوى ... أشد عناء من مكابدة الأسوا
وما ضره حسن التغزل بالدمى ... إذا كان ذا نفس لدفع الهوى تقوى
لرقة طبع المرء يدعو نسيبه ... فخل رقيق الشعر عنك بذا يروى
روايتك الأشعار مدحاً وحكمة ... نسيباً هجاء توصل الغايه القصوى
فخذ برقيق الشعر إن كنت ناظماً ... وراوية والزم مجانبة الأهوا
فما كل من قد قال شعراً أخو نهى
وكم من عفيف وهو في الشعر ذو الفتوى

وبين ذوي الآداب جاء محبباً ... يفاكه في أحلى من المن والسلوى

* * *

وقال الوالد رحمه الله تعالى ناظما ماهية حسن الخلق كما جاء في تعريفه : وهو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى . فقال رحمه الله تعالى :

ثلاثة هي حسن الخلق يجمعه ... فاجعل نصيبك منه وافر القسم

في بسط وجهك والمعروف تبذله ... كذاك كف الأذى فاعمل بها ودم

وفي ١٦ من شعبان سنة ١٢٦٣ هـ سأله بعض الأصحاب عن « الماعون » في الآية الشريفة ، ماهو ؟ وهي قوله تعالى : (ويمنعون الماعون) فأجاب رحمه الله تعالى :

سألت عن الماعون في الآية التي ... قرأت فخذ مني جواباً محرراً

ثلاثة أقوال بتفسيره أتت ... زكاة كذا ما يستعيرونه الورى[1]

كفأس وقدر ثم قالوا ثلاثة ... حرام علينا منعهن بلا امترا

هي النار والماء الروي وملحهم ... بذا « البغوي » الحبر نص وقررا

وفي ١٧ من شعبان قال رحمه الله في ذم الغضب ، وقانا الله شره بما أحب .

للغيظ آفات يضيق بها الفتى ... فإذا استطعت له دفاعاً فاجهد

منها حجاب الذهن عن إدراكه ... أمراً تحاوله كأن لم يعهد

وبه يرى الفطن اللبيب كأنه ... مما به المعتوه أو كالأبلد

وبه الحليم إلى الجهالة صائر ... ويهد عنه به منار السؤدد

---

(١) قوله : يستعيرونه الورى : جاءت هنا على لغة أكلوني البراغيث .

وبه يغيب الرشد عنه فلا يرى ‏ إلا سلوك سبيل غير المهتدي
وبه تسوء لدى الورى أخلاقه ‏ حتى يقال له لئيم المحتد
لايرعوي لصحيح قول نصيحه ‏ ويرى النصوح كعائب ومفند
وبذمه العقل السليم قضى كذا ‏ لك النهي جاء عن الرسول محمد
إذ قال لاتغضب وقال إلهنا ‏ والكاظمين الغيظ فاتبع تهتدي
هذا الخطاب لكل عبد مؤمن ‏ والنصح يجدي بالكريم السيد
من حب طب بما تناول علمه ‏ وأخو النباهة يقتدي بالمرشد

ومما قاله أيضاً رحمه الله تعالى في معنى دار في خاطره فقال :

وممن شاد بالانشاد ذكرا ‏ يخلد في دواوين الرجال
ويزري بالجمان إذا تحلت ‏ به لبات ربات الحجال
إذا مادار في نادي كرام ‏ يفوق بنشره عرف الغوالي

* * *

وفي هذه الأثناء أنشد بعض الأعلام بيتين لم ينسبهما لقائلها نسيانا فلم يستحسن معناهما لكونهما يستدعيان التقاطع بين المتحابين عند أقل هفوة ، فأحب الرد على قائلهما فقال :

صل من دنا ودع الذي بعدا ‏ لاتكرهن على الهوى أحدا
قد أكثرت حواء إذ ولدت ‏ فإذا جفا ولد فخذ ولدا

فأجابه رداً عليه ارتجالا لبعضها ، ثم زاد هما على الروية فقال :

إني أرى ذا القول قد فسدا ‏ إذ كان بالأعراض مطردا
يقضي بأبعاد مصارمة ‏ حتى بترك الوالد الولدا

خالفت أمر المصطفى غلطـا إذ بالتحابب نصه وردا

في كل يوم شهوة عرضت لك صاحباً ماخلت أن يردا

كرم الذوات مع الطباع خلت منه الديار وعز أن تجدا

مـا كل من تختاره لبق اليوم ترضى حـاله وغدا

ما أسرع التغيير في خلق عن علة يزدان مثل ندى

ضـاع الصديق وعهد صحبته هلا أقمت على الوفا أبدا

والحر يرعى حق صـاحبه عند العشـار ولو لطول مدى

إن كنت لاترضى سوى حسن من كل خل عشت منفردا

لاعصمة إلا إلى رسل من غيرهم يستوعب الرشدا

هل حازم في أمره يقظ وإذا سهـا لم يأت منتقدا

أو ذا غريب صح منتفياً وجدانه من قبلنـا فقدا

وأرى القضا بالمستحيل عمى لاتمددن إلى الهواء يدا

خالق بني الدنيا وضرتها بمحاسن الأخلاق كالسعدا

واحفظ خليلا كنت تألفه كم جاء من بعد الضلال هدى

واقبل على العلات ذا عوج أو مستقيما قلمـا حمدا

ما كل ما يجتنى بلا نصب مشتار نحل كم إذا وجدا

فاجن الذي تهواه فاكهة إن شاك أو إن سالم الجسدا

واصبر على إعراض ذي سنن ترضاه أخلاقـا ومعتقدا

فلربما يهواك عن ثقة مهما رأى منك الوفاء بدا
ذا دأب ذي عقل مودته طبق المروءة لايحول سدى
نصح أتى من رب تجربة قاس الأمور بغيرها فهدى
قد قلت حسنا ناصحاً لك في ما قلته فالزمه مجتهدا
يهديك للخلق الحميد به يهواك دان والذي بعدا

☆ ☆ ☆

ومما قاله رحمه الله مبتهلا ، وبفياض جود مولانا الكريم متوسلا ، بان يحييه على الاستقامة قولاً وعملاً ، وأن يمحو ما جناه زللا ، وأرجو من المولى أن يجعل عذره متقبلا ، فإنه تعالى أكرم من يرجى ، وليس لمثلنا سواه ملتجا ، فقال رحمه الله تعالى:

أدعو إله الخلق من لم يزل غياث ملهوف لخطب نزل
ياخير مدعوّ لنا في الأزل يامن له الصفح إذا النعل زل
أغث أغث عبداً دعا وابتهل
أدعوك يامولاي يامحسن ياخير من تشكره الألسن
من دون أن تبصره الأعين أفلح عبد لم يزل معلن
بشامل الفضل الذي منه جل
بكنه أوصافك حار الحجا فاز الذي علق فيك الرجا
مالي سوى عزك من ملتجا حسبي بنعمائك لي مرتجى
أنت الذي تولي قصي الأمل
أدعوك يامن سيبه وارد عاش به الناطق والجاحد

مافاقد إحسانه واجد لقد تجلى إنه الواحد
في الكل من أحكامه قد عدل

أدعو بكل اسم له مدخر في علمه أو كل ما قد ظهر
وكل نعت في الصفات الغرر وكل ما تحوي معاني السور
ومن تلاهن بصدق الوجل

بالمصطفى المختار خير الورى من طاب ذاتا وزكا عنصرا[1]
ومن إذا أم الورى المحشرا قام شفيع الخلق حقا يرى
ولم يخيبه الكريم الأجل

بالآل بالصحب الكرام الألى شادوا بناء الدين حتى اعتلى
بكل حد صارم يجتلى وأوضحوا منه الذي أشكلا
فاصبح التوحيد عالي القلل

بكل صديق ببحر وبر بكل ذي زهد تقي وبر
بكل من واصل فيكم وبر ومن أقسم حقا يبر
عن غير بابك طوعا عدل

بكل من رام الزوايا وطن يوحشه إلمام أهل الفطن
من أنسه الذكر إذا الليل جن ترنجه الأشواق والقلب حن
لمعهد منه المعنّى ارتحل

---

(١) كان السالف الصالح يتوسلون بأسماء الله الحسنى .

بصدق ذلي بافتقاري إلى عز غناك الجم يامن علا
أرجوك يامن لم يزل موئلا فارحم مشيبي وانكساري ولا
تعدل بقلبي عنك كيلا يضل

والطف بنا عند نزول القضا ولا تؤاخذني بجرم مضى
أيام لهوي فالشباب انقضى واسلك بنا في كل ما يرتضى
من صادق القول وحسن العمل

واختم على التوحيد والسنة عمري وسامحني لدى زلتي
وكن مقيلا سيدي عثرتي فأنت رب العفو والرحمة
ومنك أرجو محو كل الزلل

وخير ما القول به يختتم أزكى صلاتي والسلام الأتم
على رسول الله وافي الذمم والآل والصحب بحار الكرم
ما لاح بدر والهلال اكتمل

* * *

وله رحمه الله أبيات أرسلها لبعض المشايخ لقضية جرت ، فناسب ارسال هذه الأبيات اليه :

يا ماجداً أخذ المكارم سلما يرقى بها لذوي المحامد مذ نما
ورأى المفاخر قد تداعى ركنها فأقامه كيلا يعود مهدما
يا من يصدق قوله بفعاله في كل معروف يريش المعدما

يا ماجداً أعطى الامارة حقها عدلا واقداماً وجوداً قدهما
إني أعيذك أن ترد عطية قد جاد جدك لي بها متكرما
حاشاك أن تهدم بناه من العلا أرأيت حراً عاد رقاً كالإما
ولأنت أجدر باتباع سبيله والشبل متبع أباه الضيغما
أولست من قوم رأوا كسب الثنا بنفوسهم ونفيس مال مغنما
أيسوغ تطمس سنة قد سنها آباؤك الصيد الفخام تكرما
ومن العقوق المحض في نقض الفتى أمراً ووالده لذلك أبرما
في كل حي قادة خلف لمن يمضي فصانوا مجده صون الحمى
لاخير في كسب يفوت به الثنا ويعود ذلك في القيامة مأثما
فاردد بفضلك ما أخذت وعد ذا أتقى وأبقى للجميل وأحزما
واسلم وعش في نعمة مقرونة بالعز والإسعاف من رب السما
ما انهل ودق من خلال غمامة فغدا به زهر الربى متبسما

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

من مسه عسر وقد ألف الغنى دهراً فقل يارحمتا للمبتلى
فالعز في ظل الغنى متفيئ والفقر قد يزري بأشراف الملا
والصبر من مثر فأعسر محنة أين المعافى من مكابدة البلا
لكنه لذوي البصائر حلية يعتادها فطن تأهل للحلا
إن التصبر للكرام سجية ويرونه حصن المروءة والعلا

والدهر لايبقي على حال فمن　　عسر إلى يسر ومن يسر إلى

فَكِل الأمور إلى مدبر كونها　　وبه استعن تجد المغيث الموئلا

وله رحمه الله ناظماً شرح بيت كعب ، فجاء أصفى من الزلال العذب :

فحل نزى بنته قطعاً فأولدها　　فَحْلَين ثم نزاها منهما جمل

فأنتجت ناقة قد قال واصفها　　حرف أبوها أخوها دونها الابل

وله أيضاً رحمه الله تعالى وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه ، آمين :

إذا كنت منطيقاً فكن ذا تحفظ　　فتأتي نفيس القول دون خسيسه

فإن مقال المرء منتقد الملا　　كما انتقد الصراف دينار كيسه

وذو العي أولى أن يلازم صمته　　مخافة يبدو نقصه لجليسه

وبالصمت منجاة عن السقط الذي　　يقيم الفتى مستوحشاً من أنيسه

وله رحمه الله تعالى رحمة الأبرار ، وحشرنا وإياه في زمرة الصالحين الأخيار :

أشد ما يؤلم الشهم الأريب إذا

أربي على الدر والأصداف والخزف

وليس ذلك يأتي من ذوي ثقة　　من همهم كرم الأخلاق والشرف

أن يؤثر النذل دون الأكرمين فقد　　يعلو الرماد على جمر وينكشف

ولم يكن ذاك في حرّ بضائره　　كالبدر إن غُم يوماً ليس ينخسف

وله رحمه الله تعـــالى رحمة عامة ، وجعلنا وإياه من الفائزين يوم القيامة :

لاتتخذ بالشيب عذراً للذي ترجو على طول الحياة وصاله
إن اعتذارك بالمشيب بجره للصد أو يدني إليك ملاله
إذ أن ذلك لايزال ملازمـاً أو زاد فالوعد ارتكبت مطاله
والعذر أحسنه الذي قد زال عنـ ـك وقد حمدت وقوعه ومثاله

* * *

لايخفى أن صدر هذه القصيدة الخالية في الغزل ، وقد بلغ سيدي الوالد أن داود باشا أرسلهـــا من اسلامبول إلى بعض أدباء بغداد ، ومنهم مفتيها السيد محمد الألوسي ، وهو اليوم عالم العراق على الاطلاق ، ونسبها لبعض أدباء النصارى ، وآخر المرسول منه قوله :

لكل جماح إن تمادى شكيمة ولكن جماح الدهر ليس له خال

فإن صح نسبتها للنصراني ، فهي دعوى أو غلط ، وإنمـا هي لبعض أهل جبل عاملة ، من قرى الشام ، وهي متقدمة على عصرنا كما وجدناها في بعض المجاميع ، وعند وصولها إلى أدباء بغداد ، تجاذبوها وأرادوا مجاراتها ، ووصلت إلى المشاهد وتجاذبها أيضاً أدباء المشهدين ولما علم سيدي الوالد أنهـــا صادرة من داود باشا أحب أن يذيلها ويجعل ذيلها في مدحه ، فيصير غزلها للعاملي ، ومدحها له ، وأول الذيل قوله :

نعم خـــاله تقوى الإله فإنهـــا
ستكسوك ثوب العز إن أعوز الخـــال

إلى آخرها . وقد أرسلها لداود باشا في المدينة المنورة ، وصدرها بالرسالة المذكورة في ديوان الرسائل ، ليعلم ذلك ، وأرسلها إليه في ٢٠ شعبان سنة ١٢٦٣ ه :

أمن خدها الوردي أفتنك الخال فسح من الأجفان مدمعك الخال(١)
وأومض برق من محيا جمالها لعينيك أم من ثغرها أومض الخال(٢)
رعى الله ذيّاك القوام وإن يكن تلاعب في أعطافه التيه والخال(٣)
ولله هاتيك الجفون فإنما
على الفتك يهواها أخو العشق والخال(٤)
مهاة بأمي أفتديها ووالدي وإن لام عمي الطيب الأصل والخال(٥)
ولما تولى طرفها كل مهجة على قدها من فرعها عقد الخال(٦)
إذا أفتكت أهل الجمال فانما يهون على أهل الهوى الملك والخال(٧)
وليس الهوى إلا المروءة والوفا وليس له إلا امرؤٌ ماجد خال(٨)
وكم يدعي بالحب من ليس أهله وهيهات اين الحب والأحمق الخال(٩)
معذبتي لاتجحدي الحب بيننا لما اتهم الواشي فان الفتى الخال(١٠)
ولي شيمة طابت ثناءً وعفة تصاحبني حتى يصاحبني الخال(١١)
سلي عن غرامي كل من يعرف الصبا
تري أنني رب الصبابة والخال(١٢)

---

(١) السحاب (٢) البرق (٣) الكبر (٤) السيف
(٥) أخو الأم (٦) اللواء (٧) الخلافة (٨) الصاحب
(٩) ضعف القلب والجسم (١٠) البريء من التهمة
(١١) الكفن (١٢) العزب من الرجال

ولا تسمعي قول الحسود فإنه — لقد ساء فينا ظنه السوء والخال(١)

سعى بيننا سعي الحسود فليته — أشل وفي رجليه أوثقه الخال(٢)

وظبية حسن مذ رأيت ابتسامها — عشقت ولم تخط الفراسة والخال(٣)

توهم طرفي في محاسن وجهها — فلاح له في بدر سيمائها خال(٤)

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة — ويعشقها سامي النباهة والخال(٥)

أيا راكباً يفري الفلاة بجسرةٍ — يباع بها النهد المطهم والخال(٦)

بعيشك إن جئت الشآم فعج إلى — صهب الصبا الغربي يعن لك الخال(٧)

فسلم بأشواقي على مربع عفا — كأن رباه بعدنا الأقفر الخال(٨)

وإن ناشدتك الغيد عني فقل على — عهود الهوى فهو المحافظ والخال(٩)

وإن قلن هل سام التصبر بعدنا — فقل صبره ولّى وفرط الجوى خال(١٠)

لكل جماح إن تمادى شكيمة — ولكن جماح الدهر ليس له خال(١١)

انتهى كلام العاملي ، وهذا تذييل سيدي الوالد رحمه الله تعالى :

نعم خاله تقوى الإله فإنها
ستكسوك ثوب العز إن أعوز الخال(١٢)

---

(١) التوهم (٢) الظلع من الدابة (٣) المخيلة (٤) التوسم

(٥) الرجل حسن المخيلة (٦) البعير الضخم (٧) جبل بعينه (٨) موضع لاأنيس فيه

(٩) اللازم (١٠) الثابت (١١) اللجام (١٢) الثوب الناعم

وقل لعفاة ساءهم سوء حالهم
وماطرهم عن واكف السحب الخال(١)

هلموا سراعاً واهرعوا نحو ماجد — سرى فما كل الفحول هو الخال(٢)

ولا تركنوا إلا لمن كسبه الثنا — ولم يك في حسن السجايا الفتى الخال(٣)

إذا استبق الأقران في حلبة العلى — فكل كريم رام سبقاً له خال(٤)

فليس لداود الهمام مزاحم — بعلم وحلم لا يوازنه خال(٥)

وفياض جود غاض عن صيب الحيا — وعم به حتى ارتوى الوهد والخال(٦)

ومن مثله والعلم والفهم حليه — وهل يتساوى شامخ الطود والخال(٧)

له زاخر الفضل الذي فاض حكمة — ومن علمه للناس في فضله خال(٨)

مليك كسا القطر العراقي بهجة — بعدل وأمن شاد ركنيها الخال(٩)

غدا عصمة اللاجي إذا راعه العدى — وكعبة جود طالما أمه الخال(١٠)

إليك أمير المكرمات فريدة — أتتك من الفيحاء يعنو لها الخال(١١)

تجوب من البيداء كل تنوفة — بها للوجى تدمى النجائب والخال(١٢)

معارضة للعاملي بنسجه — وعند رواة العصر إتيانها خال(١٣)

---

(١) السراب (٢) الرجل السمح (٣) المتكبر المعجب بنفسه (٤) الحرون
(٥) جبل (٦) الاكم (٧) المنخفض من الأرض (٨) ترسم الخير (٩) السيف القاطع
(١٠) المحتاج (١١) نبت مزهر (١٢) الفحل الاسود من الابل (١٣) وهم

لقد زانها مدح الوزير وقد أتى تغزلها قلب الذي في الهوى خال[1]
ولا زلت ياعين الزمان ممتعـاً بعز وذكر عنده يقدم الخال[2]
معـانا سعيد الجد متصل الهنا أخا نعمة ترهو وأنت بها الخال[3]

* * *

ومما قال أيضاً سيدي الوالد رحمه الله تعالى في الحكمة الدالة على النصيحة المستفادة من التجاريب الصحيحة وذلك في ٢٦ صفر سنة ١٢٦٤ هـ :

بالود والخُلق الصافي معـاتبة فاستوضح الودثم اعتب بلا أشر
لاتعتبن على من لايودّك إذ غير المحب يرى عتباك كالهذر
بل قد يرى العتب حمقـا منك أو سفهـا
إذ لايفرق بين النفع والضرر
وقد يجر إلى سخرية بك من هذا المعاتب فالزم صالح النظر
إن العتاب مع الأحباب داعية إلى الصفاء وصدق الود فاعتبر
كالغيث يزهو به دمث البقاع وإن على الرعان فخف من سقطة الحجر

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في ذلك وفيه لزوم ما لايلزم فقال :

دع الغفلات في عرَض ومـال ولا تركن إلى من تصطفيه

---

(١) فارغ القلب (٢) الجبان (٣) المختال .

فرب فتى يريك عفاف بر　　وفي الخلوات يجري كالسفيه
إذا لم تحم سرحك بانتباه　　فسوف ترى الذئاب يقعن فيه

ومما قاله رحمه الله تعالى وقد اقترح عليه جاسم بن محمد بن صقر آل سعود أن يقوم عنه بجواب عن أبيات وردت إليه من السواحل، فحباه بمطلوبه، وأوقفه على غاية محبوبه، فقال على لسانه يمدح سعيد بن سلطان المشار إليه :

هي النفس والأخلاق للمرء ملبس　　فضاف مضيء أو لبيس مدنس
فخذ في جلاء النفس عما يشينها　　فرب جواد ساء تقلاه أنفس
إذا استعمل العقل الفتى ورمى الهوى
نجا والحجى حظ من الله أنفس
وبرهان عقل المرء حسن اختياره　　بذلك لا يعروه ما فيه يبخس
فمن صحب الأدنى يصبه عواره　　وكل قرين للفتى منه يقبس
ومن صحب الآساد يقتنص العلى　　وتلفى له اليسرى يميناً فيفرس
إذا شئت أن تحيا سعيداً منعماً　　فوال سعيداً واتّبعه فترأس
سعيد بن سلطان بن أحمد من له　　مكارم عنها ألسن الحصر تخرس
هو العبقري الالمعي الذي زهت　　به الدار إذ بالنجم قد زان أطلس
هو الشهم إن مل الوغى أسد الشرى
وهاب لظى الهيجاء فانصاع بيأس

هو الباسل القيدوم في حومة الوغى
إذا ما اكفهرّ الليث وجهاً فيخنس
وقائعه في كل حي شهيرة بها في دواوين المفاخر تدرس
لوطنته كم ذل غلب عداته وعن شمم بالسيف أرغم معطس
وكم غارة شعواء شن بضده وبالحزم في إقدامه يتترس
فسل عنه أسداً في عمان وفارس وفي قطر يخبرك عنه المرأس
وسل عنه فرسان السواحل هل رأوا
مواقفه فيها الكماة تفرس
يلوذ به من كل حي سراته إذا اشتجر المران والخيل تشمس
وبهكنة لما رأت صدق عزمه
إلى الحرب صاحت وهي بالغنج تحبس
فلم يثنه عن كل مجد يرومه تثني قدود واللواحظ نعس
له السبق في غايات مجد وسؤدد فمن رام إدراك الغضنفر ينكس
له همم لاتنثني بمكاره من الضد إذ شم المعاقل تحرس
تبيت الرعايا هجداً لانتباهه وعن نبئة مابات فيهم تحسس
على البعد قد رد العدو بغيظه ومانال خيراً من أتى يتجسس
أيادي الهمام الندب ذي البأس والندى
تقلدها منه الأكارم أو كسوا

أقربها الأضداد في كل موطن   وهل يختفي بدر إذا الليل حندس
وكم مستجير أرهقته عداته   أجار وبالعز انثنى يتميس
به الجود طبعاً لايزايل كفه   كما أن بالبدر الضيا متلبس
وكم خاض لج البحر راج يؤمه   وبالبشر وافاه الغنا والتأنس
ترى جوده بالمخلصين مواصلا   ورب غمام جاد يوماً ويحبس
ولم ينس ذا ود نأت عنه داره   لإحسانه في كل قطر مغرس
به حسن الأخلاق قد نال رفعة   وعزاً ونعمى دونها الضد ينكس
كساه كريم الذات و الأصل ماجد   ملابس فخر لاتبيد فتدرس
وأصبح قس في البلاغه باقلا   لديه ولو جاراه سحبان يخرس
حكا نظمه زهر الرياض مكللا   بطلٍّ وحيث الصبح إذ يتنفس
معانيه رقت عن بديع بيانها   وألفاظه منها الفصاحة تيأس
تبدَّى ابن بدويٍّ من العيب سالماً
كذا حسن الأخلاق للطيب مغرس
وفي ذمام للصديق بطبعه   وما الود إلا بالوفاء يؤسس
فيبذل مافي وسعه لحميمه   حناناً وهذا شأن من هو كيس
كريم إخاء ليس يخفر وده   بعاد له دست المروءة مجلس
فيا حسن الافعال ياصادق الوفا   ويامن له في المكرمات تغرس
أتانا نظام الدر منك مفصلا   كعقد من العقيان بل هو أنفس

فحلت به الغيد الغواني نحورها ... فهن به للتيه بالحسن ميس
فحرت وقد أحجمت دون جوابه ... مخافة من حسن المجارات أفلس
وأنت عليم أنني لست شاعراً ... ولا قام فينا للقريض مدرس
على أنني من مشعر قد تسنموا ... ذرى العز في أكنافهم وترأسوا
أبي الضيم منهم كل قرم سميدع ... لهم كل وال لان من حيث هم قسوا
يجيرون أرباب الجنايات حين لا ... مجير يقي من في الجناية أركسوا
ورمت أخا فضل يجيد بنظمه ... مدائح مولانا الهمام فتغرس
ويحيى رسوم الود فينا بذكرها ... فينعش قلباً بالتنائي يوسوس
وليس بهذا الصقع أجمع من له ... فرائد تروى عنه يوماً وتدرس
سوى صاحب حر به الدهر جادلي ... إلى فكره خيل القوافي تكردس
رآني أعاني عبء ماقد أنيط بي ... فساعدني في حمل ما يتقرطس
أتى شاهداً عدلاً بمدحي لفضلكم ... أما كل مرضي الشهادة كيس
فقام به عني مقام تؤدد ... وما جاء منه فهو عني مؤسس
فهاك جواباً نقد حر يزينه ... خلوص وداد لم يشبه التلبس
دعاني إليه مدح أفضل سيد ... له في صنوف الحمد والمجد مغرس
وصدق إخاء قد ورثناه بيننا ... قديماً وكل في التوادد ريس
فلا زال رب الفضل بالعز رافلاً ... مديد الهنا بالسعد بالله يحرس
وعشت سعيد الجد ما حن مغرم ... إلى خله أوراق بالأنس مجلس

⋆ ⋆ ⋆

وبما قاله رحمه الله مشطراً أبياتاً للشريف الرضي ، وذلك عند وقوف بعض الأصحاب السادة عليها في ديوان الشريف المذكور ، فشطرها الوالد ارتجالاً في المجلس ، فقال وهم إذ ذاك على شاطىء الفرات ، فقالا :

يا صاحبيَّ قفالي واقضيا وطرا   لمغرم القلب صب رب أسمار
وعللاني بذكرى من ولعت بهم   وخبرانيَ عن نجد بأخبار
هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت
بودق   وسميَّة هلت بأسحار
وهل رعت ظبيات الحي من طرب   خميلة الطلح ذات البان والغار
وهل أبيت وداري عند كاظمة   قرير عين بعين بين أزهار
لم أنس جيرتنا ومترع المنحنى   داري وسمار ذاك الحي سمار
تضوع أرواح نجد في ثيابهم   فهاج شوقي لمغنى فيه أوطاري
لاشيىء يعدل لقيا منجدين يدوا   عند القدوم بقرب العهد بالدار

قال سيدي الوالد رحمه الله تعالى : قد وقفت على أثر يروى عن إمامنا محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى ، وهو أنه قال : إن خيري الدنيا والآخرة في خمس خصال : وهي: غنى النفس ، و كف الأذى، و كسب الحلال، ولباس التقوى، والثقة بالله تعالى على كل حال . فأحببت نظم هذا الأثر، فقال رحمه الله تعالى وذلك في ٢٠ صفر سنة ١٢٦٥ ﻫ :

أرى خيري الدارين يجمع كله   بخمس خصال يالها من لطائف
بنص الإمام الشافعي أخي التقى   هو الحبر كنز العلم شمس المعارف

غنى النفس مع كف الأذى واكتساب ما
يحل وملبوس التقى حصن خائف

على كل حال كن بربك واثقاً بنفع وكشف الضر عند المخاوف
فدونكها خمساً وكن واعياً لها مكباً عليها لا كفدم مخالف

☆ ☆ ☆

ولما وصلت إلى صالح التميمي من داود باشا القصيدة «الخالية»، المتقدم ذكرها، طالباً من صالح المذكور مجاراتها، فاعتذر صالح المذكور من الباشا بهذه القصيدة الآتي ذكرها، وأرسلها إلى الباشا، وهو إذ ذاك في إسلامبول، وهي هذه حيث يقول:

عهدناك تعفو عن مسيىء تعذرا ألا فاعفنا عن رد شعر تنصرا
وهل من مسيحي فصيح نعده إذا أينع الشعر الفصيح وأثمرا
دع الشانيَ المخصوص بالنص إننا نراه بميدان البلاغة أبترا
به سمة من صبغة الخال سودة بصيرته لا كان ممن تبصرا
عداه شبيب والأحص وفاته من الرند والقيصوم ما كان مزهرا
أما وعلوم ضمها صدرك الذي براه إله العرش للعلم إذ برا
وفيض أيادي حكمة في رقابنا مكارم كالأطواق محكمة العرى
لجم غفير صيّر الخال قبله مكان القوافي بالقوافي مكررا
وما الشعر إلا ما أبانت صدوره قوافيه لا ما السمع فيه تحيرا
وغنى به الساقي على الكأس آخذا
عليك وإن لم تشرب الكأس أسكرا

لعمرك ما كعب ولا الشيخ قبله ... زهير بتكرار القوافي تصدرا

وإني أرى المصنوع فيه تأمرا ... بما لا أرى المطبوع إلا تأمرا

فدع ذا ولكن أسأل الله بالذي ... دنا فتدلَّى ثم بالوحي أخبرا

بشيراً يوافي باللقاء وظالما ... يوافي رسولا بعد يأس مبشرا

لداود ذي الأيدي الجسام صنائع ... لنا يسرت أمراً لنا ما تيسرا

رؤوف بنا برٌّ عطوف ولم يكن ... تغير لو أن الزمان تغيرا

على البعد شاهدنا له كم عناية ... تشكر والإحسان بالحر أثرا

ومذ وصلت هذه إلى داود باشا من صالح التميمي ، عرضها على بطرس كرامة ، فوجده معتذراً عن مجاراته ، فكتب بطرس جواباً عن قصيدته المتقدمة راداً عليه ما اعتذر به فقال :

لكل امرىءٍ شأن تبارك من برى

وخص بما قد شاء كلًا من الورى

ولو شاء كان الناس أمة واحد ... ولم تلق يوماً بينهم قط منكرا

ولا يفتخر مرءٌ بجد يناله ... تراثاً إذا عن طارق الفخر قصرا

ولا يحتقر دراً يجيىء به فتى ... يخالف جنساً أو يرى غير ما يرى

إذا ضاع قدر الدر من حلي بائع ... فذلك جهلًا باللآلي بلا امرا

كما عاب شعري قائل في قريضه ... ألا فاعفنا عن رد شعر تنصرا

عداني شبيب والأحص وإنما ... رشفت من الآداب شهداً وكوثرا

ولي سمة من صبغة الخال قد سمت وقد سودتني بالبلاغة منبرا

عجبت له من أنه نعم فاضل

فكيف تقاضى عن أخي الفضل وازدرى

نعم إنني من أمة عيسوية وأهل كتاب لن يشان وينكرا

وأقرب من كل الأنام مودة إليه كما قد جاء بالذكر مخبرا

وما أنا ممن آمنوا بنبيهم وقد أنكروا وصحب الرسول المطهرا

ولو أنه يتلو وقل لا تجادلوا لكان أتى بالحق حكما وما افترى

لعمرك ماداعي الفصاحة ملة ولا نسب حتى ألام وأهجرا

فذلك فضل الله يؤتيه من يشا ولن ينتهي فضل الإله ويحصرا

فقس مسيحي والسموأل موسوي وغيرهما ممن تقدم أعصرا

كذاك ابن سهل وابن صاعدة الذي ببغداد أهدته المنية للثرى

كذا الصابىء المشهور من شاع ذكره

ومن فضله أملى ابن خاقان دفترا

كفانيَ فخراً أن شعريَ لم يعب بوزن ولا لحن ولم يحو ممقرا

وما الورد إلا الورد ريحاً ومنظرا

وإن يكن الرومي هجا الورد وافترى

ولا يسلب الحسناء قول ضرائر صباح جمال عنده يحمد السرى

ولا يحسبنّي أعجمياً فإن لي من العلم والآداب قوماً ومعشراً

من العرب مطبوع الفصاحة والندى
وغنى بشعري أهل فضل فأسكرا

فأطرب ذا علم ورنح ضيغماً
وهز أخا عشق وأرقص جؤذرا

وإني لمنسوب لآل كرامة
وحاشاه أن يأبى الكرامة مدبرا

ففي حلب والشام رنت قصائدي
وشعري في روض الكنانة أزهرا

ومـا كان منه ذاك إلا ليبتلى
ويعلم ما عندي فيغدو مخبرا

فأحسبها منه يداً قد أراد أن
أكون شهيراً بالعراق وأذكرا

* * *

ولما وقف الوالد رحمه الله على قصيدتيهما المذكورتين ، أحب أن يحكم بينهما فيما تشاجرا فيه ، وهي هذه :

حكمت وحكمي الحق ناء عن المرا
بـأن التميمي الأديب تعثرا

بذم قوافٍ في تمـام جناسهـا
وذلك نوع في البديع تقررا

وعند اتحاد الجنس فالنوع سائغ
تعدده بل كم أفـاد تخيرا

وشأن ذوي الآداب حب امرىءٍ له
أفـانين في لفظ ومعنى تغيرا

وليس مراداً دين من رق طبعه
أكان حنيفاً مسلماً أو تنصرا

وحسبك منه مـا يفصل عقده
من النظم والمنثور دراً وجوهرا

وكم مسلم منه اللسان وقلبه
على غير دين فضله قد تصدرا

وظلم ذوي الآداب والفضل عيبهم
بما صنعوا من رقة الشعر في الورى

وما كل ورّاد المناهل مفلق ولا رعيه الحوذان كان المؤثرا

وأكثر كتّاب البلاغة لم يرد شبيباً ولا مس الخزامى المنورا

ولم يك للأديان في الشعر مدخل وكل قديم الشعر كان المصدرا

وقادته الأعلون في جاهلية

وشرك وهل كالشرك تلقى مكفرا

وقد قام من أهل الكتابين زمرة

جَنَوا من رياض الشعر ما كان مزهرا

فمن كابن عبّاد يجاري مهلهلا وكان مسيحياً تقدم يشكرا

وكالأخطل المعروف شاعر تغلب يسوق به القسيس في الدير كالفرا

وكعب هو ابن الأشرف القرضي من

بأشعاره وصف الخراعب أسفرا

وقس مضى طول الحياة موحداً وما نقل التثليث عنه ولا اجترا

لذلك عابوا للتميمي قوله ألا فاعفنا عن رد شعر تنصرا

إذا منه عجز عن مجاراة خاله فمال إلى الأديان عمداً تهورا

ولو أنه يدري بقولي لقال لي عهدناك تعفو عن محب تعذرا

وأي مقال قد خلا من معارض فلو عابه بالإنتحال لما افترى

إذا صح عنه الإدعاء لنظم ما بها الخال قد عمَّ القوافي مكررا

فمن سرقات الشعر ما كان حده يقام على الجاني فيصبح أبترا

ويبعد عن هذا الظريف ادعاءها لشهرتها بين الرواة ومن درى

ونسبتها للعاملي قديمة وخمّسها منهم نبيه فحررا

وعارضها ذاك المخمس فانثنى بمدح جواد ظنه أسد الشرى

وتخميسها عندي وما عورضت به وأخرى بكسر اللام يعرب من قرا

على أنني ذيّلتها بمديح من يقرّر فضل النظم والنثر إذ طرا

ولا زمت خالا فوق وجنتها هوى لأرشف من تلك الثنايا المكررا

وجاء له لحن ولكن فخففا برائيّة فيها الجواب تقررا

فقال مسيحي ثم في البيت موسوي بتسكين ياء النسبة القول يُزدرى

وذلك لحن في قواعد مُعرب كما جاء هذا للنحاة مسطرا

وكل انتقاد الشعر دون انتحاله فذلك عيب ضمنه وصمة افترا

بدت لأبي سلمى زهير عناية بتهذيب حولياته قبل أن ترى

بها بلغ الغايات في حسن شعره وفي بيته فالشعر يُروى محررا

كما شاع حر الشعر في بيت بطرس وفي نجله بين المدائن والقرى

فصيح رقى أوج البلاغة يافعاً فأشعاره حلّى بها ربع قيصرا

لأفكاره غر القوافي قريبة وعن غيره بعد الثريا عن الثرى

أتى منه نظم هدّ حجة صالح وإن كان في المنظوم قدماً تصدرا

فأيدتُ ذاك الرد إذ كان صالحاً وزدتُ له بالإحتجاج ليشكرا

وما قلته بين الفريقين واضح فأمعن لهذا القول في الحكم منظرا

وكن منصفا فيما ترجح بعدما تدير الحجى فيما تراه لتعذرا
لكل تراني قد قضيت بحقه وأسأل بارينا الهدى والتبصرا
وقد كان لي من صالح خير صحبة وعند اتباع الحق مازلت أجدرا
وقد مر لي بالشعر بعض علاقة وحكميَ ماضٍ فيه أنفذه الورى
بعصر تقضّت فيه أيام صبوتي أطارح فيه من أشاء بلا ازدرا
ويسعدني فيما أردت شبيبتي وعصر الصبا أدعى لثائرة المرا
لياليَ إذ قاد الهوى لي صبابة فأثنى بها ألمى المراشف جؤذرا
وإني وإن فارقت أيام صبوتي فبالفكر أرعاها عياناً تحسرا
ومن خُلقي تذكار عهد شبيبتي وبعض وفاء الحب أن أتذكرا
لعمرك فاتتني سريعاً حسبتها كزورة جافٍ مر في سنة الكرى
وسائل صب شاب للغيد قد وهت كأعزل لاقى في الهياج غضنفرا
وياطيب عصر صالح لي بصالح بصحبته كان الوداد مقررا
بمنعرج الفيحاء مر اجتماعنا وكان به ليل المسرة مقمرا
قصيت به للأنس كل لبانة
فإن شئت سل عما جرى حين إذ جرى
فيا طالما حل القريض بنظمه وفاح به النادي لذلك عنبرا
وكم نُكتٍ أبدى لنا من فنونه طرائف منها يرشف السمع كوثرا
سوى أنه في الإرتجال لراجل إذا أبصر الأعيان في الربع حُضَّرا

حيــاء وإن ضم اليراع بنــانه أجاد أعاريض القريض مفكرا
عسى مالك الغفران يقبل عذره ويمحو له مــا ظل فيه مقصرا
ودونك إبراهيم هيفاء كاعبــاً أحاديثها تغني عن الراح مسكرا
وترفل تيهاً في مطارف حسنها وبالغنج تجلو عن نديم مكدرا
أتتك من الفيحاء تطوي سباسباً قفاراً بها الخريت صاح تحيرا
فلا منهجاً دلت ولا منهلا درت ولا سمة تهدي بها يحمد السرى
وغاية ما في النفس علم ورودها إليك بهــا يسعى البريد محررا
ولا زلت تجلو كل حالية بهــا تسامر مصقول الترائب أحورا
وعش فارها ماجاد بالوصل نازح على والهٍ بالقرب وافى مبشرا

* * *

وهذه القصيدة الدالية الآتية ، قالها الوالد رحمه الله في بطرس كرامة ، مجاوبــاً عن قصيدته الرائية التي مطلعها « بلا موعد زارت فقمت تشكراً » وهذا ما تيسر من كلام الوالد رحمه الله تعالى في الدالية التي مطلعها :

سرت بالهنا سعدى إليّ على بعد فأدنت كما شاءت جنى ثمر الود
فإن الصبا للصب أرجى وسيلة ينال به منهن ما رام من قصد
وقد كنت ألفى الغانيات بحسنها وعشت المفدى عندهن بلا مد
وأجني المنى من كل مثمرة الهنا ويغبطني فيما مضى كل ذي سعد
يروق العذارى الغر حسن شمائلي وكنت وإياهن في عيشة رغد
ومذ بان صبح الفود في ليل فرعه ولانت قناتي للهصور ومستعد

تناءين عني معرضاتٍ عن الوفا | وأنكرنني ما كان من وافر الرفد
ودأب الغواني نقض ماضي عهودها | وليست تفي طبعاً بعهد ولا وعد
فرحت ومالي من سمير منادم | سوى ما أتاني من قريب ومن بعد
فرائد تجلو الهم عن قلب مغرم | فيمسي بها الحيران في زي مستهدي
معانٍ يغالي في بديع بيانها | وموجز لفظ في فصاحته فرد
كعقد جمان راق حسناً لبارع | بليغ بديع العصر في الهزل والجد
مليك رسوم الفضل في كل مبحث | له غيره في النظم من جملة الجند
كأن إياساً قد أعيد بعصرنا | فضاء به وجه الذكاء لمعتد
أديب أريب لو تفقه باقل | بآدابه أضحى دليلاً إلى الرشد
لبطرس أضحى كل بيت مشيد | دعائمه تبنى على أرفع العمد
بنى بطرس في بيت آل كرامة | وفاء ذمام ليس يخفر بالصد
يقيم لأرباب الصداقة ذمة | وود نجيب غير منتقض العهد
لأبكار أفكار الأديب عرائس | محاسنها جلت عن الحصر والعد
وفي لفظها كم هام كل معظم | وأغنته عن حسن القريض بما تبدي
وفي حلب والشام حلّى صدورها | فرائد مدح دونها كل ذي رفد
تغزله ما قيس لبنى يجيده | ومنه جميل في بثينة يستجدي
فألفاظه لم تلق فيها غرابة | وواردها يروى من المنهل العد

فيامن تحلى باوفاء سجية   وصدق وفاء الحر يدني أخا البعد

ويامن غدا في النظم والنثر مفرداً   وفطنته صانتهما من أذى النقد

أتتني عشاءً منك حسناء بضة   تهادى بحسن الدل في السير والقصد

أدارت علينا من كؤوس ودادها   شراباً حوى من كل مستعذب الورد

لها اتخذ الأخدان نزهة محفل   وبهجته فيما تعيد وما تبدي

فقابلها مني القبول ونوّهت   بأوصافها قومي ولست بذا وجد

وقد طلبت مني رسائل ذي هوى   فوافقتها فيما أرادته بالجهد

فدونك مني يانديمي فريدة   بديعة حسن ترتقي ذروة المجد

لها أخوات سار شرقاً ومغرباً   لها حسن ذكر في البسيطة ممتد

تهن بها عذراء حسناء تنتمي   إلى أشرف الآباء والخال والجد

أتتك على بعد المزار مودة   وتطوي الفيافي بالرسيم وبالوخد

وما مهرها إلا جواب خطابها   سريعاً وخير الوصل ماجاء عن ود

ولا زلت في حفظ الكريم منعماً   تلازمك الأفراح بالعز والسعد

معاناً منال السؤل ما ذر شارق   وعشت وفياً بالعهود وبالوعد

إن أحلى ما يتعاطاه ذوو الأحلام ، حسن المخاطبة بألسنة الأقلام ، فإن بها تحسم مادة الاعتذار ، بطول المسافة وبعد الديار ، وبها يتقاضى كل ذي دين ، والمتقاعد عنها يبوء بخفي حنين ، وبها تتوفر دواعي الوداد ممن حجبته آفة البعاد ، وبها أيقنت

أن لحمة الأدب أدعى للمودة من لحمة النسب ، ولقد حملت رائد الفكر على نجائب الهمة ، وأسريته في الليالي المدلهمة ، فارتاد لي كل شجراء يانعة مما استطبت مراتعه وتفيأت تحت ظلها الظليل ، واخترت أن أتخذها لحسن المقيل ، ليتفكه النظر بمعاينة ذلك الروض الأريض ، وزالت بها عني مقالة حـــال الجريض دون القريض ، ورأيت منهـــا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، فإن قماري البلاغة على أفنان فنونهـــا صادحة ، وكل ليلة أسريها أقول للأنس: ما أشبه الليله بالبارحة، وما ذلك إلا عند ورود القصيدة الفريدة لناظمها الذي أصبح في دست البلاغة عميده ، إلا وهو المفلق الظريف فما ابن العفيف ، فبورودها علي ابتهجت بها النفوس ، حتى قيل: لا عطر بعد عروس ، كيف ومنشئها سلطان الأدب، الذي تقتبس من أفنان فنونه أبنـاء العرب ، وهو صديقنا ، والاعز لدينا ، الخواجا بطرس كرامة ، لازال قائلًا في ظل الاستقامة ، غب الدعاء ، فالباعث لتحرير نميقة الوداد، ووشم وجنة طرسها بمـلك المداد ، هو إعلامك بوصول قصيدتكم الغرا ، التي بدا منها ثغر البلاغة مفترا ، فجعلتها أنسي وبهجة مجلسي بين الصحاب ، ومـا أروم بديلًا ، ورأيت أن جوابها كالمفترض ، وأن لم يكن عنها عوض ، على أن بذل الموجود هو غاية الجود ، فهذا هو واصل إليك ، فاشدد به يديك ، وقد غيرت القافية ، وما أحببت أن أجعلها لما سبقها قافية ، لكون التكرار لغير حاجة يمل ، كما أن النهل إذا أروى يغني عن العلل وقد أرسلتها على يد محب الجميع ، فتح الله بن نعمة الله يوسف عبود ، فأفدنا عن وصولها غب الورود . وهذا جواب النصراني بطرس كرامة ، عن قصيدة الوالد رحمه الله ، السابق ذكرها فقال :

أتت تنجلي حسناً فهل نافع جدي ... إذا لم يساعدني على وصلها جدي

سلاها فؤاد ما سلاها ولم يزل ... يهيم بها وجداً على القرب والبعد

غزالة حسن بالغزالة تزدري ... ومن عجب أشتاقها وهي في كبد

إذا نسمات التيه لاعبن قدهـا ... فيا خجل الخطي ويا خجلة الملد

محجبة كم بات دون حجابها أخو لوعة بين الصبابة والوجد

موانعة بالفتك نادت لحاظها قفوا وانظروا فعل الجآذر بالأسد

وأبدت نبال الغنج في قوس حاجب

وأبيض نصالا بأدعج مسود

ففي الجفن كسرى والنجاشيُّ خالها نزيل على النعمان في روضة الخد

لقد غصبت مني الفؤاد وهاجرت أما للهوى شرع فيحكم بالرد

رأتني فقالت من أرى قلت مغرماً أراقت دماه مقلتاكِ على عمد

ألا رب يوم والزمان مساعد ولم يك فيه من رقيب ولا ضد

أتتني بليل من ذوائب شعرها تجرُّ على آثارها فاضل البرد

تميس وفي الأعطاف لين وصبوة وفي النشر من أردانها أرج الند

فرحت وقد مادت دلالا وقد رنت

سريع الهوى بين المثقَّف والهند

ومن ورد خديها ولامي غدارها لقدبت أروي شرح «لامية الوردي»

رمت بلثام من غدائر فرعها

فحقاً رأيت الشمس في الحالك الجعد

تقول وقد هزت من القد أسمراً حذار رماح الخط من أسمر القدِّ

ومنَّت وما ضنت بكأس مزاجها من المبسم الدرّي والحبب الشهد

تدير الحميَّا مع سلافة ثغرها لتجمع بين الهزل في ذاك والجد

مداماً على أقداحها الزهر أشرقت حباباً يبث الروح في الحجر الصلد
تشابه لوناً خدها وسلافهـا ومن شبه لم أدر أيهـما قصدي
فأحتسب الصهباء خداً وخدها سلافا وقد أضللت بينهما رشدي
وشابه منها الثغر كأس تديرها كما شابه الدري كوكبها النهد
نسيم الصبا إن جئت دار أحبتي سقاها الحيا غيث السماحة والرفد
فبثي من المشتاق نشر صبابة لسحار جفن عنده مثل ما عندي
يبلغني نشر الخزامى حديثه ويخبرني عن ثغره البارق النجد
فأبكي لذكراه ويبكي مردداً لذكريَ در الدمع في درر العقد
فكم بات مهتوك النقاب موسداً على عفة يهتز وجداً على زند
إلى الصبر أشكو مالقيت من النوى
وهيهـات صبري إن شكوت له يجدي
وعاهدت قبل البين قلبي تصبراً ففر ولم يحفظ غداة النوى عهدي
نديمي أدر كأساً بذكرى أحبة ومالي من ذكرى الأحبة من بد
ودعْ عنك ذكرى الحادثات فإنها تدور مع الأيام بالحلِّ والعقد
وباكرْ صبوحاً كالصباح وغنني بذكر الحسيني لابهند ولادعد
خدين العلى عبد الجليل ومن غدا بآدابه الغراء كالعلم الفرد
هو البحر مداً بالعلوم ولم يكن بساحله جزر يطول على المد
فضائله بين الأنام كأنهـا نجوم سمـاء ليس تحصر بالعد

سليل كرام ياله من مهذب أخي شيم قد طابقت شرف الجد
فلم تره إلا مقيماً على الثنـا ولم تلقه إلا توشح بالحمـد
فمن أدب زاهٍ تسامى محامداً ومن نسب باهٍ تزين بالمجـد
إمام بني الآداب بالنفس تشترى على ربح فضل ما يعيد وما يبدي
لقد أنقذ الآذان دراً تلألأت فرائده نظـما يجل عن النقد
كريم حليم طاهر حسن الوفـا شريف منيـف قدره صادق الود
أبحت الورى مدحي له فـإذا الورى
جميعهمُ مثلي ولست أنا وحدي
ألا أيها المولى الذي شاع فضله فليس له عند البلاغة من ند
أتاني بلا وعد كتابك زائراً ولله محبوب يزور بـلا وعد
هو التحفة الزهراء من خير ماجد له الفضل من قبل عليّ ومن بعد
به من بنات النظم هيفاء غـاذة تجاوز معناها البليغ عن الحد
فـكم من زهير تحت أزهار لفظها وكم طرفة تسمو على طرفة العبد
فمن كل معنىً ألف بيت لناظر ومن كل بيت ألف معنى لمستجد
فما قيس مع لبنى يقبـل ثغرهـا وعبد ابن عجلان يدير لمى هند
بـأوفر مني لذة حين أقبلت تبلـغ من مولى ثناء إلى عبد
كفاني حديث الغانيات نسيبها وأغنت عن الصهبا فصيرتها وردي
ولما شفا قلبي الكئيب وصالهـا غفرت لدهري ما جناه من الصد

وصيرتها في غربتي خير مؤنس ... وأنزلتها في منزل الأهل والولد

وسميتها سلوى الغريب لأنها ... ألذ من السلوى وأحلى من القند

فمني لها أهدي إليك وليدة ... جويرية فاقبل بفضلك ما أهدي

وخذها بعفو عن قصور فإنها ... بنيّة نظم من مقلٍّ على جهد

سرت من بلاد الروم وهي رقيقة ... ومن عجب ألا تمل من الوخد

فلو كنت حسان البلاغة لم تقم ... بجمع معانيك الحسان يدا جهدي

وحسبك منها أنها من موحد ... بحبك عن توحيده غير مرتد

تسير بها أشواقه ودليلها ... نوافح فضل منك لا نفحة الرند

لها كل يوم في مديحك رغبة ... ولكنها عن مدح غيرك في زهد

كريمة نفس وهي بنت كرامة ... تهادي كريم الدر أكرم مستهد

بأوصافك الحسنى تتيه وتنجلي ... بحسن إلى روض البلاغة ممتد

فلازلت مأوى كل عز ومدحة ... ترف لك الأشعار وفداً على وفد

وتخدمك الأيام فيما تريده ... سليم المنى من حادث الزمن النكد

قرين التهاني والمسرات ظافراً ... بنيل الأماني لابساً حلل السعد

تمت سنة ١٢٦٧ هـ .

ثم ألحق القصيدة بنثر ، وها هو : يقبل العبد الرقيق يدي مولى الفضل على التحقيق ، ويعرض لمقامه الزاهر ، بعد بسط الدعاء ونشر الثناء العاطر ،

إنه وصل كتاب سيدي أطال الله بقاه ، وبلغه ما يرومه ويتمناه ، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى لذوي الألباب ، الذين يعشقون بالغيب ،ويقيمون صور الأخلاء والأحباب، فدخلت من رياضه في جنة قطوفها دانية ، وآمنت بما أنزل على الملكين ببابل عندماتفقهت معانيه ، فياله من فلك ضاءت بأقمار المعـــاني بروجه ومنازله ، وأقر بالعجز والتقصير مجاريه ومنازله ، لوشهد ابن يحيى تحبيره ، لودأن يكون له مداداً وجلباباً ، ولو حضر الصابي تتريبه لقال :ياليتني كنت تراباً ، لاسيا القصيدة الجامعة لمحاسن الشعر ، فإن الآداب انتبذت من غيرها مكاناً شرقيا ، وكلما دخل محراب فضلها زكريا الفكر وجد عندهـــا من فضائل العلوم رزقا جنيا ، ألا أكرم بهـــا منظومة نشرت بدار الخلافة والسعادة ، فبلغت من الحسنى مـــا شاءت وزيادة ، وها أنا مقدم للخدمة بدلا عنها قصيدة ، لاتفيأ بجزء منها ، لكنها مثلتها كما مثلت الراح خد الحبيب ، وشابهتها كما شابه الأقحوان أفتوار المبسم العذيب ، وهيهات فما كل سوداء تمرة ، ولا كل حمراء جمرة ، وما هي إلا أنها قابلت الجوهر بالعرض ، وعوضت عن الدرر بالخضض ، لكن العفو من سيدي مأمول بأن يتخذها بعين القبول ، إذ هي من محب ليس غير حفظ الوداد فضيلة ، وعين الرضى عن كل عيب كليلة ، هذا وإنني ألثم راحات سيدي النجل السعيد حفظه الله تعالى وإياكم بالعيش الهني الرغيد . وأبلغ خير الدعـــاء إلى جميع من في ذلك الجناب من الأحباب ، أولي العلم والفضل والآداب ، وأما في هذا الطرف الأشرف ، فإنه لم يبق فاضل أديب ، ولا عالم أريب ، إلا وفاز من قصص أخباركم بحصة ، وجليت لديه عرائس أفكاره على أعلى منصة ، فمن ثمة يهدون إليكم من التحيات أطيبها ومن التسليمات أعذبهـا ، فأدام الله تعالى فضلكم منشوراً ، وأبقاكم البقاء الجميل أدهراً وعصوراً ، آمين ثم آمين . والدعاء ختام ، فنعم الختـــام.

* * *

وقال رحمه الله تعالى مؤرخا بغلة خليفة بن عبد الله رحمهم الله تعالى أجمعين سنة ١٢٦٣هـ:

يامن بقدرته لقد دار الفلك   والفلك سار بعينه مهما سلك

احفظ بلطفك فلك عبد خاضع ... لك أنت تحفظه كما قد أملك

فلك ابن عبد الله ذاك خليفة ... من فاز بالإحسان فيما قد ملك

قد راق أحكاماً وصنعاً فلكه ... لازال محفوظا بضوء أو حلك

وبخير فأل قد أتى تاريخه ... فز بالمصطفى السعد والتيسير لك

وبما قاله الوالد رحمه الله مؤرخاً مركب أبناء نصف بن ناصر بن محمد سنة ١٢٦٣ هـ:

ياكريماً منه النوال الموفى ... جد بتيسير مركب ليس يخفى

مركب للكرام إبنا كرام ... من أبوهم يدعى لدى المدح نصفا

راق أحكام صنعة كل شيء ... منه لاعيب قط في ذلك يلفى

ربِ باركْ لهم بما صنعوه ... إنهم فتية من المزن أصفى

وإذا شئت عامه فلتأرخ ... جيىء بالخير والعلى للمصفى

* * *

وبما قاله رحمه الله تعالى بما طرأ له في البال ، وحركته بواعث البلبال ، أن نظم هذه القصيدة الفريدة ، تشتمل على تنبيهات ووصايا مفيدة ، خاطب بها بنيه ومن اقتفاها ، فجاءت بفصاحتها كالشمس وضحاها ، وهي حيث يقول سنة ١٢٦٦ هـ :

طلاب النفس ما اعتادته جار ... ولا تنفك عنه بدون قهر

كإرغام بصيراً أو بعجز ... عن الإدراك من إقلال وفر

فأعظم ما يساء به المرجَّى قصور الباع عن إحسان مثر
إذا ألف الغناء المرء يوماً تذكر مامضى في حال يسر
كرغد العيش في نعمى وعز به بلغ المنى من كل أمر
كإيناس الضيوف بطيب نفس ومن صلة بأرحام وبر
ومن جود على العافين لما إليه يمموا من كل قطر
ومن نوب تعم فيقتفيها فيكشفها بجاه أو بفكر
وفي تذكاره هذا عناء فتعلو حسرة وزفير صدر
ولازمه السهاد بلا ملم فبات بلوعة والدمع يجري
ولا أسف على مال تولّى وكم في الدهر من حلو ومر
وكم كدر أتى من بعد صفو ومد البحر أعقبه بجزر
ولكنّ التأسف في مساع حسان معالم الآثار غر
إذا قصرت خطاه عن المعالي أيبلغها بلا زاد وذخر
ومن يحذر يمس اللؤم طبعاً أباه بات في هم مضر
فيبذل جهده في كل حال وبذل الجهد أصدق كل عذر
دع الشكوى إلى الأحياء طراً فليس يجاب داعي صم صخر
أتشكو للذي يحتاج دهراً كما تحتاج في سعة وفقر
وتنسى موجد الأشياء حقاً ومالك كل منفعة وضر
وسل مولى يثيب بلا جزاء بصدق عزيمة وحضور فكر

سل الاحسان مولى ذا عطاء	عميم في البرايا غير نزر
خضِ الغمرات في قمع الأعادي	وبالبيض الرقاق أجل زجر
بحزم في الأمور عقيب عزم	بلا خور وخذ بأتم حذر
فلا الإقدام من أجل بمدنٍ	ولا الإحجام جاء بمدِّ عمر
إلى الأقدار يرجع كل شيئٍ	ولم يعلم بمطوي المكر
وثق بالله فيما جئت صدقاً	بلا أشر فكم أسدى بنصر
جمال الذات صنه بحسن صبر	كما صان الخراعب سجف خدر
وحسن الغانيات أجل قدراً	من الشيم التي بالبدر تزري
ولست تعد بالشكوى صبوراً	وكتمان المكالب دأب حر
على سنن الأكارم سر مجداً	على الحالين من عسر ويسر
فلا نجل يجر إليك مجداً	وكل غنىً بلا مجد كفقر
ولا تخضع لمخلوف لطول	أيأتي كل ذي ثدي بدر
ولا ترهب ملوك العصر طرا	وخاطبهم بنهي أو بأمر
بحسن عبارة ولطيف معنى	وآداب بلا هذر وهجر
فيؤثر عنك علم بالقضايا	ومعرفة بحادث كل عصر
وكنت لديهم الكفء المرجّى	لكل ملمة وسداد ثغر
وبالمعروف مر وخف المناهي	وجانب كل فعل فيك مزري
وبادر كل مكرمة تأتَّت	تخلِّد في الزمان حميد ذكر

ومل للحق في قول وفعل ولا تعبأ بزيد أو بعمرو
لزوم عفاف نفسك كنز مجد ومطلع سؤدد بشموس فخر
ولا يجدي إضاعته سفاهاً أتعتاض الدجاء بضوء بدر
عن الجارات غضّ الطرف عمداً ولو ألقين عنك حجاب ستر
وإن غابت بعولتهن فاحذر رقيباً لايفارق قيدِ شبر
بُنيَّ إليك مني نصح صدق بدا لك من شفيق القلب بر
لقد قاسى شدائد كل خطب نمت عنه مخالب كل صقر
وكابد حادثات الدهر حتى أشاب قذاله حدثان دهر
وطارح مشمخر النفس كبراً ومارس كل فحل غير غمر
وشاهد ما ادعاه يرى عياناً وكل نبيل هذا الجيل يدري
ولكن المشيب له اعتناء بهدِّ منار كل رفيع قدر
بضعف قواه عن همم تسامت وعن عزمات ليث مكفهر
وخذ بنصيحة جاءتك عفواً بدت لك بعد تجربة وخبر
ودونك بنت فكري ذات نطق يقلد جيد حسنا عقد در
ومن طرب لها ذو الفهم أضحى بحالة محتسٍ أقداح خمر
لها يهتز عطف كريم طبع وحلت سمع صافي الذهن حبر
وتشرح صدر ندب ذي انتباه لما تبدي ليالي كل عصر
نظمت بها درار الأفق يهدي بها ذو دلجة بالنجم يسري
ولا زلت الموفَّق ذا سداد ورأي صائب في كل أمر

★ ★ ★

وله أيضاً رحمه الله تعالى من أبيات في معنى أمر مرجعه لحظ الانسان :

حسن الأمور إلى الإسعاد مرجعها   وليس للسعي والتدبير قد قسما
فالجيم والخاء بالإعجام قد حظيا   والحاء بينهما إهمالها رسما
والكل متحد في الرسم صورته   والوجه بالسبق والتأخير قد حسما

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

إذا ما علا نذل على ذي مكارم   فلا بدع قد يعلو الرماد على الجمر
وليس امتهان المرء يوماً يضيره   فالاسم مع التمكين يختص بالجر

وله أيضاً رحمه الله تعالى مؤرخاً عام شراء بغلة محمد بن فرج ، المسمى السلامي:

سألتك ياربّاه يامبدع العطا   ومن بره في ناطق وبصامت
أطل حفظ فلك فاق في حسن صنعه   وأحكامه والسبق في كل غاية
وياطالما نال المساكين قصدهم   إذا ركبوا فيه لحسن العناية
أما إنه فلك النبيل محمد   به فرج الداني ونأي القرابة
وإحسانه عار من المن والأذى   ولا احتاج راج للخضوع بحاجة
فلا زال يعلو اسماً وقدراً ومنصباً   وعاش على الخيرات طبق الإرادة
لعام شراء الفلك قلت مؤرخا   فلاحٌ وربحٌ كل رزق السلامتي

★ ★ ★

وفي سنة ١٢٦٥ هـ ، ورد من عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف ، هذا اللغز في الساعة المعروفة المستعملة ، وهذا صورة سؤاله حيث يقول رحمه الله تعالى :

ياسادة قد حوت علماً ومنقبة جليلة في مراض للإله سعت
ماقولكم في حبيب حاز أربعة من الحروف التي في العد قدجمعت
قافاً ولاماً وهاءً ثم واحدة قل آه ذي من حساب الجمل ائتلفت
في كشف مرّ الجديدين لها أثر جميلة حسنها في الصدق إن صدقت
معشوقة لجميع العالمين لها أكيد ودٍّ لعبّاد الإله ثبت
محبوبة حملت فوق الصدور على يسرى قلوبهم اللاتي بها شغفت
في وجهها المقمر الوضاح من لمس سبع وخمس بهذا اللمس قد عرفت
وحولها نقط خال عند جملتها سين عنيت بها ستين قد رقمت
زوجان ضمتها للسعي قد خلقا سعي المحب إلى محبوبه ألفت
يطّوفانِ كخلق بالعتيق بها ويلثمان سواد الخال ماحييت
إن حرك العضو منها من لطافتها جميع أعضائها حالاً قد اضطربت
تسبح الله جهراً في مقالتها ليلًا نهاراً بنغمات لها سمعت
كذابة ما سجاح عند كذبتها
وما طيور القطا في الصدق إن صدقت
قلبي منوط بها من صدق لهجتها من حسن بهجتها عيني بها طمحت
مني فوا أسفا إن قد تملكها كفار ملتنا من عندهم جلبت
ياسيدي أفتني في شرح حالتها وحالتي أنني عذري ومن فتنت
إن قلت صبراً عن المحبوب قلت فمن يسطيع أن يترك الخمس التي فرضت

فاسلم ودم فائزاً في عز منزلة   قمساء مع نعمة جماء قد جمعت

* * *

وهذا جواب الوالد رحمه الله تعالى مجاوباً عن اللغز الوارد من عبد اللطيف الصحاف في شوال سنة ١٢٦٥ هـ في الساعة المعروفة السابق ذكرها ، وهو هذا ، فقال :

لقد ظننت بأن الساعة اقتربت   لما علمت بليلى قد جفت فسلت

ماشاقني بعد ليلى من أسامره   ليلًا أحاديث أوقات لنا سلفت

ما زال أعوامها إلا وتصدقني   بما تحدثني عما به وقدت

ولا ملات ولا ملت مواصلتي   ولا نبذت عهوداً بيننا انعقدت

إني ليعجبني صوت لها غرد   إذا العيون عن السمار قد رقدت

شابت وشبت وما خانت عهود رضىً   مني عليها فأشواقي بها اتصلت

من بعدها هل يجول اللغز في فكري   من أين لي حله إذ جيرتي نزحت

وليس يطربني كشف لغامضه   ولاأميل إلى الألغاز حيث أتت

ولا أضيّع أوقات الفراغ بها   ففكرتي عندحل اللغزقد صدئت

لكنه لمعت لي منه بارقة   منها رأيت دياجيه لنا اتضحت

فقلت ياسائلي شاقتك دائرة   دارت عليها رحا الأوقات حيث سرت

ياويحها إن تقف عما يراد بها   وإن سعت نحوه في حاجة قضيت

تريك صدقا فكذباً عند رؤيتها   ما كل شيىء يرى أحواله عرفت

ما أحسن الصدق منها عند منظرها   فإنهـا لحميد الصحبة اتخذت

في صحن وجنتها دبت عقاربها   دبيب نمل عذار في الخدود زهت

إن أبطأت في مسير أو هي اعتجلت

للوعد عيفت وترضاهـا إذا اعتدلت

مهما تقع عينها في صدرها فلهـا   فعل الترجي بهذا الحكم قد شهرت

بهذه الحال إن صحّـفت أحرفها   رأيت غيماً على شمس به احتجبت

أو صحّـفت سينهـا والعين واقعة

في صدرها فهي من خمس الفروض أتت

أو صحف السين والباقي بحالته   كانت هناك كما تبتاعه قبلت

للعين صدر وصحف سينها لترا   ها عن بناه إلى ذا الرسم قد عدلت

والعين إن صحفت في نفس موضعها   قل ساعةٌ حلقٌ من في علمه وقعت

وكم لها من معان لا أحررهـا   خوف الملامة من ثقف به اتصلت

وهاك ياشيخ علم مـا يدنسه   منه الريا لا ولا عن سمعة ذكرت

مني الجواب أتاني ساعة عرضت   فيها شواغل أفكاري بها اشتغلت

أنت الخليق بفضل صرت منفرداً   به وشمس ذكاء عينها اتقدت

قد طال عهدي َبالألغاز حيث خلت   منها المغاني كما أربابه انصرفت

فلست تلقى الذي يدري قواعدها   ولا بتعريفهم حداً به عرفت

ولا نديم يعاطينا نفائسها   ولا القريض ترى نفساً له جنحت

لازلت في نعمة تهمي مواطرها | عليك يامن به التقوى قد اقترنت
ماطاب علم الفتى إذ زانه ورع | وما أضاءت به الفتيا إذا سئلت

* * *

وقال أيضاً رحمه الله تعالى بيتين كتبها ضمن كتاب أرسله لمـــا فر سيدي الوالد رحمه الله تعالى إلى السيد أحمد إلى البحرين لما أصابه عند سفره من الانكسار فقال :

فراق الذي مازلت تأبى فراقه | أمر على الذوق السليم من الصبر
وإن تتخذ صبراً يقيك التياعه | فلاشيء أدعى للعناء من الصبر

ومما قاله أيضاً رحمه الله تعالى أبياتاً كتبها في شقة لبعضهم لمناسبة دعت فقال :

أخي قد علمت النصح منك يسرني
فقـــابله مني بالقبول تيمنـــا
جبلت على بذل النصيحة جاهداً | ولله ذاك النصح تبديه معلنا
فأنت كغيث صادف الروض ذابلًا
فأرواه إذ أبدى الثمار لمن جنى
فلازلت مشكور المساعي حميدها | يلازمك التوفيق ما عشت محسنا

* * *

ومما قاله رحمه الله تعالى لبعض شاهات العجم ـ وهو أزد شير ـ لمناسبة دعت فقال:

أرى غرر المكارم من جواد | بهـــا تستل أحقاد الأعادي
طراز الملك في حسن السجايا | وبهجته بتعميم الأيادي
وعدل شامل كل الرعـــايا | وعزّ ثابت الأركان باد

لتغرس في القلوب أكيد ودّ　　فيظهر صدقها يوم الجلاد
وكم أغنى المسامع وصف حرّ　　عن المرأى على نائي البلاد
ويعشق وصفه قاص ودان　　فينشر حمده في كل ناد
وأحلى ما جناه المرء يوماً　　ثمار الودّ ممتنع النفاد
يصان الملك عن درك الرزايا　　ويبقى دونه خرط القتاد
بعزم لم يحله الضد عما　　يحاوله على رغم المعادي
وفكر جائل في كل أمر　　يصاب بسهمه عين المراد
ومن ألف المعالي هام عشقا　　بمشتجر القنا عند الطراد
كعادة أزدشير الملك مهما　　رأى الفرسان تحطم بالصعاد
تراه باسماً في كل هول　　وقد شبت لظى حرب الأعادي
مليك ساد عن عدل وحزم　　وعن ميراث أملاك البلاد
له همم علت أوج الثريا　　بها تنهدُّ أبنية الفساد
لصولته تذل الأسد رعباً　　فيضحي الضد مضطرب الفؤاد
يُهاب ويرتجى بأساً وطولا　　وفي الحالين مقترن السداد
بوارق جوده تنهلّ طبعاً　　فتغني عن ملاحظة الفؤاد
إذا ما سح غادية بماء　　تسح التبر أنمله لصادي
جواد لايمل البذل حتى　　يريك الخصب في السنة الجماد

فما شاهبور ذو الأكتاف يبدي   نوال مليك ذا العصر الجواد[1]
فيا ملكا تود له الرعايا   خلود الملك من حضر وباد
فقد أمنت به من كل جور   وقد ذاقت به طعم الرقاد
بمدحك قرط الأسماعَ ندبٌ   شريف فرع أفضل كل هادي
فأوجب مدحه وداً أكيداً   وعشق السمع أدعى للوداد
لذا وجهت من أبكار فكري   رداحاً بضة طبق المراد
عقيلة قومها من آل طه   بني الزهراء سادات العباد
تؤم حماك يحدوها اشتياق   وحادي الشوق أوقع كل حادي
تخوض إليك موج اليم شوقاً   وفي البيداء تقطع كل واد
على عجل بدت لتقوم عني   بوجه العذر في عدم اعتداد
وبالتقصير يرجى منك عفواً   ومدحك لايحيط به عدادي
ولا زلت المؤيد ذا اقتدار   يفوز بفضلكم قاصي البلاد
سعيد الجد ماغنّى هزار   وما ابتسم الأقاحي بالعهاد

* * *

ومما قاله رحمه الله تعالى من الأمثال ، ونرجو العفو من الكريم المتعال :

ليس للمرء كل ما يتمنى   إنما الحكم راجع للقضاء
وبأسبابها المطالب ترجى   أي غرس نما بغير ارتواء

---

(١) شاهبور : اسم ملك فارسي قديم .

لاينال المراد كسلان ثاوٍ   تحت ظل المنى ومحض الرجاء
فاطلب المجد بالغنى وبنفس   حرة همها اقتناء الثناء
لاتمدن للعلى منك باعاً   قاصراً عن منال أدنى المناء
وأشرف الوفر ما أفاد كريماً   حلية المجد من خلال الغناء
لا أمد الإله فاقة حر   أقعدته عن مطلب النجباء
وإلى الله ملتجا العبد فيها   وهو غوث لمخلص الالتجاء

وقـال :

مولاي أطمعني بفضلك إنني   أيقنت أنك لم تزل بي محسنا
فقصدت بابك راجياً بل عالماً   فقري إلى جدواك مفتاح الغنى
فامنن بفضلك سيدي إني امرؤٌ   مالي سواك لفاقتي ياذا الغنى

* * *

ومما قاله أيضاً رحمه الله تعالى ، متوسلا ومستنزلاً عطايا الإله فقال :

منى النفس رغد العيش يعضده اليسر
وعز وإسعاف به انشرح الصدر
وأتعب خلق الله قلباً هو الفتى   يعيش غنياً ثم يعقبه الفقر
إذا طالبته النفس ما اعتادها غدا   يرد يداً عما يقوم به النزر
فيارب رحماً منك تسعف مقترا   فيصبح منه الكسر عاد له الجبر

فكم لك من لطف إذا حف بامرئ
كفاه ولم يلمم به بعده عسر
وأغناه عن مسعاه فيما يرومه وجودك قد عم البرايا وهم كثر
وحسبيَ من جدواك ماقدرجوته وحالي به أغنى عن الخبر الخبر
فجد لي إلهي بالذي أنت أهله
من الفضل والإحسان كي يعظم الشكر
وصن سيدي وجهي فلا أشتكي إلى
سواك فتكفينا لقد مسنا الضر
فإن كان ذا سخطاً عليّ قضيته فعفوك يرجوه الذي ساءه الوزر
وأستغفر الرحمن مما جنيته وأنت كريم عنده يقبل العذر
فسامح عُبيداً راجياً محو ذنبه وغفرانه فالعفو للذنب ينجرُ
ومالِيَ لاأرجو غناك لفاقتي ومد العطايامنك ليس لها جزر
وهل لفقير قد عرته خصاصة سوى جودك الفياض إذعضه الدهر
خزائنك الملأى لكل مؤمل مفتَّحة تغنيه لو أخلف القطر
تجيب بفضل منك دعوة مخلص دعاك وسر القول في علمك الجهر
ولست بخيلا أو بعيداً على الذي أناخ على باب الكريم به الفقر
أيقنط راج من نوالك عائذ برحماك يامن لايزال له الأمر
وحاشا عطاياك الجسام تفوتني وإني مددت الكف بالذل مضطر

فهبَ ليَ ياموﻻي منك تفضلًا ... غناءً فلا أرجو غنى العبد يابَـر
وأهدي صلاتي والسلام إلى الذي ... به شيّـد الايمان وانصدع الكفر
نبي الهدى خير البرايا محمد ... هو المصطفى الهادي لمن خانه الدهر
كذا الآل والصحب الأفاضل ما همى
غمـام وأضحى الزهر في الروض يفتر

* * *

وقد أشار بعض الأصحاب إثبات هذه الأبيات المنسوبة لابن زريق البغدادي وهي هذه [1] :

لاتعذليُه فـإن العذل يولعه ... قد قلتِ حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزتِ في لومه حداً أضرّبه ... من حيث قدرتِ أن اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا ... من عذله فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله ... فضلعت بخطوب الدهر أضلعه
يكفيه عن لوعة التفنيد أن له ... من النوى كلَّ يوم مـا يروّعه
مـا آب من سفر إلا وأزعجه ... رأيٌ إلى سفر بالبين يُجمعه
تـأبى المطالب إلا أن تجشمه ... للرزق كدحاً وكم ممن يودعه
كأنما هو في حِلٍّ ومرتحل ... موكل بفضاء الأرض يذرعه
إذا الزمان أراه في الرحيل غنىً ... ولو إلى السدِّ أضحى وهو يزمعه
وما مجـاهدة الانسان واصلةً ... رزقاً ولا دعة الانسان تقطعه
قد قسّم الله بين الناس رزقهم ... لم يخلق الله من خلق يضيعه

---

(١) وقدقابلنا هذه القصيدة على «الكشكول» لبهاء الدين العاملي (ج١/١١٨) زيادة على الأصل.

لكنهم كلفوا حرصاً فلست ترى مسترزقا وسوى الغايات تقنعه

والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت

بغيٌ ألا إن بغي المرء يصرعه

والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعه إرثاً ويمنعه من حيث يطمعه

أستودع الله في بغدادَ لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مطلَعه

ودعته وبودي لو يودعني طيب الحياة وأنى لا أودعه

كم قد تشفَّع بي أن لا أفارقه وللضرورة حال لا تشفِّعه

وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعه

لا أكذِب الله ثوبُ الصبر منخرق عني بفرقته لكن أرقعه

إني أوسع عذري في جنايته بالبين عني وجُرمي لا يوسعه

رزقتُ مُلكاً فلم أحسن سياسته وكل من لا يسوس الملكَ يخلعُه

ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا شكر عليه فعنه الله ينزعه

اعتضت عن وجه خِلّي بعد فرقته كأساً أجرّع منها ما أجرعه

كم قائل لي ذقت البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه

ألا أقمتُ فكان الرشد أجمعه لو أنني يوم بان الرشد أتبعه

إني لأقطع أيامي وأنفدها بحسرة منه في قلبي تقطِّعه

بمن اذا هجع النوّام بت له بلوعة منه ليلي لست أهجعه

لا يطمئن لجنبي مضجع وكذا لا يطمئن له مذ بنت مضجعه

ماكنت أحسب أن الدهر يَـفجعني
به ولا أن بي الأيـام تفضجعه

حتى جرى البين فيما بيننا بيدٍ عسراء تمنعني حظي وتمنعه

قد كنت من ريب دهري جازعاً فزعاً
فلم أوقَّ الذي قد كنت أجزعه

بالله يامنزل العيش الذي درست آثاره وعفتْ مذ بنت أربعه

هل الزمان معيد فيك عيشتنا أم الليـالي التي أمضته ترجعه

في ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيث على مغناك يمرعه

من عنده ليَ عهد لايضيعه كما له عهد صدق لاأضيعه

ومن يصدِّع قلبي ذكره وإذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه

لأصبرن لدهر لايمتعني به ولا بيَ في حـال يمتعه

علماً بأن اصطباري معقب فرجاً فأضيق الأمر إن فكرتُ أوسعه

عسى الليالي التي أضنت بفُرقتنا جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه

وان تـغلْ أحداً منا منيته فما الذي بقضاء الله يصنعه؟!

* * *

تم - بعون الله تعـالى وتوفيقه - « روض
الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل »
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الصفحة — الموضوع

الصفحة　　　　الموضوع

الصفحة الموضوع

الصفحة الموضوع

الصفحة　　　　　　الموضوع

الصفحة　　　　الموضوع

الموضوع

الصفحه　　　　الموضوع

الصفحة　　　　　　　　الموضوع

الصفحة

* * *